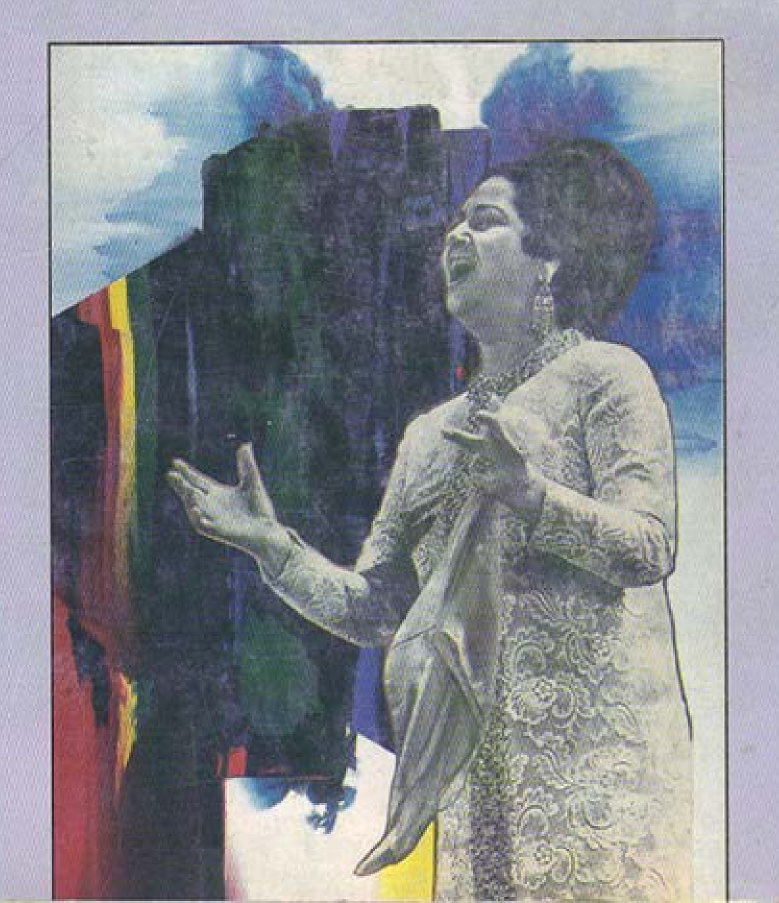


حنفى المحلاوى

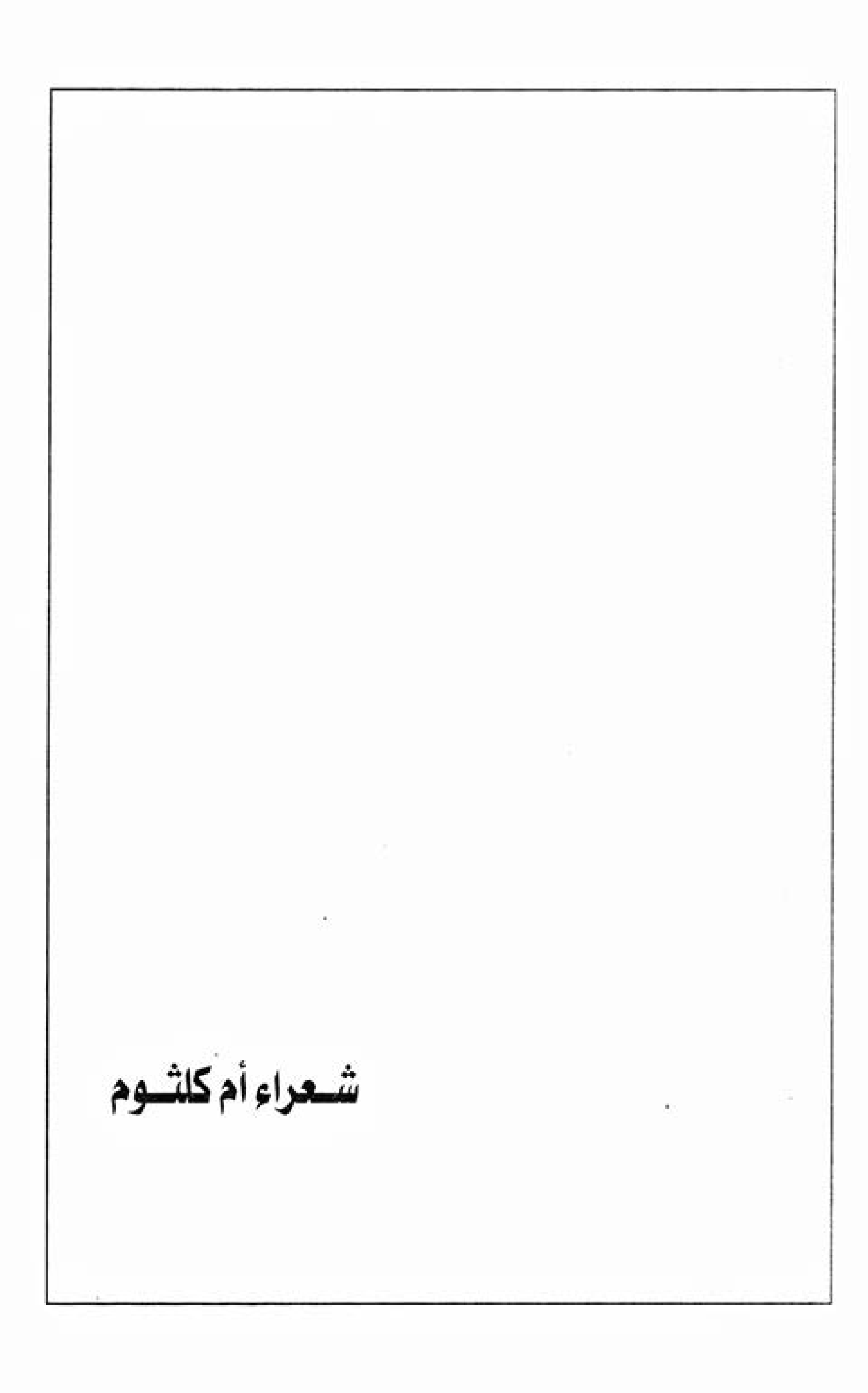
شعراء أم كلثوم

الأعمال الخاصة





الهيئة المصرية
العامة للكتاب



شعراء أم كلثوم

شعراء أم كلثوم

حنفى المحلاوى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

شـعراء أم كلثوم

حنفى المحلاوى

الغـلاف

والإشراف الفنى:

الفنـان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

طبعة خاصة من عالم الكتب
لمكتبة الأسـرة
بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب

شكر واجب

●● إلى الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبدالحليم.. الشاعر الكبير والملقب «بأبي تمام» ..

●● وإلى الشاعر الصديق الأستاذ أحمد سويلم..

●● وإلى الأستاذ محمد خيري بدار الكتب والوثائق القومية .

إليهم جميعاً هذا الشكر نظراً لما قدموه لنا من عون كبير حتى خرجت هذه الأوراق.. بالشكل الذي هي عليه الآن..

حنفى المحلاوى

مقدمة

ما نريد أن نقدمه في أوراق هذا الكتاب .. ينبع فى الأساس من الدور الريادى وغير المسبوق الذى لعبته ولا تزال تلعبه سيدة الغناء العربى أم كلثوم فى خدمة الأدب العربى .. خاصة في مجال الشعر. إذ تبين لنا من بعد طول صحبة لهذه الفنانة المعجزة أنها قد أخذت بيد أكثر من أربعين شاعراً مصرياً وعربياً ومن الدول الإسلامية، نحو الشهرة والمجد.. خلال رحلتها الفنية الطويلة والتى امتدت لأكثر من ٥٠ عاماً.

ونقول ذلك على الرغم من وجود العشرات من هؤلاء الشعراء من المشاهير فى حياتنا الأدبية ، من الذين كتبوا قصائد وكلمات لأم كلثوم لأجل أن تشدو بها بصوتها الساحر، أو من الذين اختارت لهم أم كلثوم كلمات وقصائد بعينها لنفس الغرض.

هؤلاء الشعراء المشاهير، بلا شك قد ازدادت شهرتهم حين تغنت بكلماتهم سيدة الغناء العربى مصحوبة بالموسيقى والألحان.. ذلك من منطلق أن الشعر إذا ما خرج من الأوراق إلى الحناجر والأفواه يدوم أكثر .. ويستمر في الوجدان والأفئدة، حتى ولو مكتوباً بماء الذهب ومصحوباً بالرسوم الملونة ! فما بالنا لو انطلق هذا الشعر المكتوب من حنجرة وفم معجزة الغناء خلال القرن العشرين ؟! ومصحوباً بأرق وأروع الألحان التى وضعها كبار الملحنين خلال فترات متباعدة من رحلة أم كلثوم الفنية ؟!

***

والحديث عن الشعر وعن الشعراء له مذاق وطعم خاص، باعتباره كان ولا يزال المصدر الرئيسى للمتعة الفكرية والذهنية والروحية والعاطفية ، ليس فى أدبنا العربى فقط، بل وفى كل آداب العالم ..

هذا الحديث عن الشعر بنوعيه الفصيح والعامى، لا شك سوف يزداد مذاقه حلاوة حين نربطه بصوت أم كلثوم وبرحلتها الفنية الطويلة التى اقتربت من نصف قرن من الزمان، ذلك لأنه يرجع إليها الفضل الأكبر في ترديد الألسنة لأشعار كبار الشعراء سواء من القدامى أو من المحدثين . الأمر الذى ساهم فى إنعاش حركة الشعر العربى، وجعل الناس حتى فى الشوارع والطرقات وعلى المقاهى يحبونه ويحبون سماعه وترديده.

بل وجعل فريقاً آخر يقبل على اقتناء دواوين هؤلاء الشعراء وقراءة أشعارهم سواء العاطفية أو الوطنية، والشاعر الكبير إبراهيم ناجى وأمير الشعراء شوقى وعلى الجارم ليسوا ببعيدين عنا فى هذا المثال.

بل وأكثر من ذلك ساهمت أم كلثوم فى إنعاش ذاكرة الناس فيما يتعلق بهؤلاء الشعراء وسير حياتهم.. حتى من الشعراء القدامى من الذين تزخر بهم وبكلماتهم كتب التراث، ودواوين الشعر القديمة.

ونظراً لهذا الارتباط الوثيق الذى لاحظناه بين رواج أشعار بعينها وشعراء بعينهم، وبين صوت أم كلثوم .. فقد سمحنا لأنفسنا بأن نطلق على هذه الأوراق تسمية قد تثير البعض .. إذ اخترنا عنواناً يقول: «شعراء أم كلثوم» .. ونحن نقصد من وراء هذه التسمية المعنى والمغزى والأهداف التى نود أن تصل إلى غيرنا من المتخصصين وغير المتخصصين.

***

إننا لا ننكر وجود العشرات من هؤلاء الشعراء من الذين تغنت بكلماتهم سيدة الغناء العربى، وقد تبوأوا مكانة عالية داخل الساحة الأدبية حتى من قبل أن تتغنى بكلماتهم أم كلثوم، من أمثال شوقى وحافظ إبراهيم، وعلى الجارم وآخرين، ومع ذلك فقد كان لأم كلثوم ولصوتها ولألحان قصائدها فضل آخر على هؤلاء حين نقلت هذه الكلمات من الأوراق إلى الأفواه.

ومع كثرة ترديد الناس لهذه القصائد فى كل المناسبات سواء الدينية أو الوطنية، أو غيرها، ازدادت مكانة هؤلاء الشعراء فى القلوب.. وظلت سيرة حياتهم نابضة وحية حتى من بعد الرحيل .

والأمر فى هذا السياق لم يقتصر على شعراء العصر الحديث .. بل وشمل أيضاً شعراء من العصر العباسى وغيره من العصور المتقدمة، إذ لا زلنا حتى يومنا هذا نردد كلمات شاعر كبير ظهر فى القرن الثالث الهجرى وهو أبو فراس الحمدانى .. الذى تغنت بكلماته أم كلثوم.. ورائعته قصيدة «أراك عصى الدمع».

وإذا ما انطبق هذا القول بشكل مباشر على شعراء بعينهم من المشاهير ، فقد كان

لأم كلثوم من جانب آخر فضل عظيم في الترويج لبضاعة غيرهم من طائفة من الشعراء من الذين كانوا يعيشون داخل دوائر محددة من الشهرة، والأمثلة على ذلك كثيرة سواء بالنسبة للشعراء المصريين أوغير المصريين.

ولأم كلثوم إلى جانب مساهمتها في الترويج للشعر الفصيح - دور آخر لا يقل أهمية عن دورها السابق - خاصة في مجال شعر العامية . حيث لعبت دوراً أكبر مع طائفة من هؤلاء الذين أخذت بيدهم نحو الشهرة والمجد، عندما روجت لأشعارهم .. حتى بات صوتها هو منتهى الطلب لكل شاعر أو زجال يريد الشهرة .

ولولا صوتها الذهبي لظل معظم هؤلاء الذين ستمر علينا أسماؤهم في هذه الأوراق، إما في دائرة النسيان أو في دائرة الظل!

ولقد اكتفى هؤلاء الشعراء بما كتبوه لأم كلثوم .. حتى أن معظمهم لم يفكر في إصدار ديوان واحد يسجل فيه ما كتبه سواء لأم كلثوم أو لغيرها.

وفي داخل إطار ما لعبته أم كلثوم من أدوار مهمة في إنعاش الشعر العربي بجناحيه الفصحى والعامية - لعبت كذلك دوراً كبيراً على المستوى العربي والإسلامي - وذلك عندما اختارت بعض قصائد لشعراء من الدول العربية والإسلامية لكي تتغنى بها .. مما ساهم كثيراً في الترويج لهذه القصائد .. والترويج كذلك لأصحابها.

***

من كل ذلك نخرج بنتيجة هامة ، مؤداها أن لأم كلثوم دوراً كبيراً فعلاً في الترويج للشعر العربي وللشعراء العرب والمصريين سواء في مجال الفصحى أو العامية..وذلك يتضح بجلاء من استعراضنا السريع لمحتويات هذه الأوراق التي قسمناها إلى قسمين أو بابين .. الأول تحدثنا فيه عن دور سيدة الغناء العربي في نشر شعر الفصحى رغم صعوبته، وقسمناه كذلك إلى ثلاثة فصول: الأول عن شعراء الفصحى القدامى التي تغنت بكلماتهم أم كلثوم .. وقد أطلقنا عليه لفظ «شعراء التراث» .. والفصل الثاني عن الشعراء المعاصرين من المصريين، والثالث خصصناه للحديث عن شعراء الفصحى في البلاد العربية والإسلامية.

وفي القسم أو الباب الثاني، تحدثنا فيه بإسهاب عن دور أم كلثوم في الترويج لشعر

ولشعراء العامية، وهو يتكون من فصلين .. الأول عن شعراء العامية الهواة من الذين لم يكتبوا لأم كلثوم إلا من خلال تذوقهم للشعر وكتابته على سبيل الهواية. ثم أتبعنا هذا الحديث بحديث آخر في الفصل الثانى عن شعراء العامية المحترفين.

ونحن نود من وراء هذا الكتاب أن يكون لنا السبق في الإشارة لما لأم كلثوم، هذه الفنانة العبقرية، من دور كبير على الشعر العربى القديم والحديث والفصيح والعامى.

حنفى المحلاوى
حدائق القبة - القاهرة
شهر مايو عام ٢٠٠٠

الباب الأول
شعراء الفصحى

•• تمهيد :

سيدة القصيدة العربية

•• الفصل الأول:

شعراء من التراث

•• الفصل الثانى:

شعراء معاصرون من البلاد العربية والإسلامية

•• الفصل الثالث:

شعراء معاصرون من مصر

•• تمهيد :

سيدة القصيدة العربية !

تعتبر سيدة الغناء العربى أم كلثوم فى طليعة الفنانين الذين ارتبطوا باللغة العربية الفصحى منذ صغرها .. هذا الارتباط بلا شك قد قواه وشد من أزره نشأتها الدينية الأولى فى أحضان ريف مصر وطريقة تلقيها التعليم الدينى فى كتاب القرية إلى جانب حضورها حلقات الذكر والإنشاد الدينى وتلاوة القرآن الكريم الذى كان يجيده والدها الشيخ إبراهيم البلتاجى.

ليس هذا فقط .. بل ونستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن أم كلثوم فى هذه الخصوصية تعتبر الفنانة غير المسبوقة ـ سواء فى العصر الحديث أو فى غيره من العصور ـ التى غنت القصائد العربية بهذا الكم الكبير، مما جعلها تسهم مساهمة كبيرة فى الترويج لهذا النوع من الأدب العربى الراقى . وكان اختيارها دائماً لقصائد كبار الشعراء العرب سواء من القدامى أو المعاصرين خير دليل على ذلك.

والأمر المثير للدهشة أن أم كلثوم تلك الفتاة الريفية التى كانت فى بداية مشوارها الفنى مع مطلع العشرينيات لا زالت تحبو.. قد أقبلت إقبالاً كبيراً على التغنى بقصائد الشعراء العرب، رغم إمكانياتها المتواضعة آنذاك .. سواء من حيث الألحان أو من حيث مساحة جمهورها.

وقد يكون لارتباطها المبكر ببعض الملحنين المشهورين من الذين أحبوا الشعر العربى من أمثال الشيخ أبو العلا محمد علاقة أخرى بتلك البداية القوية. إذ تبين لنا ولغيرنا من المؤرخين أن معظم ما غنته أم كلثوم من قصائد عظيمة للشعراءالعرب القدامى ، قد تغنى بها من قبل الشيخ أبو العلا محمد نفسه.

وحتى من بعد هذه المرحلة، فقد ظلت أم كلثوم على ولائها غير المسبوق للشعر

العربى الفصيح، إذا أخذت على عاتقها وبصوتها الترويج لتلك النوعية من القصائد العربية والأشعار المشهورة، ليس فقط داخل النطاق المحلى حيث يتواجد الشعراء المصريون، بل نجدها قد أفسحت مجالاً أوسع حين استعانت بالعشرات من الشعراء العرب فى مختلف الدول العربية .. بل والإسلامية كذلك.

***

ولقد كان الشاعر العربى الكبير أبو فراس الحمدانى من أوائل الشعراء العرب الذين تغنت بكلماتهم سيدة القصيدة العربية .. حين قدمت له فى عام ١٩٢٦ جزءاً من قصيدته المشهورة «أراك عصى الدمع» ومن كثرة إعجاب أم كلثوم بهذه القصيدة، وبهذا الشاعر، فقد تغنت بها أكثر من مرة وبأكثر من لحن!!

كما كان لأم كلثوم فى الوقت نفسه تجارب أخرى عديدة مع قصائد أخرى لكبار الشعراء العرب من الذين عاشوا خلال العصر العباسى سواء الأول أو الثانى. من أمثال الشريف الرضى الذى غنت له أم كلثوم جزءاً من قصيدته «أيها الرائح المُجد» وهى من تلحين الشيخ زكريا أحمد فى فيلم «دنانير» عام ١٩٣٥، وكذلك الشاعر العباسى المشهور العباس بن الأحنف الذى غنت له جزءاً من قصيدته «يا بعيد الدار» من ألحان محمد القصبجى فى فيلم «نشيد الأمل».

كما غنت أم كلثوم للشاعر صفى الدين الحلى قصيدة «مثل الغزال نظرة» من تلحين الشيخ أبو العلا محمد فى عام ١٩٣١ . وقصيدة «أفديه إن حفظ الهوى» للشاعر المصرى ابن النبيه وهى من ألحان الشيخ أبو العلا محمد أيضاً فى عام ١٩٢٨ كما غنت للشاعر نفسه قصيدة أخرى بعنوان «أمانا أيها القمر المطل» من ألحان الشيخ أبو العلا أيضاً.

ويعتبر الشاعر الصعلوك ابن النطاح الحنفى الذى كان مشهوراً بلقب «أبووائل» من الشعراء العباسيين الذين غنت لهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم إحدى قصائد ديوانه والمعروفة بعنوان «أكذب نفسى»، وهى كذلك من ألحان الشيخ أبو العلا، وقد غنتها فى عام ١٩٣١.

ولم يكن الشاعر العربى الفارسى المشهور عمر الخيام ببعيد عن صوت أم كلثوم إذ غنت له أشهر أشعاره وهى المعروفة بالرباعيات من ترجمة وصياغة الشاعر أحمد رامى.

***

وبإحصاء بسيط.. يتضح لنا أن كوكب الشرق أم كلثوم قد غنت لسبعة من فحول الشعراء العرب خاصة شعراء العصر العباسى الذى تميز بالرقة والغزل سواء فى إسلوبه أو موضوعاته. كما بلغ مجموع ما غنته هذه الفنانة العظيمة لهؤلاء الشعراء حوالى تسع قصائد..

وتؤكد الدكتورة رتيبة الحفنى أن أم كلثوم قد غنت هذه القصائد منذ بداية مشوارها الفنى فى طفولتها.. وقد تعلمتها عن طريق استماعها لفونوغراف العمدة، كما حفظت بعض القصائد من والدها الذى كان يحرص على تقديم القصيدة ضمن أغانى حفلاته، وكان أستاذ أم كلثوم الأول فى هذا الميدان المطرب والملحن «الشيخ أبو العلا محمد» الذى التقى بها فى قريتها طماى الزهايرة قبل بدء حياتها الفنية فى القاهرة[١].

وتؤكد الدكتورة رتيبة أن هذه القصائد لم تكن ملحنة لصوت أم كلثوم، ولكنها أخذتها عن الشيخ أبو العلا ومن تسجيلاته حيث كان قد غناها من قبل بصوته.

كما يؤكد الناقد الفنى الراحل كمال النجمى فى السياق نفسه أن سيدة الغناء العربى قد تعلمت فن غناء القصائد من هذا الملحن العبقرى خلال السنوات الخمس التى صاحبته فيها من قبل رحيله.. وهذه القصائد لم يكن فيها لحن واحد صنعه أبو العلا لأم كلثوم بالذات، فهذه القصائد كلها غناها بصوته وسجلها على اسطوانات، ثم أعادت غنائها أم كلثوم.

وأشار كمال النجمى كذلك إلى أن أم كلثوم لم تتمكن من تسجيل سوى ست قصائد فى حياة الشيخ أبو العلا، وبعد وفاته سجلت بقية هذه القصائد[٢].

***

وحين نترك مجال القصائد العربية القديمة التى شدت بها كوكب الشرق.. لننتقل معها إلى شعراء العصر الحديث، نجد أن هذه الفنانة العظيمة قد واصلت نفس المشوار فى الإقبال على غناء قصائد الشعر العربى، ولكن بتميز أكثر وبراعة غير مسبوقة، وقد وصل مفهومها القومى نحو هذه الغاية حداً لم يلتفت إليه فنان غيرها فى عصرها.. إذ لم تقصر جهودها فى مجال الترويج للشعر العربى الحديث على مفهوم المحلية المصرية فقط.. بل

(١) أم كلثوم – د. رتيبة الحفنى.
(٢) تراث الغناء العربى – كمال النجمى.

اتسع نطاق اهتماماتها في هذا السياق ليشمل شعراء معاصرين من البلاد العربية والإسلامية.

ولسوف نتعجب حين نعرف أن عدد الشعراء المعاصرين من الذين تعاملت مع قصائدهم وكلماتهم أم كلثوم خلال الفترة الحديثة من مشوار حياتها، قد بلغ واحداً وعشرين شاعراً .. منهم سبعة شعراء من البلاد العربية والإسلامية من أمثال الأمير عبد الله الفيصل شاعر السعودية المشهور ونزار قباني الشاعر السوري المعروف- وجورج جرداق من لبنان والهادي آدم من السودان .. وكل من علي أحمد باكثير ومحمد إقبال وقد غنت أم كلثوم لهؤلاء الشعراء أكثر من عشر قصائد عاطفية ووطنية ودينية.

وأما الشعراء المصريين المعاصرين فقد بلغوا أربعة عشرة شاعراً.. من أبرزهم أحمد شوقي أمير الشعراء وحافظ إبراهيم شاعر النيل وكل من علي الجارم وإبراهيم ناجي وعزيز أباظة وطاهر أبو فاشا وآخرين، كما بلغ ما غنته أم كلثوم من قصائد لهؤلاء الشعراء حوالي مائة قصيدة أو أكثر.

***

ونفس هذا الجهد الفني المتألق والذي يعود فيه الفضل لأم كلثوم .. قد ظهر جليًا في ميدان قصائد شعراء العامية .. الذين قدموا العشرات من أعمالهم الفنية الجميلة مكتوبة لكي تشدو بها كوكب الشرق.. وكأنما كان صوتها الشجي وتفرده في كل شيء هو الحافز الكبير لتقديم تلك الإبداعات الشعرية الجميلة، والدليل لدينا موجود بيننا الآن، حيث لم نعد نسمع أو نقرأ مثل هذه الكلمات سواء في مجال شعراء الفصحى أو العامية!

وكان لأم كلثوم في هذا الميدان الجديد دور بارز في الترويج لشعر العامية سواء بالنسبة للشعراء الهواة أو المحترفين. ولسوف نتعجب حين نعرف أن الموسيقار كامل الخلعي كان على رأس هؤلاء الشعراء من الذين كتبوا أغنية واثنين لأم كلثوم .. بل وكان بديع خيري الكاتب المسرحي المشهور قد قدم كذلك لأم كلثوم أكثر من أغنية لكي تشدو بها . وقس على ذلك ما قدمه الشاعر مصطفى نجيب والد الفنان سليمان نجيب وغيره من شعراء وزجالي هذا العصر.

وأما على مستوى الاحتراف، فقد قدمت كوكب الشرق للساحة الأدبية والفنية العديد

من الشعراء من الذين كان لصوت أم كلثوم الفضل الأكبر فى إظهار مواهبهم وبشكل غير مسبوق، ولعل وجود شاعرين كبيرين مثل أحمد رامى وبيرم التونسى على رأس هؤلاء وضمن القائمة الطويلة .. يثبت ذلك وأكثر.

وحين يتدخل مقياس الحساب لمعرفة عدد الذين غنت لهم أم كلثوم من شعراء العامية نجد أن عدد الهواة من هؤلاء قد بلغ تسعة شعراء .. وقد غنت لهم حوالى عشر أغنيات ما بين دور وموشح وطقطوقة .. أما الشعراء المحترفون فقد بلغ عددهم أيضاً تسعة شعراء من الذين قدموا لأم كلثوم الكم الأكبر من أغنياتها المشهورة على مدى مشوارها الفنى الطويل .. وكان من أشهر هؤلاء بخلاف كل من بيرم ورامى، صلاح جاهين ومرسى جميل عزيز وأحمد شفيق كامل وعبدالوهاب محمد وعبد الفتاح مصطفى، ومأمون الشناوى.

الفصل الأول :
شعراء من التراث

١ - أبو فراس الحمداني

٢ - ابن النبيه المصرى

٣ - الشريف الرضي

٤ - عمر الخيام

٥ - العباس بن الأحنف

٦ - بكر بن النطاح

٧ - صفي الدين الحلي

١ أبو فراس الحمداني..

«أراك عصي الدمع»

تعود علاقة سيدة القصيدة العربية كوكب الشرق أم كلثوم بالشاعر أبو فراس الحمدانى إلى أوائل مشوارها الفنى الذى بدأته جديًا منذ عام ١٩٢٦ أو ربما قبل هذا التاريخ بسنوات أو أشهر قليلة.. على الرغم من أنها كانت وخلال هذه الفترة ما زالت تحبو داخل شارع الفن الراقى، نظراً لإمكانياتها الضعيفة لحناً وجمهوراً.

ويرجع الفضل الأول فى إتقان أم كلثوم لغناء هذه القصيدة الصعبة ولغيرها من القصائد.. إلى الملحن الكبير الشيخ أبو العلا محمد.. الذى كان قد تغنى هو الآخر بتلك القصيدة من قبل أن تغنيها أم كلثوم.. رغم أنها ليست من ألحانه، بل لحنها له الفنان الموسيقار عبده الحامولى!!!

ومما قيل فى هذا السياق أن الشيخ أبو العلا كان قد سجل أيضاً هذه القصيدة بصوته على اسطوانات كان يتم تداولها من قبل أن تسجل أم كلثوم نفس القصيدة بصوتها على اسطوانات أيضاً.

وبطبيعة الحال، فلولا إتقان أم كلثوم ـ تلك الفتاة الريفية التى كانت قد قدمت لتوها من قريتها بمحافظة الدقهلية ـ لفن غناء القصائد، لما سمح لها أصحاب شركات الفونوغراف بتسجيل هذه القصيدة المشهورة بصوتها فى هذه المرحلة المبكرة من حياتها الفنية!

ولقد أشارت كل كتب تاريخ الأغنية أن كوكب الشرق أم كلثوم قد غنت قصيدة أبو فراس الحمدانى .. «أراك عصى الدمع» لأول مرة فى عام ١٩٢٦ وهى من تلحين كما ذكرنا عبده الحامولى .. كما سجلتها فى نفس التوقيت على اسطوانة تابعة لشركة أوديون للفونوغراف.

ونظراً للنجاح الذى لاقته أم كلثوم فى غنائها لهذه القصيدة، ولتأكيد دورها كذلك فى مجال الدعوة لشعر الفصحى الراقى، فقد حرصت على أن تغنى قصيدة «أراك عصى الدمع» مرة ثانية .. وذلك فى عام ١٩٤٤ وبتلحين جديد وضعه الشيخ زكريا أحمد ..إلا أنها لم تسجلها هذه المرة على اسطوانات.

وفى يوم الخميس الموافق ٣ديسمبر من عام ١٩٦٤ .. أعادت كوكب الشرق أم كلثوم غناء هذه القصيدة للمرة الثالثة وبتلحين جديد أيضاً للموسيقار رياض السنباطى، بعد أن أضافت إليها أبيات أخرى.

***

وفى كتاب «النصوص الكاملة لأعمال أم كلثوم» ، والذى وضعته اللجنة الموسيقية العليا من بعد رحيلها، تصدرت قصيدة «أراك عصى الدمع» لأبى فراس الحمدانى هذا الكتاب مع إشارة لتوقيت غناء هذه القصيدة فى المرات الثلاثة السابق الإشارة إليها .. وكذلك الإشارة للأبيات التى غنتها أم كلثوم من هذه القصيدة .. لأول مرة فى عام ١٩٢٦ وكان عددها ستة أبيات فقط هى:

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

نعم أنا مشتاق وعندى لوعة
ولكن مثلى لا يذاع له سر

إذا الليل أضوانى بسطت يد الهوى
وأذللت دمعًا من خلائقه الكبر

تكاد تضىء النار بين جوانحى
إذا هى أذكتها الصبابة والفكر

معللتى بالوصل والموت دونه
إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر

وقالت لقد أذرى بك الدهر بعدنا
فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر

وفى عام ١٩٦٤، أى بعد مرور أكثر من خمسة وثلاثين عاماً .. زادت أم كلثوم على هذه الأبيات الستة ثلاثة أبيات أخرى، وقد أضافتهم بعد البيت الخامس وفق الترتيب العام للقصيدة .. وهذه الأبيات الثلاثة هى:

وفيت وفى بعض الوفاء مذلة
لفاتنة فى الحى شيمتها الغدر

تـسـائـلـنـى مـن أنـت وهـى عـلـيـمـة
وهـل لـشـاب مـثـلـى عـلـى حـالـه نـكـر

فـقـلـت كـمـا شـاءت وشـاء لـهـا الـهـوى
قـتـيـلـك!، قـالـت، أيـهـم فـهـم كـثـر

***

وعندما رجعنا إلى ديوان أبى فراس الحمدانى والذى تضمن هذه القصيدة وجدنا أن هناك بعض الملاحظات المتعلقة بالأغنية .. رأينا من الضرورى التنويه عنها .. ما دمنا نتحدث عن كل من أم كلثوم وأبو فراس، وأولى هذه الملاحظات تتعلق بعنوان القصيدة .. إذ حذفت أم كلثوم الشطر الثانى من عنوانها الرئيسى وهو « شيمتك الصبر» مكتفية بالشطر الأول من العنوان وهو «أراك عصى الدمع» وربما يكون ذلك راجعاً فى الأساس للسهولة التى كانت تنشدها كوكب الشرق عندما يعاد إذاعة هذه القصيدة بعد أن تشدو بها، أو قد يكون ذلك قد تم بدون علمها .. إما من جانب الملحن أو المذيع الذى تولى تقديمها حين كانت تغنيها.

وثانى هذه الملاحظات يتعلق بأبيات القصيدة نفسها .. إذ تبين لنا أن أم كلثوم لم تغن فقط سوى ستة أبيات من مجموع الأبيات البالغ عددها ٥٤ بيتاً !.

ليس هذا فقط .. بل أن من بين هذه الأبيات الستة خمسة أبيات جاءوا مرتبين وفق الترتيب الذى ارتضاه أبو فراس حين دون هذه القصيدة وأما البيت السادس من الأبيات التى غنتها أم كلثوم فجاء موقعه الثامن عشر !! كما استبدلت فيه كوكب الشرق حرف الواو بحرف الفاء!

***

وحتى عندما أرادت أم كلثوم فى عام ١٩٦٤، أن تعيد الشدو بهذه القصيدة بإضافة ثلاثة أبيات جديدة كما سبق وأوضحنا .. جاء ترتيب تلك الأبيات مخالفًا للترتيب العام الذى ارتضاه أبو فراس لقصيدته . حيث جاء ترتيب هذه الأبيات الثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر .. وبذلك يتضح أن أم كلثوم قد أهملت البيت الرابع عشر الذى تقول كلماته :

وقـور، وريـعـان الـصـبـا يـسـتـفـزهـمـا
فـتـأرن أحـيـانًـا أدن المـهـر

وأما البيت السابع عشر من هذه القصيدة .. فكانت أم كلثوم قد أهملته منذ البداية .. وفضلت عليه البيت الثامن عشر.

إذن .. فقد جاء الترتيب النهائى للأبيات التى غنتها أم كلثوم من قصيدة «أراك عصى الدمع» من تأليف أبو فراس.. كما يلى: الأبيات من الأول حتى الخامس.. ثم من البيت الثالث عشر حتى الثامن عشر مع إهمال البيتين: الرابع عشر والسابع عشر.

***

ولقد رأينا أن هذه الرحلة الممتعة مع أشعار أبو فراس وصوت أم كلثوم .. لا يمكن لها أن تكتمل من دون إلقاء بعض الأضواء المبهرة على سيرة حياة شاعر السيف والقلم. وقد ذكر النقاد والمؤرخون عن سيرة حياته الشىء الكثير .. وأول ما ذكروه فى هذا السياق قولهم .. بأن أبو فراس كتب هذه القصيدة أثناء فترة أسره من جانب الروم .. وهذا يعنى وكما سوف يمر علينا بعد لحظات أن شاعرنا الكبير كانت له علاقة قوية بميدان السياسة وأسرار الحروب..

فأبو فراس الحمدانى وفق ما أورده هؤلاء المؤرخون يدعى الحارث بن أبى العلاء السعيد ابن حمدان بن حمدون الحمدانى . كما أنه فى هذا النسب هو ابن عم ناصر الدين وسيف الدولة الحمدانى .. وقد عُرف فى تاريخ الأدب العربى بأبى فراس . وكان من شعراء العصر العباسى الثانى.

ويقول الدكتور أحمد درويش أستاذ الأدب العربى أن أبو فراس ولد بمدينة الموصل فى عام ٩٣٢م.. الموافق ٣٢٠ هـ . وأنه قد عاش بيننا فترة قصيرة لم تصل إلا إلى خمسة وثلاثين عاماً فقط! وقد رحل عن عالمنا فى عام ٩٦٧م.

عاصر أبو فراس فترة تاريخية خصبة من فترات تاريخ الدولة العباسية وصراعها مع دولة الروم فى الشرق حيث شهدت هذه الفترة الكثير من الحروب خاصة بين ابن عمه سيف الدولة الحمدانى أمير حلب ممثلاً للدولة العباسية وبين دولة الروم فى آسيا.

كما شارك أبو فراس فى هذه الحروب.. لذلك يرى العديد من النقاد أنه رغم ما اتسم به من شاعرية رقيقة .. فقد كان فى الوقت نفسه أحد فرسان الدولة الحمدانية ، وقد أسره الروم مرتين .. حيث ظل حبيس الأسر الأول قرابة سبع سنوات، ثم أسر مرة ثانية فى موقعة «مغارة كحل» عام ٩٥٩م.. وفى هذه المرة كان قد أصيب بسهم فى فخذه

جعله عاجزاً عن الحركة مؤقتًا . مما سهل على الروم أسره مرة أخرى . وقد ظل أسيراً حتى فُك أسره قبل وفاته بعامين وكان آنذاك يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً.(١)

***

والى جانب ذلك .. عاصر أبو فراس مجموعة كبيرة من أشهر شعراء عصره من أرباب الشعر والقلم .. وكان على رأسهم المتنبى والبحترى وأبو تمام وآخرين .. وقد شهد النقاد لشاعريته حيث فضلوه على المتنبى الذى شهد له هو الآخر بالتقدم والتبريز . حيث لم يكن يتجافى جانبه ، فلا ينبرى لمباراته ، ولا يقدر على مجاراته، وإنما كان يمدحه ويمدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً(٢).

كما أكد المؤرخون فيما كتبوه عن أبو فراس .. أنه كان من الشعراء الذين لم يهتموا بتدوين أو نشر قصائده! نظراً لانشغاله في الحرب والسياسة. وأن الذى تولى تلك المهمة هو أحد معاصريه «ابن خلويه» .. حيث كان يحتفظ بجزء كبير من هذه القصائد . فأخذفى جمعها وشرحها.

ثم جاء من بعده الثعالبى فتتبع سير هذه القصائد خاصة التى قالها فى صراعه مع الروم، والتى سميت بالروميات .. فجمعها فى كتابه المعروف باسم «يتيمة الدهر» .. ثم بعد ذلك بدأ المستشرقون يهتمون بأشعاره ويقدمون على نشرها وشرحها.

أما بالنسبة للنقاد فقد قالوا.. إن من أهم سمات شعر أبو فراس أنه يستهل أغلب قصائده بالغزل والنسيب على النحو الذى كان يلجأ إليه معظم الشعراء المتقدمين فى عصره . ثم بعد ذلك يتحدث عن الغرض الذى من أجله نظم هذه القصيدة أو تلك كالمدح والفخر أو الوصف.

---

(١) الشاعر والقصيدة - فارس عصى الدمع - د. أحمد درويش- أخبار الأدب.
(٢) شخصيات مشهورة ومغمورة - د. جمال الدين الرمادى.



ابن نبيه المصري

«أفديه إن حفظ الهوى»

مما يجدر الإشارة إليه أن أم كلثوم .. ذكرت فى أكثر من مناسبة أنها قد بذلت جهداً كبيراً لأجل إقناع جمهور الأغنية المعاصرين لها .. خاصة فى بداية حياتها الفنية بأهمية ما كانت تقدمه من فنون القصائد العربية رغم ما كان يعترضها آنذاك من صعوبات، ومما قالته عن ذلك: «أعتقد أن أهم ما يمكن أن يكتب عنى بعد موتى، أننى نقلت الجمهور من الإسفاف الغنائى الذى كنا نعيشه .. من أغانى : «إرخى الستارة إللى فى رحينا، أحسن جيرانك تجرحنا» .. إلى مستوى « إن حالى فى هواها عجب» ، و«الصب تفضحه عيونه» .. وقد كان إصرارى على خوض هذه المعركة .. أننى وافدة على القاهرة من ريف المنصورة[1].

وربما الذى كان يقوى ساعدها فى هذا الاتجاه وخلال هذه الفترة هو ملحن كبير وعظيم كان يؤمن بأهمية القصيدة المغناة مثل الشيخ أبو العلا محمد. وقد بدأ بنفسه هذا الاتجاه رغم ما كان سائداً فى عصره من كلمات مسفة!

ومن بعد نجاح كوكب الشرق أم كلثوم فى تقديم قصيدة «أراك عصى الدمع» لأبى فراس الحمدانى، واستقبال الجمهور لها استقبالاً طيبًا ، فقد أقبلت على غناء قصائد أخرى كثيرة، كان من بينها قصيدتين للشاعر المصرى الذى عاش فى العصر الأيوبى ، وهو ابن النبيه المصرى.

القصيدة الأولى غنتها بعنوان «أفديه إن حفظ الهوى» وهى من ألحان الشيخ أبو العلا محمد .. وقد سجلتها أم كلثوم على اسطوانة جرامفون فى عام ١٩٢٨ .

وفى نفس العام تقريباً سجلت كوكب الشرق قصيدة ابن النبيه الثانية بعنوان : «أماناً أيها القمر المطل » من ألحان الشيخ أبو العلا أيضاً.

وتقول كلمات القصيدة الأولى التى شدت بها أم كلثوم من أشعار ابن النبيه وعددها ستة أبيات :

(١) أم كلثوم – د. رتيبة الحفنى ـ مصدر سابق.

أفـديــه إن حـفـظ الـهـوى أو ضـيـعـا
مـلـك الـفـؤاد فـمـا عـسـى أن أصـنـعـا
من لـم يـذق ظـلـم الحبيب كـظـلـمـه
حـلـواً فـقـد جـهـل المحـبـة وادّعـا
يـا أيـهـا الـوجـه الجـمـيـل تـدارك
الـصـبـر الجمـيـل فـقـد وهـى وتـضعـضعـا
هـل فـي فـؤادك رحـمـة لمـتـيـم
ضـمـت جـوانـحـه فـؤاداً مـوجـعـا
هـل مـن سـبـيـل أن أبـث صـبـابـتـى
أو أشـتـكـى بـلـواى أو أتـوجـعـا
إنـى لأسـتـحـى كـمـا عـودتـنـى
بـسـوى رضـاك إلـيـك أن أتـشـفـعـا

***

وبالرجوع إلى ديون ابن النبيه المطبوع أوائل هذه القرن والذى نظمه وجمعه ابن النبيه نفسه اتضح أن هذه الأبيات الستة هى جزء أصيل من قصيدة طويلة ، نشرها تحت عنوان «الأشرفيات» نسبه إلى مدائح ابن النبيه للسلطان الأشرف موسى أحد سلاطين الدولة الأيوبية، وكان من سلاطين بنى أيوب الذين خدمهم هذا الشاعر الكبير وكان مطلع هذه القصيدة يقول:

طـاب الـصـبـوح لـنـا فـهـاك وهـات واشـرب هـنـيـئـاً يـا أخـى الـلـذات

كما شملت هذه القصيدة نفسها جزءاً آخر أشاد فيه الشاعر بما قام به السلطان الأشرف فى حروبه مع عساكر الموصل .. وقد قال يمدحه ويستعطفه بقوله:

أفـديـه إن حـفـظ الـهـوى أو ضـيـعـا
مـلـك الـفـؤاد فـمـا عـسـى أن أصـنـع!!

وهو الجزء الذى اختارت منه أم كلثوم الأبيات الستة المشار إليها آنفاً والتى غنتها فى عام ١٩٢٨ .. وعدد أبيات هذه القصيدة ثلاثة وعشرين بيتاً .. وقد اختتمها الشاعر بقوله فى البيت الثالث والعشرين:

وعلى كلا الحالين إنى شاكر
راع لأن الله يسمع من دعا

وأما القصيدة الثانية من كلمات شاعرنا ابن النبيه المصرى، فهى بعنوان «أمانًا أيها القمر المطل» .. وعدد الأبيات التى غنتها أم كلثوم من هذه القصيدة البالغ عدد أبياتها خمسة وعشرين بيتًا .. سبعة أبيات فقط بزيادة بيت واحد عن القصيدة السابقة. وكلماتها تقول:

أمانًا أيها القمر المطل ... فمن جفنيك أسياف تُسل
يزيد جمال وجهك كل يوم ... ولى جسد يذوب ويضمحل
وما عرف السقام طريق جسمى ... ولكن دل من أهوى يدل
يميل بلحظه السحرى عنى ... صدقتم إن ضيق العين بخل
إذا نشرت ذوائبه عليه ... رأيت الماء رف عليه ظل
أيا ملك القلوب فتكت فيها ... وفُتك فى الرعية لا يحل
قليل الوصل ينفعها فإن لم ... يصبها وابل منه فطل

ولقد لاحظنا أن أم كلثوم قد غيرت فى بعض ألفاظ هذه الأبيات.. ففى البيت الرابع الذى تقول فيه فى الشطر الأول:

«يميل بلحظة السحر عنى» هو فى الأصل:

"يميل بطرفه التركى عنى"

وكذلك غيرت فى بعض كلمات الشطر الثانى من البيت الخامس فقالت: «رأيت الماء ترف عليه ظل» .. بدلاً من قول الشاعر:

"ترى ماء يرف عليه ظل".

***

ولقد أشارت أم كلثوم كثيراً لأسباب لجوئها لهذه التعديلات، وفق ما كانت تراه مناسباً لأذواق مستمعيها، من دون أن يؤثر هذا التعديل على معنى القصيدة أو ما يرمى إليه الشاعر .. حيث مكنتها حرفة إتقان قراءة الأشعار كثيراً من ذلك.

ومما ذكرته فى هذا السياق قولها: «ولعل هذا التذوق، وحفظ آلاف الأبيات الشعرية بين قديم وحديث، هو الذى أعاننى بعد ذلك على أن أختار من قصيدة فيها مائتا بيت، ثلاثين بيتاً أغنيها، فلا يحس المستمع أننى قفزت من بيت إلى بيت.. فتركت عشرة أبيات

أو عشرين بيتاً، بل ولعل هذه الرحلة مع الشعر هى التى مكنتنى من أن أضع كلمة - مكان كلمة - فى قصائد كثيرة أو أغنيات كثيرة، فلا يحتج أصحابها لأنهم لم يحسوا أننى قصمت ظهر بيت .. أو غيرت المعنى» .(١)

***

وابن النبيه المصرى وفق ما جاء فى كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان .. هو: أبو الحسن على بن محمد بن الحسن يوسف بن يحيى .. الشاعر البارع كمال الدين النبيه المصرى . وهو من أصحاب الشعر الرقيق والغزل البديع .. وقد عاصر الدولة الأيوبية .. وعاش فى كنف أحد سلاطينها .

ومن النقاد والمؤرخين من يرى أنه من أقارب صلاح الدين الأيوبى . وقد خدم فى معية السلطان الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن ، حوالى أربعين عاماً فأخذ يمدحه، ويسجل انتصاراته وأعماله فى كل قصائده سواء التى دونها أو التى كان يلقيها مرتجلاً .. وعاش ابن النبيه حوالى ستين عاماً . حيث توفى فى مدينة نصبيين فى عام ٦١٩ هـ .

وفى سيرة حياته التى تقدمت نصوص ديوانه المطبوع أوائل هذا القرن جاء بها أنه توفى فى اليوم الحادى والعشرين من جمادى الأولى عام ٦١٩ هـ .. وعمره تقريبًا نحو ستين عاماً .. كما نُقل ذلك عن صهره رحمه الله .

وبخلاف ذلك فقد توسع بعض المؤرخين من المهتمين بأدب هذه الفترة التاريخية فى الحديث عن ابن النبيه . سواء فيما يخص ميلاده أو حياته أو إنتاجه الأدبى - ومما ذُكر فى هذا السياق أن ابن النبيه قد استظل بالدولة الفاطمية فى أخريات أيامها وتلقى ثقافته فى عصرها .. كما اتصل فى شبابه آنذاك بعلماء هذه الدولة وخاصة من الذين لحقوا ببداية الدولة الأيوبية أيام صلاح الدين . ولعله اتصل ببعض الكتاب أيضًا فى هذه الفترة . وتعلم الكتابة على يد أحدهم، وربما لذلك التحق بديوان الإنشاد أو غيره من دواوين الدولة(٢) .

كما استدل العديد من المؤرخين والنقاد من ديوان شعره على الشىء الكثير من المعلومات عنه وعن شخصيته .. ومن أهمها أنه اتصل بكبار رجال الدولة الأيوبية

---

(١) أم كلثوم - المصدر السابق .

(٢) الأدب فى العصر الأيوبى - د. محمد زغلول سلام .

وسلاطينها، كما أنه غادر مصر فى عهد السلطان الكامل محمد بن العادل ليلحق بأخيه الأشرف موسى الذى كان يتولى حكم البلاد الشرقية فى الجزيرة الفراتية، الموصل وإربك وميافارين وخلاط ببلاد الأرض.. حتى لقب «شاه أرمن» .

كما تؤكد أشعاره كذلك أنه لم يكتب الشعر إلا وهو فى سن الأربعين، وأنه التحق بخدمة الأشرف موسى فى حدود عام ٦٠٠ هـ ، بعد أن انتصر على صاحب الموصل، وانضم إلى مجموعة الأدباء والشعراء الذين خدموا الأشرف ولزموه آنذاك.

ويستند المؤرخون فى قولهم السابق على ما ذكره ابن واصل فى كتاب «مفرج الكروب» وفى ذكره لحوادث سنة ٦٠٠ هـ أن ابن النبيه قد هنأ الأشرف بهذا الانتصار. كما ذكر ابن واصل أن ابن النبيه هنأ السلطان الأشرف كذلك بقصيدة لتعميره قلعة الطور بالشام سنة ٦٠٩ هـ مع والده السلطان العادل .

ورغم أن ابن النبيه لم يتبوأ مهنة القضاء فى حياته، بل كان كاتباً فى ديوان الإنشاء.. إلا أنه كان يلقب بالقاضى ابن النبيه .. وفى تعليل الدكتور محمد زغلول سلام لذلك .. قال: «ولكن جرت العادة أن يطلق لقب القاضى على كل صاحب قلم، كما يطلق لقب الأمير على صاحب كل سيف» .

***

هذا عن حياته العامة .. وبعض لقطات من سيرته الذاتية .. أما بخصوص ديوان شعره الذى اختارت منه أم كلثوم الأبيات المشار إليها من قبل – فيقول عنه النقاد ـ أن هذا الديوان لم يشمل كل أشعار ابن النبيه ، وهى التى اختارها بنفسه .. مقسمًا هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام ، قسم فى مدح الخليفة العباس الناصر لدين الله وأسماه «الخليفيات» والقسم الثانى، قصائد فى مدح الملك العادل وسماه «العادليات» .. وأما القسم الثالث .. وهو أكبرها فقد قالها فى الملك الأشرف موسى وسماه «الأشرفيات» .

ولقد اتضح لنا أن الأبيات التى غنتها أم كلثوم كانت تنتمى إلى القسم الثالث . والمسماه « بالأشرفيات» . وقد غلبت صفات الغزل والمديح على أشعار ابن النبيه .. كما أشار إلى ذلك العديد من النقاد..

٣ الشريف الرضى

«في فيلم دنانير»

فى عام ١٩٣٥ ، وعندما قررت كوكب الشرق سيدة القصيدة العربية أم كلثوم دخول ميدان السينما، بعد نجاح غريمها الفنان محمد عبد الوهاب فى الميدان نفسه عندما عرض فيلمه الأول «الوردة البيضاء» .. اختارت قصة الشاعر أحمد رامى «وداد» لكى تكون أولى أعمالها السينمائية والاستعراضية والغنائية فوق الشاشة البيضاء.

ولقد حرصت أم كلثوم على أن تغنى فى هذا الفيلم العديد من الأغنيات والقصائد إلى جانب اضطلاعها بالتمثيل أيضاً ، حيث بلغ عدد هذه الأغنيات تسع أغنيات ما بين قصيدة وموال ومونولوج وموشح .

وكان من بين ما غنته كوكب الشرق فى هذا الفيلم قصيدة للشاعر العباسى المشهور الشريف الرضى .. بعنوان «أيها الرائح المُجد» .

وفى عام ١٩٣٦ سجلت أم كلثوم الأبيات نفسها من ألحان زكريا أحمد على اسطوانة تم تداولها فى الأسواق كما كانت كثيراً ما تشدو بها فى حفلاتها علامة آنذاك.

وتقول كلمات هذه القصيدة وعدد أبياتها خمسة:

أيها الرائح المجد تحمل ... حاجة للمتيم المشتاق

إقرعنى السلام أحباب قلبى ... فبلاغ السلام بعض التلاقى

وإذا ما مررت بالديار فاشهد ... أن قلبى يفيض بالأشواق

وإذا ما سئلت عنى فقل ... نضو هوى ما أظنه اليوم باق

وابك عنى فطالما كنت من قبل ... أعير الدموع للعشاق

***

وعندما رجعنا إلى ديوان الشريف الرضى الذى سطر فيه هذه الأبيات وغيرها من أبيات بقية القصيدة، والذى انتقت منه كوكب الشرق هذه الأبيات التى شدت بها، اتضح لنا أن هناك بعض الملاحظات التى ارتبطت بها، وكانت أولى تلك الملاحظات أن أم كلثوم اختارت خمسة أبيات فقط من بين الأبيات الستة المدونة فى الديوان، والتى قالها المؤلف

فى الحنين والاشتياق، والمندرجة تحت مسمى «الحجازيات»، وذلك وفق ما ارتضاه المؤلف من تقسيم فى ديوانه الذى طبع أكثر من مرة.

والبيت الذى أهملته أم كلثوم تقول كلماته:

ضاع قلبى فأنشده لى بين جمع
ومنى عند بعض تلك الحداق

وموقعه بالنسبة لترتيب هذه الأبيات رقم خمسة!.. أى أن أم كلثوم قد غنت الأبيات من واحد إلى ستة بعد ما أغفلت البيت الخامس!!.

وثانياً فقد لاحظنا أن أم كلثوم قد غيرت فى كلمات الأبيات التى تغنت بها من غير ما كتبه الشريف الرضى نفسه كما فى البيت الأول من هذه القصيدة، حيث اختارت أم كلثوم كلمة «المتيم» بدلاً من كلمة «المعذب» وفى البيت الثانى الذى يعد أكثر الأبيات تعرضاً للتغيير استبدلت أم كلثوم ثلاث كلمات هى: «أحباب قلبى» فى الشطر الأول من البيت بدلاً من «أهل المصلى» وفى الشطر الثانى من البيت نفسه استبدلت حرف الواو بحرف الفاء فجاءت هذه الكلمة المغناة «فبلاغ» بدلا من «وبلاغ»، وفى البيت الثالث استبدلت أم كلثوم أيضاً كلمة «باخيف» ووضعت بدلاً منها كلمة «بالديار»، كما حذفت كلمة «إليه» من الشطر الثانى من البيت نفسه فأصبح ما فيه من كلمات تقول: «إن قلبى يفيض بالأشواق» بدلاً من «إن قلبى يفيض إليه بالأشواق».

***

ولم تكتف أم كلثوم بهذه الأبيات من ديوان الشريف الرضى، بل عادت وشدت مرة أخرى بأبيات جديدة من إحدى قصائده فى الغزل، رغم ما أثير حول هذه الأبيات من شكوك ارتبطت بشاعر غيره.

ففى عام ١٩٣٩ غنت أم كلثوم فى فيلمها الجديد «دنانير» جزءاً من قصيدة «قولى لطيفك» من تلحين الشيخ زكريا أحمد .. ثم عادت مرة أخرى وسجلت هذه الأبيات على اسطوانة فى عام ١٩٤٤، وذلك وفق ما جاء فى كتاب «النصوص الكاملة لأغنيات أم كلثوم والمشار إليه من قبل.

وتقول كلمات هذه الأبيات الجديدة:

قولى لطيفك ينثنى — من مضجعى وقت الرقاد
كى أستريح وتنطفى — نار تأجج فى الفؤاد
مضنى تقلبه الأكف — على فراش من سهاد
أما أنا فكما علمت — فهل لوصلك من معاد

قولى لطيفك ينثنى   عن مضجعى وقت الهجوع
كى أستريح وتنطفى   نار تأجج فى الضلوع
مضنى تقلبه الأكف   على فراش من دموع
أما أنا فكما علمت   فهل لوصلك من رجوع
قولى لطيفك ينثنى   عن مضجعى وقت المنام
كى أستريح وتنطفى   نار تأجج فى العظام
مضنى تقلبه الأكف   على فراش من سقام
أما أنا فكما علمت   فهل لوصلك من دوام

وهناك من النقاد من يرى أن هذه الأبيات ليست من تأليف الشريف الرضى، بل هى من تأليف شاعر آخر يدعى العاص عبد الوهاب وهو شاعر من دمشق معروف «بديك الحق» كما أن هناك فريق آخر من هؤلاء النقاد والمؤرخين من الذين نسبوا هذه الأبيات للشريف الرضى، خاصة المهتمين بشئون فن الأغنية وبتاريخها. ومن هؤلاء كل من الدكتورة رتيبة الحفنى وكمال النجمى.

***

ولكننا عندما رجعنا بالفعل إلى ديوان الشريف الرضى لأجل أن نقيس ما جاء فيه من أبيات، مع مضاهة لما غنته أم كلثوم.. ومعرفة الملاحظات المرتبطة بها سواء باللحن أو بالكلمات .. مثلما فعلنا ذلك من قبل مع غيره من الشعراء القدامى .. فإننا لم نعثر بالفعل على هذه الأبيات!.

ولا نعرف السبب وراء تمسك مؤرخو الفن بالقول بأن هذه الأبيات من تأليف الشريف الرضى! . اللهم إلا على سبيل الاستسهال وحتى لا يتعبوا رؤوسهم فى البحث والتنقيب!.

***

ونظراً لقيمة هذا الشاعر الكبير الشريف الرضى، ولقيمة كوكب الشرق أم كلثوم التى ارتبطت بكلمات قصائده.. فقد رأينا من الضرورى الوقوف على بعض ملامح حياة هذا الشاعر.. وفق ما جاء فى العديد من الكتب والمصادر، لأجل أن تكتمل الفائدة ويعرف المتابعون لنا .. كيف كانت أم كلثوم تتعامل مع فحول الشعراء العرب.

ومما لاحظناه فى هذا السياق أن الموسوعات العامة والأدبية والمعلوماتية قد اهتمت هى الأخرى بمشوار حياة هذا الشاعر الكبير، فذكرت عنه الشىء الكثير سواء عن حياته الخاصة أو مشواره الأدبى فى مجال النثر والشعر.

ولقد أجمعت كل الكتب على أن الشريف الرضى.. هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب(١).

ولد الشريف الرضى أو أبو الحسن محمد بن الطاهر فى بغداد سنة ٣٥٩هـ وقال الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وكان أبوه عظيم المنزلة لدى خلفاء بنى العباس، وكذلك لدى الملوك البويهيمين.

كما تولى نقابة الطالبيين وإمارة الحج وديوان المظالم عدة مرات، وبعد وفاة والده عاصر الشريف الرضى ثلاثة من الخلفاء العباسيين .. هم المطيع والطائع والقادر. وقد مدح الخليفين الأخيرين بأبيات من قصائده. ونراه قد شهد فى الفترة نفسها أحداثًا وصراعات سياسية كثيرة. إذ لم يكن خلفاء بنى العباس فى عهده يملكون من أمرهم ضراً ولا نفعاً حيث لم يكفيهم من الخلافة إلا السكة والاسم فقط!!

مات الشريف الرضى فى سن الشباب، إذ رحل عن دنيانا فى سن الرابعة والأربعين من عمره، ففى يوم الأحد الموافق ٢٦ يونية عام ١٠١٦ م ٦ من محرم عام ٤٠٦ هـ. مات هذا الشاعر والأديب الكبير، مخلفًا وراءه العديد من الآثار الأدبية المعروفة سواء فى مجال النثر أو الشعر.

وكانت من أهم مؤلفاته كتب: الرسائل، نهج البلاغة، تلخيص البيان فى مجازات القرآن، وكتب أخرى فى النثر، كما حظى شعره بإعجاب الشعراء والأدباء والنقاد من أهل عصره، فقد تحدث عنه الثعالبى فى الجزء الثانى من كتابه «يتيمة الدهر» حيث قال: ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل وهو اليوم أبرع أبناء الزمان وأنجب سادة العراق، ثم هو أشهر الطالبيين».

وللشريف الرضى ديوان جمع فيه كل قصائده إذ رتبه على الأغراض التى رآها .. فجعل باباً للمديح وباباً للفخر وباباً للرثاء، وباباً للفنون المختلفة، ثم رتب القصائد فى كل باب على القوافى متبعاً نظام حروف الهجاء.

ثم جاء ابنه عدنان من بعده فأضاف باباً جديداً ألحقه بالديوان المذكور وقد أسماه باب الزيادات، بعد أن ضم إليه أبياتاً لم تنشر من قبل. ويبلغ عدد أبيات هذا الديوان ٩٣٥ بيتاً كما يشتمل على أبيات مفردة ومقطوعات صغيرة(٢).

---

(١) الشريف الرضى – حياته وشعره – إعداد جعفر نور الدين.

(٢) المصدر السابق.

٤ عمر الخيام

« سمعت صوتاً هاتفاً »

تمثل رباعيات الخيام .. خاصة بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، نقطة تحول هامة وكبيرة فى حياة أم كلثوم، فيما يخص إقبالها على غناء القصائد العربية خاصة القديمة!.

فقد أقبلت سيدة القصيدة العربية على الشدو بهذه الأبيات بعد ما رسخت أقدامها فى ميدان غناء القصائد، وبعد أن ازدادت خبرتها فى المجال نفسه.

وكذلك تعتبر قصيدة «الرباعيات» من أولى قصائد الشعر العربى الفصيح الذى تغنت به أم كلثوم خارج نطاق عملها السينمائى، أضف إلى ذلك أن قصيدة «سمعت صوتاً هاتفاً»، والتى انتقت منها الأبيات التى شدت بها قد جاءت بعد تجربة كبيرة وغير مسبوقة فى مجال القصائد العربية، خلال المشوار الطويل التى بدأت أولى خطواته فى عام ١٩٢٨.

ليس هذا فقط - بل وتعتبر قصيدة عمر الخيام المشهورة .. فتحًا جديدًا فى عالم تلحين القصائد، بدخول ملحن كبير مثل رياض السنباطى هذا الميدان بعد كل من الشيخ أبو العلا محمد والدكتور النجريدى وزكريا أحمد والقصبجى.

والغريب أن هذه القصيدة التى أبدعت فيها أم كلثوم كانت من ترجمة وأشعار شاعر الشباب أحمد رامى، الذى بدأ حياته شاعراً فى مجال الفصحى ثم تحول بعد ذلك إلى شعر العامية.. وأبدع فيه بناء على إقناع أم كلثوم له بذلك.

هذا الإبداع ظهر جليًا فى الكثير من الأغنيات التى شدت بها أم كلثوم، ولسوف يكون لنا مع هذا الشاعر الكبير لقاء طويل عند الحديث عن علاقة أم كلثوم بشعراء العامية المحترفين.. فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

ويرى المؤرخون والنقاد.. أن أم كلثوم قد أنهت مرحلة هامة من مراحل حياتها الفنية بدءاً من عام ١٩٤٩ حين شدت بأشعار عمر الخيام، وقد استعدت من بعدها لدخول الميدان نفسه ولكن مع شعراء من العصر الحديث سواء من مصر أو من الدولة العربية والإسلامية ولسوف نبين ذلك أيضًا تباعًا وخلال هذه الأوراق.

ولقصيدة «سمعت صوتًا هاتفًا فى السحر» قصة رواها كل من ملحنها رياض السنباطى ومترجمها أحمد رامى.. وهى لا تبعد كثيراً عن مضمون هذه الأبيات التى تغنت بها أم كلثوم ، بل وتصب فى إطارها صباً مباشراً.

وقد ذكرت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد جانبًا من هذه القصة عند حديثها عن ذكريات أم كلثوم مع ملحن قصائدها.

ومما ذكرته فى هذا السياق قولها:

«.. وفى الزمالك وضع السنباطى اللحن الذى يردده بينه وبين نفسه ويستعيده كلما اشتاق إلى عوده.. عن رباعيات الخيام .. وقف السنباطى فى إحدى قراءاته للرباعيات عند البيت:

أطفىء لظى القلب بشهد الرضاب

فإنما الأيام مثل السحاب

وكان هذا البيت أول بيت لحنه السنباطى من الرباعيات، ثم أخذ يلحن رباعيات كثيرة مختلفة عن الديوان. وظل على هذا الحال عدة شهور، ثم ذهب إلى أم كلثوم، وأسمعها اللحن..»[1].

وكذلك كانت لهذه الرباعيات قصة مع مؤلفها أو مترجمها الشاعر أحمد رامى .. حيث ارتبطت برحيل أحد أخوته عندما كان يدرس فى فرنسا.

وعن ذلك قال أحمد رامى: «لقد بدأت ترجمة هذه الرباعيات بعد أن وصل نعى أخي الشقيق الذى مات ودفن فى دار غربة، وأنا خارج هذه الدار، فاستمددت من حزنى عليه قوة على تصوير آلام الخيام، وظهر لعينى بطلان الحياة التى احتقرها فى رباعياته، فحسبتنى وأنا أترجمها أنظم رباعيات جديدة أودعها حزنى على أخي الراحل فى عنفوان الشباب، وأصبر نفسى بقرضها على فقده»[2].

***

والقصيدة التى غنتها أم كلثوم من شعر عمر الخيام، تقول كلماتها وفق منهجنا السابق الذى يقوم على تقديم الأبيات وإظهار ما بها من تعديلات أدخلتها أم كلثوم وملحنوها:

---

(١) أم كلثوم وعصر من الفن- د. نعمات أحمد فؤاد.

(٢) مقدمة ترجمة الرباعيات - أحمد رامى.

سمعت صوتًا هاتفًا فى السحر ... نادى من الغيب غفاة البشر
هبوا إملأوا كأس المنى قبل أن ... تملأ كأس العمر كف القدر

***

لا تشغل البال بماضى الزمان ... ولا بآتى العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته ... فليس فى طبع الليالى الأمان

***

غداً يظهر الغيب واليوم لى ... وكم نحيب الظن فى المقبل
ولست بالغافل حتى أرى ... جمال دنياى ولا أجتلى

***

القلب قد أضناه عشق الجمال ... والصدر ضاق بما لا يقال
يا رب هل يرضيك هذا الظمأ ... والماء ينساب أمامى زلال

***

أولى بهذا القلب أن يخفقا ... وفى ضرام الحب أن يحرقا
ما أضيع اليوم الذى مر بى ... من غير أن أهوى وأن أعشقا

***

أفق خفيف الظل هذا السحر ... نادى دع النوم وناغ الوتر
فما أطال النوم عمراً ولا ... قصر فى الأعمار طول السهر

***

فكم توالى الليل بعد النهار ... وطال بالأنجم هذا المدار
فامش الهوينا إن هذا الثرى ... من أعين ساحرة الأحوراء

***

لا توحش النفس بخوف الظنون ... واغنم من الحاضر أمن اليقين
فقد تساوى فى الثرى راحل ... غدا، وماض فى ألوف السنين

***

أطفئ لظى القلب بشهد الرضاب فإنما الأيام مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال فنل حظك منه قبل فوت الشباب

***

لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عنى ولم أدرك لماذا جئت أين المفر؟

***

يا من يحار الفهم فى قدرتك وتطلب النفس حمى طاعتك
أسكرنى الإثم .. ولكننى صحوت بالآمال فى رحمتك

***

إن لم أكن أخلصت فى طاعتك فإننى أطمع فى رحمتك
وإنما يشفع لى .. أننى قد عشت لا أشرك فى وحدتك

***

تخفى عن الناس سنا طلعتك وكل ما فى الكون من صنعتك
فأنت مجلاه وأنت الذى ترى بديع الصنع فى آيتك

***

إن تنفصل القطرة من بحرها ففى مداه منتهى أمرها
تقاربت يا رب.. ما بيننا مسافة البعد على قدرها

***

يا عالم الأسرار.. علم اليقين يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار عدنا إلى ظلك فاقبل توبة التائبين

***

والأبيات السابقة يبلغ عددها ثلاثون بيتاً من أصل ثلاثمائة واثنتين وأربعين بيتاً هو كل عدد أبيات الرباعيات التى ترجمها أحمد رامى، ومما لاحظناه أن كوكب الشرق أم كلثوم

حين أقدمت على غناء الرباعيات اختارت أبياتاً بعينها من هذه القصيدة الطويلة .. دون مراعاة للترتيب العام الذى ارتضاه عمر الخيام أو المترجم أحمد رامى !!

ولسوف يبدو لنا ذلك بوضوح من خلال استعراضنا لما هو آت من كلمات تستحق التوقف عندها طويلاً.

ولقد حرصت أم كلثوم على اختيار الأبيات الأول والثانى وفق ترتيب الديوان .. إلا أنها أخلت بعد ذلك بهذا الترتيب .. فيما عدا البيتين الأخيرين اللذين جاءا فى موقعهما الصحيح وفق الترتيب العام للديوان .. باعتبارهما آخر ما كتبه المؤلف ونشره المترجم فى الديوان ذاته.

ورغم التزام أم كلثوم بترتيب البيت الأول والثانى .. فقد غيرت فى بعض كلماتهما .. فاختارت كلمة «الغيب» فى الشطر الثانى من البيت الأول بدلا من كلمة «القبو»، كما اختارت كلمة «كأس المنى» فى البيت الثانى بدلاً من كلمة «كأس الطلا» .. وكلمة «تملأ» بدلاً من «تطعم» .

وتبدأ مراسم اختلاف الترتيب من البيتين الثالث والرابع، حيث جاء موقعها فى القصيدة الأصلية رقم مائة وثلاثة وخمسين ومائة وأربعة وخمسين. أما البيتين الخامس والسادس فيحتلان رقم اثنى عشرة وثلاثة عشرة. والبيتين السابع والثامن فقد احتلا رقم مائة وسبعة وسبعين، ومائة وثمانية وسبعين. هذا بخلاف ما بهما من تغييرات خاصة فى البيت الثامن والتى أدخلتها أم كلثوم على كلمات هذا البيت بحيث جاء مختلفاً كله إلى حد كبير. فالبيت الذى نشر بالديوان تقول كلماته:

يا رب هل يرضيك أن ... أرى ظمآن والماء أمامى زلال

أما البيت الذى غنته أم كلثوم فتقول كلماته بعد التغيير:

يا رب هل يرضيك هذا الظمأ ... والماء ينساب أمامى زلال

والبيت التاسع والعاشر يحتل كل منهما رقمى ثلاثمائة وثلاثة وثلاثمائة وأربعة، ثم البيتين الحادى عشر والثانى عشر فيحتل كل منهما رقم تسعة وعشرين وثلاثين .. مع وجود تغيير طفيف خاصة فى البيت الثانى عشر، إذ غيرت أم كلثوم فى الشطر الثانى وقد أصبح :

"نادى- دع النوم وناغ الوتر" ..

بدلاً من: وهاتها صرفاً وناغ الوتر*!!

أما البيتين الثالث عشر والرابع عشر فقد اتضح أنهما يحتلان رقم واحد وأربعين واثنين وأربعين، مع وجود أيضًا تغيير فى كلمة «وكم» حيث صارت «فكم» والبيتين الخامس عشر والسادس عشر أصبح مكانهما رقم مائة وواحد وثمانين ومائة واثنين وثمانين وبدون أدنى تغيير.

والبيتين السابع عشر والثامن عشر فقد احتل كل منهما رقم تسعة وخمسين وستين، مع وجود تغير فى الشطر الأول من البيت السابع عشر إذ استبدلت أم كلثوم كلمتى «برد الشراب» بكلمتى «شهد الرضاب» وكذلك البيتين التاسع عشر والعشرين فقد احتل كل منهما رقم ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين، مع حذف حرف الهاء من كلمة «أنضوه» لتصير «أنضو» ..

أما البيتين الواحد والعشرين، والثانى والعشرين فقد احتلا رقمى مائتين وتسعة وأربعين ومائتين وخمسين ، بلا تعديل.

والبيتين الثالث والعشرين والرابع والعشرين فقد احتلا رقمى ثلاثمائة وتسعة وعشرين وثلاثمائة وثلاثين، مع تعديل طفيف فى كلمة «أطمع» التى اختارتها أم كلثوم بدلاً من كلمة «فئت»، والبيتين الخامس والعشرين والسادس والعشرين يحتلان كذلك رقمى مائتين وسبعة وثمانين ومائتين وثمانية وثمانين بدون تعديل.

والبيتين السابع والعشرين والثامن والعشرين يحتلان رقمى مائتين وسبعة وثلاثين ومائتين وثمانية وثلاثين.

أما البيتين التاسع والعشرين والثلاثين فقد حرصت أم كلثوم على أن يكونا فى موقعهما الذى اختاره الشاعر والمترجم وبذلك فقد احتلا رقمى ثلاثمائة وواحد وأربعين وثلاثمائة واثنتين وأربعين، مع وجود تعديل فى البيت الأخير إذ استبدلت أم كلثوم كلمة «عدنا» بدلاً من كلمة «فئنا».

* * *

هذا عن القصيدة وما جاء بها من أبيات ظهرت بها بعض التعديلات وفق ما اختاره المترجم بعد موافقة أم كلثوم، فماذا عن صاحب الرباعيات نفسه.. العلامة الكبير عمر الخيام؟! وقد عهدناكم منذ التقينا لأول مرة فوق هذه الأوراق ضرورة الوقوف على بعض ما سطره التاريخ والمؤرخون عن صاحب هذه القصيدة وكل القصائد.

وعمر الخيام صاحب هذه الرباعيات وفقًا الإجماع هو غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام نسبة إلى مهنة والده، وهو فارسى الأصل «إيرانى» .. ولد فى مقاطعة خرسان فى عام ١٠٤٠ م وتعلم فى بلدته خرسان ثم رحل بعد ذلك إلى مكة وبغداد .. وبعد فترة عاد مرة أخرى ليستقر فى خرسان.

وقدم لنا الشاعر الراحل أحمد رامى الشىء الكثير عن سيرة عمر الخيام فى مقدمة ترجمته لديوانه، ومما أشار إليه فى هذا السياق ويستحق التوقف عنده قوله إن هناك كثير من الشك قد اكتنف حياة الخيام فى جميع أدوار حياته .. وذلك من يوم مولده وحتى يوم وفاته. وأضاف رامى قائلاً: «ولولا أن قبره موجود الآن بنيسابور والمعروف بمقبرة «الحيرة» لأبى الموت كذلك أن يدلنا على مرقده الأخير»!

ويؤكد أحمد رامى أن عمر الخيام قد مات ما بين سنة ١١١٢م وسنة ١١٣٥م. كما أكد على لسان بعض المؤرخين من أهل عصره أن عمر الخيام كان إمام أهل خرسان وأعلم أهل بلدته وزمانه، وأكثرهم اضطلاعًا بعلوم الفلك والفلسفة.

إلى جانب ذلك كتب الشعر والأدب.. وكان من أشهر ما كتبه فى هذا المجال «رباعياته» التى احتار المؤرخون فى تحديد تاريخ كتابتها، حيث أن أقدم نسخة تم العثور عليها لم تثبت إلا عام ٨٦٥هـ- ١٤٦٠ م، كما حاروا كذلك فى تحديد هذه الرباعيات، حيث أن أقدم نسخة تحوى ١٥٨ رباعية ويتراوح عددها فى النسخ الأخرى ما بين ٧٦ و٨٤٥ رباعية.

ومن المحتمل أن يكون هناك نسخة أخرى لهذه الرباعيات كتبت أثناء حياته ولكن تعرض نيسابور بعد وفاته للغزو والإحراق على يد المغول والتتار قطع الأمل فى وجود هذه النسخة الصادقة.

والرباعيات التى أبدعها الخيام هى عبارة عن مقطوعات من أربعة أشعار يكون الشطر الثالث فيها مطلقًا .. وقد نقلت إلى اللغة العربية بعد ترجمتها أكثر من مرة.

ورغم أن عمر الخيام قد اشتهر فى التاريخ بالعديد من الأعمال العلمية والفلكية إلا أن شهرته ظلت مرتبطة حتى الآن بتلك الرباعيات .. وهذا يدل دلالة كبيرة على قيمة الأدب .. وأهميته كمصدر من مصادر بقاء الأعمال إلى الخلود.

٥ العباس بن الأحنف

«وأبيات نسبت إليه ظلماً!»

على الرغم من أن عدد الأبيات التى شدت بها سيدة القصيدة العربية وسيدة الغناء أم كلثوم للشاعر العباسى العباس بن الأحنف لم تتعد أصابع اليد الواحدة .. إلا أنها قد أخذت منا جهداً ووقتاً يساوى تقريبًا نصف ما بذلناه فى الكتاب كله ، والسبب فى ذلك يرجع فى الأساس إلى ذلك الخطأ الذى جاء فى كتاب «جامع أغانى أم كلثوم» ، وهو الخطأ الذى ارتبط بأحداث فيلم «سلامة» والذى غنت فيه أم كلثوم هذه القصيدة.

***

ففى عام ١٩٤٤ . وفى الفيلم المذكور والذى وضع قصته الأديب على أحمد باكثير غنت أم كلثوم عدة قصائد ملحنة كان من بينها بيتين بعنوان «يا بعيد الدار» وقد نسبتا إلى العباس بن الأحنف وتقول كلماتهما:

يا بعيد الدار موصولا بقلبى ولسانى

ربما أبعدك الدهر وأدنتك الليالى

كلما زاد الشوق وفاضت بى شجونى

لُذت بالسلوان والبُعد وما ينفعلان

وبعد البحث والتنقيب فى أشعار العباس بن الأحنف، ومن داخل أوراق ديوانه.. لم نعثر على هذين البيتين.. وكانت تلك هى المفاجأة! بل وعثرنا على أبيات مشابهة لها فى بعض الألفاظ والكلمات! وذلك ضمن أربعة أبيات اختتم بها الشاعر ديوانه المطبوع ! وقد قالها قبيل موته، كما سوف نشير إلى ذلك تفصيلاً عند الحديث عن بعض لمحات من سيرة حياته.

والبيتان اللذان ذكرهما العباس بن الأحنف تقول كلماتهما:

يا غريب الدار عن وطنه ... مفرداً يبكى على شجنه

كلما جد البكاء به ... دبت الأسقام فى بدنه

ولكى نقطع الشك باليقين فى شأن هذين البيتين، أخذنا فى السؤال عنهما لدى

بعض المصادر الحيوية من أساتذة الجامعات وبعض الشعراء. وكلهم أجمعوا على أن ما شدت به أم كلثوم وما نُسب إلى العباس بن الأحنف مشكوك فيه لسببين: أولهما: أن بالبيتين مشاكل كثيرة تتعلق بأصول العروض! وثانياً: أن مثل هذه الموضوعات لم يتطرق إليها ابن الأحنف رغم ما اشتهر به من موضوعات قالها فى الغزل!

ومن أجل ذلك ثبت لدينا باليقين أن ما لحنه زكريا أحمد ونسب إلى العباس بن الأحنف غير صحيح.. أو ربما غير الملحن فى الكلمات وفق ما رآه صالحًا للألحان المصاحبة لأحداث الفيلم!.

ولقد وقع غيرنا من المؤرخين والمهتمين بالفن فى نفس الخطأ. إذ ذكرت الدكتورة رتيبة الحفنى فى كتابها الهام عن «أم كلثوم» وفى صفحة٢١٣ من هذا الكتاب إن قصيدة «يا بعيد الدار» من تأليف عباس بن الأحنف.

***

وما دمنا قد ذكرنا الشاعر الكبير بن الأحنف، كان لزامًا علينا على الأقل ورداً على ما التصق به ظلمًا من أبيات لم يؤلفها، ضرورة إلقاء بعض الأضواء المبهرة على بعض لقطات حياته وأشعاره.. وكذلك عما أثير من أساطير حول موته وما ارتبط بهذا الرجل من كلمات حُرفت من أجل أن تغنيها أم كلثوم!

وشاعرنا المقصود هنا.. وفق الإجماع هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود ابن طلحة بن حردان بن كلدة بن عبد الله بن حنيفة بن نجيم الحنفى اليمامى(١).

وهناك من يرى أن نسبه لليمامة ربما جاء لمولده بها - أما صالح بن عبد الوهاب فيقول أنه عربى من خرسان ومنشؤه بغداد(٢).

وشاعرنا المنوه عنه يعتبر من الشعراء العرب الذين قصروا شعرهم على الغزل، إذ لم يتجاوزه إلى غيره من فنون الشعر إلا فى حالات نادرة.

ولقد استدل المؤرخون من دراسة أشعاره بأنه كان على اتصال بالمهدى والرشيد وهما من الخلفاء العباسيين، وكان اتصاله بهما اتصال إلفة وليس اتصال تكسب!

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٢) من مقدمة ديوان العباس بن الأحنف - كتبها كرم البستانى.

وفى إطار اهتمام بن الأحنف بشعر الغزل.. فقد ذكر العديد من النساء اللائى حفل بهن فى أشعاره، وكان من أبرزهن فوز وظلوم ونرجس ونسرين وسحر وضياء ، إلا أن معظم ما قاله فى الغزل قد اختص به فوز بالذات. واحتل هذا الغزل قرابة ثلاثة أربا ع ديوانه!

وهناك من النقاد والمؤرخين من يرى أن فوز هذه ما هى إلا امرأة باسم مستعار، وقد لجأ إلى تلك الحيلة خشية أن يعرض نفسه للعقاب.

وإلى جانب ما اتصف به شعر الأحنف كان كذلك يتسم بالنزعة الدينية، حيث حفل بالعديد من المظاهر الإسلامية كان من أبرزها التدين والتقوى سواء عنده أو عند محبوبته فوز، وحرصهما على أداء العبادات(١).

ولقد أعجب المغنى العباسى الكبير إبراهيم الموصلى بأشعار العباس بن الأحنف ولذلك فقد كان كثيراً ما يتغنى بتلك الأشعار. وربما إقبال الموصلى على هذه الخطوة.. هو الذى شجع الملحن زكريا أحمد لأن ينسب البيتين السابقين ظلماً للأحنف!

وعلى أية حال، فقد أدلينا برأينا فى هذا الأمر الهام .. وعلى غيرنا من المهتمين بالشعر العربى وقضاياها .. ضرورة الوقوف أكثر على هذه القضية .. والتثبت من وقائعها.

***

ولكن ماذا عما قيل بشأن موته من أساطير؟!.. خاصة وأنها ارتبطت بالأبيات السابق الإشارة إليها والتى تشبه فى بعض معانيها ما شدت به أم كلثوم؟!

هذه الأساطير روتها عنه عدة مصادر كان من أهمها ما رواه عمر بن شيبة الذى حكى يقول: مات إبراهيم المعروف بالنديم الموصلى سنة ثمان وثمانيين مئة.. ومات فى ذلك اليوم الكسائى النحوى والعباس بن الأحنف وهشيمة ابن الخمارة .. فرُفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلى عليهم .. فصفوا بين يديه، فقال: من هذا الأول؟! قالوا: إبراهيم الموصلى .. فقال: أخروه، وقدموا العباس بن الأحنف، فقدموه، فصلى عليه. فلما فرغ انصرف، فدنا منه هشام بن مالك الخزاعى فقال: يا سيدى كيف آثرت العباس بن الأحنف بالتقدمة على من حضر، فأنشد: وسعى بها ناس فقالوا: إنها.. لهى التى تشقى بها وتجاهد.. ثم قال: أتحفظها؟ قلت: نعم، وأنشدته.. فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة؟ فقلت: بلى والله يا سيدى!

---

(١) التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول - د. مجاهد مصطفى بهجت.

وثمة إسطورة ثانية رواها صاحب كتاب «معاهد التنصيص» عن ابن زكريا الصولى حدثه بها رجل من قريش، ورواها المسعودى فى «مروج الذهب» عن جماعة من أهل البصرة، خرجوا يريدون الحج، فلما كانوا فى بعض الطريق عرجوا ليصلوا، وإذا هم بغلام جاءهم وقال لهم: هل فيكم أحد من أهل البصرة، فأجابوه: كلنا من أهل البصرة، فما تريد ؟! . قال: إن مولاى من أهلها ويدعوكم إليه وهو لما به يريد أن يوصيكم، فقاموا إليه، فإذا هو ملقى تحت شجرة قرب عين ماء، فجلسوا حوله، فأحس بهم، فرفع رأسه، وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً وأنشأ يقول:

يا غريب الدار عن وطنه	مغرداً يبكى على شجنه
كلما جد البكاء به	دبت الأسقام فى بدنه

ثم أغمى عليه طويلاً، وبينما هم جلوس حوله، إذ أقبل طائر فوقع على أعالى الشجرة التى كان تحتها وجعل يغرد، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر. ثم أنشأ يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجًا	طائر غنى على فننه
شفه ما شفنى فبكى	كلنا يبكى على سكنه

ثم تنفس نفسًا فاضت نفسه معه فلم يبرحوا عنده حتى غسلوه وكفنوه وتولوا الصلاة عليه ، فلما فرغوا من دفنه سألوا الغلام عنه، فقال: هذا العباس بن الأحنف.

***

ونحن على يقين من أن مثل هذه القصص والأساطير التى تمتلأ بها كتب التراث فى حاجة ماسة للعديد من المراجعات القائمة على البحث والدراسة والدلائل! وقد كان لأستاذنا الراحل الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى السبق فى هذا الاتجاه - رغم ما اعتراه من مشاكل وصعاب كادت تقلل من عزمه .. ولقد رأيناها فرصة سانحة عندما تحدثنا عن شعراء أم كلثوم .. هنا وفوق هذه الأوراق .. لكى نعيد النداء مرة أخرى لأجل خلق فن عربى رفيع المستوى خاصة فى الشعر لا يشوبه شائبة! فما أجمل أن تقرأ أدباً بلا أساطير.!

٦ بكر بن النطاح الحنفي

«من شعراء صعاليك العباسيين !»

يرى الكثير من النقاد ومن المؤرخين أن قصيدة «أكذب نفسى» .. والتى شدت بها أم كلثوم للشاعر الصعلوك «بكر النطاح الحنفى» فى عام ١٩٣١ .. تمثل خاتمة المرحلة الأولى من المراحل الفنية لأم كلثوم فى ميدان غناء القصائد.

إذ من بعدها انطلقت كوكب الشرق إلى آفاق مرحلة جديدة شهدت تألقها غير المسبوق فى الميدان نفسه، ولكن مع كلمات شعراء من العصر الحديث سواء فى مصر أو فى غيرها من البلاد العربية والإسلامية، وألحان أكثر عصرية سواء للشيخ زكريا أحمد أو رياض السنباطى .

وقد شهدت المرحلة الأولى تألق رعيل آخر من المؤلفين ومن الملحنين الكبار من أمثال الشيخ أبو العلا محمد والدكتور أحمد صبرى النجريدى ، والذى يعود إليهما الفضل الأكبر فى تدريب صوت أم كلثوم على غناء القصائد باللغة العربية الفصحى.

ولقد سبق لنا الإشارة إلى العديد من هؤلاء الشعراء العرب الذين تعاملت أم كلثوم مع كلماتهم وقصائدهم فى المرحلة نفسها.

وقصيدة «أكذب نفسى» للشاعر العباسى الصعلوك بكر بن النطاح قد سجلتها أم كلثوم على أسطوانة تابعة لشركة أوديون فى عام ١٩٣١ . بعد ما ذاع صيت هذه القصيدة، عندما غنتها أم كلثوم فى حفلاتها العامة سواء على مسرح الأزبكية أو داخل البيوت والمجتمعات الراقية.

وتقول كلمات هذه القصيدة:

أكذب نفسى عنك فى كل ما أرى
وأسمع أذنى منك ما ليس تسمع

فلا كبدى تبلى ولا لك رحمة
ولا منك إقصار ولا فيك مطمع

لقيت أموراً فيك لم ألق مثلها
وأعظم منها فيك ما أتوقع

فـلا تـسـألـيـنـى فـى هـواك زيـادة

فـأيـسـره يـدمـى وأدنـاه يـدمـع

***

واستكمالاً لما نقوم به، وما قمنا به من قبل.. فقد أردنا التأكدمن وجود هذه الأبيات، ومن كلماتها ومن أشعارها، ومدى صحة نسبها إليه.. من أجل ذلك أخذنا كالعادة ننقب فى كل المصادر المروية والمكتوبة، وكل المصادر المعنية بأمور هؤلاء الشعراء حتى عثرنا على حديث شيق عن هذا الشاعر الصعلوك وعن المناسبة التى قال فيها الأبيات السابقة، والتى شدت بها أم كلثوم، وذلك فى كتاب الأغانى للعلامة الأصفهانى وكذلك فى العديد من الكتب التى لاحظنا أنها أيضاً قد نقلت عن كتاب الأغانى.

ومما لاحظناه من خلال الاطلاع على هذه المصادر الأدبية والتاريخية أن ابن النطاح لم يجمع هذه الأشعار فى ديوان، بل جاءت كلها فى ثنايا حكاياته التاريخية باعتباره من أشهر الصعاليك الشعراء الذين ملأوا الدنيا صخباً، كما ملأوا كذلك كتب الأولين من المؤرخين والنقاد.

ولقد كتب ابن النطاح الكلمات التى شدت بها أم كلثوم فى محبوبته «رامشنة» التى وقع فى غرامها، والأصفهانى، يحكى لنا تفاصيل هذه الحكاية بقوله: «أخبرنى محمد ابن خلف وكيع، قال حدثنى محمد بن حمزة العلوى قال: حدثنى أبو غسان رماذ.. قال: حضرت بكر بن النطاح الحنفى فى منزل بعض المغنيين، وكانت له جارية يقال لها «رامشنة».. فقال فيها بكر بن النطاح:

حـيـنـك بـالـرمـشـى رامـشـنـة — أحـسـن مـن رامـشـنـة الآسـى
جـاريـة لـم يـقـتـسـم بُـضـعـهـا — ولـم تـقـم فـى بـيـت نـخـاس
أفـسـدت إنـسـانًـا عـلـى أهـلـه — يـا مـفـسـد الـنـاس عـلـى الـنـاس

وقال فيها:

أكـذب طـرفـى عـنـك والـطـرف صـادق

وأُسـمـع أذنـى مـنـك مـا لـيـس يُـسـمـع

ولـم أسـكـن الأرض الـتـى تـسـكـنـيـنـهـا

لـكـيـلا يـقـولـوا صـابـر لـيـس بـنـجـزع

فلا كبدى تبلى ولا لك رحمة

ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

لقيت أموراً فيك لم ألق مثلها

وأعظم ما فيك ما أتوقع

فلا تسألينى فى هواك زيادة

فأيسره يجزى وأدناه يُقنع

وبالرجوع مرة أخرى للكلمات التى شدت بها كوكب الشرق أم كلثوم للشاعر بن النطاح وجدنا اختلافات واضحة فى بعض أبيات هذه القصيدة مما استوجب إلقاء الضوء عليها..

وأبرز هذه الاختلافات أن عدد الأبيات التى أنشدها ابن النطاح فى محبوبته «رامشنة» بلغ خمسة أبيات اختارت منهم أم كلثوم أربعة أبيات فقط : البيت الأول والثالث والرابع والخامس . وبذلك نراها قد أهملت البيت الثانى الذى تقول كلماته:

ولم أسكن الأرض التى تسكنينها

لكيلا يقولوا صابر ليس بجزع

كما غيرت أم كلثوم فى كلمات الشطر الأول من البيت الأول بحيث أصبح ما فى هذا الشطر يقول:

"أكذب نفسى عنك فى كل ما أرى"

بدلا من: "أكذب طرفى عنك والطرف صادق"

وفى البيت الرابع غيرت أم كلثوم كلمة «يقنع» واختارت بدلاً منها كلمة «يدمع» ! وكلمة «يدمى» بدلاً من «يجزى»

***

وشاعرنا المنوه عنه هنا .. وصاحب هذه القصيدة ، هو بكر بن النطاح الحنفى.. الذى عُرف بأبا وائل، وكان من شعراء العصر العباسى الأول حيث حضر زمن المعتصم بالله، فى أوائل القرن الثالث الهجرى وكان كذلك مشهوراً بأنه زعيم شعراء الصعاليك فى هذا العصر ..كما عُرف أيضًا بأنه كان يمثل الصعاليك التوابين، إذ كان فى صدر حياته صعلوكا يصيب الطريق ثم عدل عن ذلك .

ورغم ذلك فقد كان بطلاً وفارسًا شجاعًا .. وشهرته فى الشعر فاقت شهرته فى مجال الصعلكة . حيث لم تهتم الروايات التى تحدثت عنه بأمور صعلكته بقدر اهتمامها بأشعاره، ويعتبره العديد من النقاد فى هذا الميدان من الشعراء المجيدين . وقال عنه التبريزى «أنه حسن الشعر جيد التصرف فيه» .

اتصل بكر بن النطاح فى حياته بالعديد من القادة ورجال السياسة العباسين، وكان أول من اتصل بهم هو « يزيد بن مزيد الشيبانى» القائد المشهور فى عهد المأمون والهادى والرشيد، لذلك قربه إليه وضمه إلى جنده، فسجله فى ديوان العطاء وأجرى له راتبا، وأخذ يمدحه لذلك كثيرا مشيرا إلى بطولته حتى افتخر به فخرا آذى الرشيد وأغضبه عليه. مما جعله يختفى تماماً من بغداد .. ولم يظهر حتى توفى الرشيد[1] .

***

وواضح من تلك الروايات العديدة التى ذكرها الأصفهانى عن ابن النطاح وأشعاره ، أنه رغم شاعريته المعروفة فقد كان يتكسب من هذا الشعر فى هجاء من لا يدفع له ما يريده من أموال، ولذلك كان يخشاه العديد من أهل زمانه .. كما أورد الأصفهانى العديد من أبيات ابن النطاح دونما يشير إلى وجود ديوان ضم هذه الأشعار .

(١) الشعراء الصعاليك فى العصر العباسى الأول - د. حسين عطوان.

٧ صفي الدين الحلي

«أو الشاب الظريف»

رحلة بحث طويلة شاركنا فيها شاعر كبير وأستاذ جامعى يقول الشعر ومتخصص فى تاريخ الشعراء، ولولاهما لما توصلت إلى ما وصلت إليه بخصوص العبارات التالية.

والحكاية ترتبط فى الأساس بشاعرين كبيرين أيضاً هما الشاعر صفى الدين الحلىّ والشاب الظريف.. إذ وقع خلط غير متعمد بين كلمات هذين الشاعرين فيما شدت به أم كلثوم بالنسبة لقصيدة «مثل الغزال».

وعلى الرغم من أن أم كلثوم قد تغنت بهذه الكلمات الجميلة منذ أكثر من ستين عاماً إلا أن أحداً من الباحثين أو الشعراء أو حتى من النقاد لم يلتفت لوجود هذا الخلط الذى أدى إلى مشاكل كثيرة لدرجة أن شاعر كبير ثالث هو «صالح جودت» كان قد وجه نداء من فوق صفحات مجلة «المصور» .. يستحث فيه كل من يعرف معلومات صحيحة عن مؤلف هذه القصيدة أو غيرها من القصائد التى غنتها أم كلثوم من الشعر القديم! أن يدله عليها!

***

ومما جاء فى كتاب «أم كلثوم – النصوص الكاملة لجميع أغنياتها» والسابق الإشارة إليه أن أم كلثوم غنت قصيدة «مثل الغزال» فى عام ١٩٢٦ ثم سجلتها على اسطوانة جرامفون فى العام نفسه، كما جاء فى هذا الكتاب أن هذه القصيدة من تأليف شاعر يدعى «صفى الدين الحلبى» !! وكان ذلك هو الخطأ الأول الذى تسبب فى حدوث إرباك كبير لنا أثناء الإعداد لهذه الأوراق ..إذ تبين لنا فيما بعد أنه لا يوجد من الشعراء العرب من يسمى «بصفى الدين الحلبى» ! بل الصحيح أن أسمه «صفى الحدين الحلىّ» وهو من شعراء الدولة الأيوبية، ودولة المماليك.

ولقد أكد لنا ذلك العديد من المصادر المروية على لسان الشاعر أحمد سويلم والدكتور عبد اللطيف عبد الحليم الملقب «بأبى تمام» وأستاذ الأدب والنقد بكلية دار العلوم.

عندئذ بدأت الخطوة التالية فى السياق نفسه للبحث عن معلومات عن صفى الدين الحلى.. وكذلك عن ديوانه الذى نشر به هذه القصيدة!.

وعلى مدى عدة أيام وآلاف الخطوات التى قطعناه حيث توجد دار الكتب عثرنا على

ديوان «الحلى» فأخذنا نبحث فيه عما تغنت به أم كلثوم بلا فائدة!! حيث اكتشفنا أن هذه القصيدة لا توجد فى الديوان .. وبالتالى فهى ليست من تأليف صفى الدين الحلى!!

***

وعلى الفور اتجه البحث ناحية أخرى قاصداً أساتذة الجامعات المعنيون بتاريخ الشعراء العرب وبقصائدهم، وذلك من أجل المساهمة معنا فى البحث عن صاحب قصيدة «مثل الغزال»!

وبعد عدة أيام.. عثر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم على صاحب هذه القصيدة .. وهو «الشاب الظريف»! .. وعندما أعلمنى بذلك لم أترك فرصة.. بل توجهت إلى دار الكتب من جديد للبحث عن ديوان الشاب الظريف .. والتأكد من وجود هذه الكلمات!

وجاءتنى نسخة الديوان، وهو مطبوع منذ أكثر من ستين عاماً! وقبل نهاية ما به من قصائد ربما بثلاث صفحات فقط .. عثرت على «مثل الغزال نظرة» .. وكانت فقط ثلاثة أبيات قابعة وسط العديد من الأبيات التى سطرها الشاب الظريف فى هذا الديوان وكانت نفسها هى الأبيات التى غنتها أم كلثوم فى عام ١٩٢٦ أيضًا، والتى تقول كلماتها:

مـثـل الـغـزال نـظـرة ولـفـتـة	مـن ذا رآهـا مـرة ولا أفـتـن
أحـسـن خـلـق الـلـه خـلـقًـا وفـمًـا	إن لـم تـكـن أحـق بالحسـن فمـن
فـى ثـغـرهـا وخـدهـا وشـعـرهـا	المـاء والخـضـرة والـوجـه الحـسـن

***

وكعادة أم كلثوم مع القصائد.. فقد غيرت فى بعض كلمات هذه الأبيات حتى تتوافق مع اللحن المناسب لصوتها ، ففى البيت الأول .. غيرت كلمة «رآها» بدلاً من «رآه» ، وكلمة «مرة» .. بدلاً من كلمة «مقبلا».

وفى البيت الثانى غيرت أم كلثوم كلمة «تكن» بدلاً من كلمة «يكن» . أما البيت الثالث فقد شهد تغييراً كبيراً إذ استبدلت أم كلثوم كلمات الشطر الأول منه بكلمات أخرى جديدة تمامًا .. حيث أصبح هذا الشطر يقول: «فى ثغرها وخدها وشعرها» .. بدلاً من : «فى جسمه وصدغه وشكله»..!!

***

وما دمنا قد ذكرنا شاعرين كبيرين هما صفى الدين الحلى الذى نسبت إليه هذه الأبيات ظلماً، وصاحبها الأصلى هو الشاب الظريف.. فقد رأينا تكريمًا لهما معاً .. إلقاء بعض الأضواء المبهرة على سيرة حياتهما الخاصة والأدبية.

بالنسبة لصفى الدين الحلى وليس الحلبى، فهو شاعر غير مصرى المولد ولا النشأة ولا الحياة.. لكنه اتصل بملوك مصر، ومدحهم .. وهو يدعى وفق الإجماع «عبد العزيز بن سرايا بن على»، ولد بمدينة الحلة إحدى مدن الفرات فى عام ٦٧٧هـ ، ونشأ بها وأجاد الشعر صبيًا .. ثم رحل إلى مصر فى عام ٧٢٦ هـ ، ومدح السلطان بن قلاوون بعدة قصائد .. كان من أشهرها قصيدة عارض فيها المتنبى فى قصيدته التى مطلعها:

بأبى الشموس الجانحات غواربا   اللابسات من الحرير جلابيا [(١)]

***

وأما شاعرنا الثانى: الشاب الظريف.. صاحب الكلمات التى شدت بها أم كلثوم فيدعى محمد شمس الدين بن سليمان عفيف الدين الكوفى التلمسانى .. وقد ولد بالقاهرة فى شهر جمادى الآخر سنة ٦٦١ هـ ، ومنبت أسرته بتلمسان من بلاد الغرب[(٢)].

وهو ابن الشاعر الصوفى التلمسانى الأصل المصرى الدار عفيف الدين.. ورغم أن الشاب الظريف ولد بمصر وعاش بها فترة طويلة من الزمن مع والده عفيف الدين .. إلا أنه انتقل للعيش فى دمشق وبقى بها حتى مات فى الثامنة والعشرين من عمره[(٣)].

ولقد لقب بالشاب الظريف لخلاعته ولهو فيه ولرقة أخلاقه وظرفه فى نفسه .. كما عاش طيلة حياته فى دور السلاطين الذين يعرفون فى التاريخ بالمماليك.. كما اتصل كذلك ببعض الأمراء والعظماء من المصريين والشاميين. كقاضى القضاة وبعض أمراءبنى أيوب وآل عبد الظاهر ومدحهم ببعض قصائده. ولقد ولى شاعرنا عمالة الخزانة فى دمشق ولذلك انتقل إليها وعاش بها حقبة طويلة ، ويبدو لذلك أنه لم يل عملاً بالديار المصرية.

ورث الشاب الظريف الأدب والشعر عن والده الشاعر الكبير وبرع فيه حتى تفوق فيه شابًا.. إذ قال عنه ابن تغرى بردى «كان شابًا فاضلاً ظريفًا، وشعره فى غاية الحُسن والجودة وديوان شعره مشهور بأيدى الناس» كما اشتهر ديوانه وتداوله بعض الأدباء فى عصره ونقل عن نسخة بخط يده أشار إليها صلاح الدين الصفدى فى كتبه المختارة . وأكثر شعره فى الغزل الرقيق والوصف.

---

(١) قصة الأدب فى مصر - تأليف د. محمد عبد المنعم خفاجي.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الأدب فى العصر المملوكى - د. محمد زغلول سلام - ج(٣).

الفصل الثاني :

شعراء معاصرون
من البلاد العربية والإسلامية

١ - الأمير عبد الله الفيصل.. من السعودية

٢ - نزار قبـــانى.. من سوريا

٣ - الهادي آدم.. من السودان

٤ - على أحمد باكثير.. من اليمن

٥ - أحمد العدوانـــى .. من الكويت

٦ - جورج جرداق .. من لبنان

٧ - محمد إقبال .. من باكستان

١ الأمير عبد الله الفيصل

شاعر من السعودية

تمثل أعمال الشاعر السعودى الأمير عبد الله الفيصل نقطة تحول هامة فى مسيرة حياة أم كلثوم مع شعراء القصائد العربية، وذلك من عدة جوانب.. من أهمها، أنه يعتبر أول أمير عربى مارس السياسة، وينتهى نسبه إلى إحدى الأسر الحاكمة - الآن فى المملكة السعودية - حيث كان والده المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية الراحل.

هذا الأمير تغنت أم كلثوم بكلمات من إحدى قصائده. كما يعتبر فى الوقت نفسه أول شاعر عربى فى العصر الحديث تشدو بكلماته أم كلثوم، وذلك بعدما قطعت مشواراً طويلاً مع شعراء القصيدة العربية من القدامى، وكما سبق وذكرنا ذلك من قبل.

ولقد غنت كوكب الشرق أم كلثوم للأمير عبد الله الفيصل قصيدتين طويلتين إحداهما فى عام ١٩٦٢ بعنوان «ثورة الشك» .. والثانية فى عام ١٩٧١ بعنوان «من أجل عينيك».

وعندما رجعلنا إلى الديوانين المنشور فيهما هاتين القصيدتين، وجدنا كالعادة أشياء كثيرة مختلفة وملاحظات هامة تستحق أن نتوقف أمامها طويلاً، وكما هو معروف فإن رحلتنا عبر هذه الكلمات تبدأ دائماً بإلقاء الضوء المبهر على ما شدت به أم كلثوم من كلمات .. ثم بعد ذلك نواصل المسير نحو الهدف المطلوب، للتحقق مما حدث من تعديلات أجريت على هذه القصيدة أو تلك!

***

ففى عام ١٩٦٢ غنت سيدة القصيدة العربية أم كلثوم كلمات اختارت لها عنوانًا يقول «ثورة الشك» للأمير عبد الله الفيصل.. وقد لحنها أمير الموسيقى العربية رياض السنباطى، وتقول هذه الكلمات:

أكاد أشك فى نفسى لأنى ... أكاد أشك فيك وأنت منى
يقول الناس إنك خنت عهدى ... ولم تحفظ هوايا ولم تصنى
وأنت منايا أجمعها مشت بى ... إليك خطى الشباب المطمئن

يكذب فيك كل الناس قلبى	وتسمع فيك كل الناس أذنى
وكم طافت علىّ ظلال شك	أقضت مضجعى واستعبدتنى
كأنى طاف بى ركب الليالى	يحدث عنك فى الدنيا وعنى
على أنى أغالط فيك سمعى	وتبصر فيك غير الشك عينى
وما أنا بالمصدق فيك قولاً	ولكنى شقيت بحسن ظنى
وبى مما يساورنى كثير	من الشجن المؤرق لا تدعنى
تعذب فى لهيب الشك روحى	وتشقى بالظنون وبالتمنى
أجبنى إذ سألتك هل صحيح	حديث الناس ألم تخنى
أكاد أشك فى نفسى لأنى	أكاد أشك فيك وأنت منى

وفى الديوان الذى نشرت به هذه القصيدة والذى صدر فى عام ١٩٥٤ تحت عنوان «محروم - وحى الحرمان» لاحظنا أن هذه القصيدة قد أصابها بعض التغيير الذى أدخلته أم كلثوم وشاركها الملحن رياض السنباطى، بعد استشارة الشاعر عبد الله الفيصل الذى قيل وقتها أنه جاء إلى القاهرة لإجراء هذه التعديلات.

فقد اختارت أم كلثوم عنوانًا لهذه القصيدة.. وهو «ثورة الشك» بدلاً من عنوانها المكتوب بالديوان وهو «عواطف حائرة».. كما اختارت أم كلثوم من القصيدة الأصلية الأبيات الثلاثة الأولى، وأهملت الأبيات من الرابع حتى السادس.. وهى الأبيات التى يقول فيها الشاعر:

وقد كاد الشباب لغير عود	يولى عن فتى فى غير أمن
وها أنا فاتنى القدر الموالى	بإصلاح الشباب ولم يفتنى
كأن صباى قد ردت رواه	على جفنى المسهد أو كأنى [1]

ومن بعد هذه الأبيات الثلاثة واصلت أم كلثوم اختيار كلمات وأبيات هذه القصيدة وفق ما ارتضاه المؤلف من ترتيب.

ومعنى ذلك أن العدد الكلى لأبيات هذه القصيدة وفق ما كتبه الشاعر.. ونشره فى ديوانه المنوه عنه.. هو أربعة عشر بيتًا.. أما أم كلثوم فقد غنت من هذه الأبيات اثنتى عشر بيتًا فقط.

***

(١) (ديوان : محروم - وحى الحرمان) ص٥٨دار المعارف فى بيروت - طبع عام ١٩٥٤.

وهناك ملحوظة هامة لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق .. وهى أن هذا التبديل والتعديل لم يؤثر كثيراً فى سير أحداث القصيدة. سواء ونحن نسمعها بصوت أم كلثوم أو حتى حين نقرؤها من ديوان الأمير عبدالله الفيصل، وهنا تكمن العبقرية ويظهر الإعجاز!

***

وبعد نجاح قصيدة «ثورة الشك» أو «عواطف حائرة» ، وبعد مرور أكثر من تسع سنوات على تقديم أم كلثوم لتلك القصيدة عادت كوكب الشرق لتختار قصيدة ثانية من تأليف الشاعر الأمير عبد الله الفيصل، وهى التى تغنت بكلماتها فى عام ١٩٧١ تحت عنوان «من أجل عينيك» من تلحين رياض السنباطى أيضاً

وتقول كلماتها:

من أجل عينيك عشقت الهوى ... بعد زمان فيه الخلى
وأصبحت عينى بعد الكرى ... تقول للتسهيد لا ترحلى
يا فاتنًا لولاه ما هزنى وجد ... ولا طعم الهوى طاب لى
هذا فؤادى فامتلك أمره ... فاظلمه إن أحببت أو فاعدل

***

من بريق الوجد فى عينيك ... أشعلت حنينى
وعلى دربك أنى رحت ... أرسلت عيونى
والرؤى حولى غامت ... بين شكى ويقينى
والمنى ترقص فى قلبى ... على لحن شجونى

***

أستشف الوجد فى صوتك ... آهات دفينة
تتوارى بين أنفاسك كى ... لا استبينه
لست أدرى أهو الحب ... الذى خفت شجونه
أم تخوفت من اللوم ... فآثرت السكينة

***

ملأت لى درب الهوى بهجة | كالنور فى وجنة صبح ندى
وكنت أن أحسست بى شقوة | تبكى كطفل خائف مجهد
وبعد ما أغويتنى لم أجد | إلا سرابًا عالقًا فى يدى
أهوى على قلبى يغتاله | فى قسوة أعنف من حسدى

***

لا تقل أين ليالينا | وقد كانت عذابًا
لا تسلنى عن أمانينا | وقد كانت سرابًا
إننى أسدلت فوق الأمس | سترًا وحجابًا
فتحمل مر هجرانك | واستبق العتابا

***

لم أجن منه غير طيف سرى | وغاب عن عينى ولم أهتدى
كم تضاحكت عندما كنت أبكى | وتمنيت أن يطول عذابى
كم حسبت الأيام غير غوال | وهى عمرى وصبوتى وشبابى
كم ظننت الأنين بين ضلوعى | رجع لحن من الأغانى العذابى
وأنا أحتسى مدامع قلبى | حين لم تلقنى لتسأل ما بى

***

وفى الديوان الذى صدر تحت عنوان «حديث قلب» .. أخذنا فى البحث عن أصل هذه القصيدة لأجل الوصول إلى تأصيل حقيقى لها من واقع ما سطره الشاعر عبد الله الفيصل.. وما إذا كانت هناك تعديلات جوهرية قد أجرتها أم كلثوم على هذه القصيدة .. أم غنتها كما هى .. وكما كتبها الشاعر.

ومن أعجب ما عثرنا عليه داخل هذا الديوان الذى طبع فى عام ١٩٧٠ .. وجود عدة أصول لقصيدة «من أجل عينيك» وليس أصل واحد! ، أو بمعنى آخر وجدنا أن هذه القصيدة التى غنتها أم كلثوم بهذا العنوان .. هى فى الحقيقة مجموعة من القصائد!!

فقد أخذت أم كلثوم تنتقى من عدة قصائد من تأليف الأمير عبد الله الفيصل . عدة أبيات.. أطلقت عليها فى النهاية اسم «من أجل عينيك» ، مع أن القصيدة الأصلية والتى

نشرت بالعنوان ذاته فى الديوان نفسه موجودة .. وعدد أبياتها تسعة عشرة بيتًا، إلا أن كوكب الشرق قد اختارت من هذه القصيدة .. أربعة أبيات فقط.. اثنان فى أول القصيدة وهما:

من أجل عينيك عشقت الهوى ... بعد زمان كنت فيه الخلى
وأصبحت عيناى بعد الكرى ... تقول للتسهيد لاترحلى

أما البيتين الأخيرين فقد اختارتهما أم كلثوم من الجزء الثانى من نفس القصيدة.. وهما

يا فاتناً لولاه ماهزنى ... وجد ولاطعم الهوى طاب لى
هذا فؤادى فامتلك أمره ... وأظلمه إن أحببت أو فأعدل

والغريب فى هذا الاختيار.. أن البيتين المذكورين جاءا بلا ترتيب فى القصيدة المنشورة بالديوان.. بمعنى .. أن البيت الذى تقول فيه: «يا فاتنا لولاه ماهزنى» .. كان يتلوه بيت آخر ومطلعه يقول: «يا من على أقدامه بُعثرت» .. أما البيت الذى مطلعه. «هذا فؤادى فامتلك أمره» فقد جاء ترتيبه السادس !!.

وأما الأكثر غرابة فى هذا الإختيار أن الجزء الثانى مما غنته أم كلثوم تحت عنوان «من أجل عينيك.. وعدد أبياته أربعة .. نشر فى الديوان ضمن قصيدة أخرى بعنوان «بريق الوجد» !! وهو الجزء الذى تقول فيه:

«من بريق الوجد فى عينيك أشعلت حنينى»!

ثم ضمت إليه الجزء الثالث من القصيدة نفسها والذى تقول فى مطلعه:

«أستشف الوجد فى صوتك آهات دفنيه»!

والجزء الرابع الذى تقول فيه أم كلثوم: «ملأت لى درب الهوى بهجة» فقد اختارته من قصيدة ثالثة بعنوان: «كأس الخداع» !!

وقد غيرت فيه بعض الكلمات.. وحتى يتمشى مع الألحان.. فاختارت كلمة «ملأت» بدلاً من «فرشت» !. وكلمة «بهجة» بدلاً من كلمة «زاهياً»، هذا ما حدث فى البيت الأول من هذا الجزء.. أما بالنسبة للبيت الثانى .. فقد اختارت كلمة «شقوة» بدلاً من «لوعة» ! ،.. ليس هذا فقط .. بل ونراها قد أهملت بيتاً.. ذكره الشاعر وسط هذه الأبيات وهو الذى قال فيه:

لو مَلّتِ الأنجم تسهادها ماهزك الشوق إلى المرقد

وأما الجزء الخامس والذى تقول فى مطلعه أم كلثوم: لاتقل أين ليالينا»!

فقد اختارت أبياته وعددها أيضاً أربعة من قصيدة رابعة بعنوان «المغيب» !!، كما غيرت كذلك فى بعض كلماته .. إذ اختارت كلمة «ليالينا» بدلاً من كلمة » عشايانا» فى البيت الأول من هذا الجزء ..

وفى البيت الثانى اختارت كلمتى «كانت سرابا» بدلا من كلمتى «أمست يبابا»!، وفى البيت الثالث استبدلت كلمة «أننى أسدلت» بدلاً من كلمة «فلقد ألقيت» .. وفى البيت الأخير غيرت كلمة «وزر» .. واختارت بدلا منها كلمة «مُر»!

والجزء الأخير من قصيدة «من أجل عينيك» التى شدت بها أم كلثوم من تأليف الشاعر السعودى الأمير عبد الله الفيصل .. فقد اختارته أيضاً من قصيدة له بعنوان «دورة الأيام» والتى يقول هو فى مطلعها.

لاتحاول خداع قلبى العليل بالحديث المنمق المعسول

وقد شمل هذا الجزء أيضاً تغييراً فى بعض كلماته .. إذ بدلت أم كلثوم فى البيت الثانى من هذا الجزء كلمة «عذابى» بدلا من «انتحابى» وفى البيت الرابع غيرت فى السطر الثانى فأصبح :«رجع لحن من الأغانى العذابى بدلاًمن : «نغماً تلتقيه بالترحاب »!

وفى البيت الخامس والأخير من هذا الجزء من القصيدة .. اختارت أم كلثوم كلمة: «وأنا أحتسى مدامع قلبى» .. بدلاً من :«كنت أحسو من غيرتى دمع قلبى»!، وفى الشطر الثانى غيرت كلمة «لم تلقنى» .. بدلاً من «لم تأتى»!

***

وبحسبة بسيطة يتضح لناأن قصيدة« من أجل عينيك »التى شدت بها أم كلثوم .. قد اختارت كلماتها من خمس قصائد !!.. وقد وافقها المؤلف الشاعر عبدالله الفيصل على ذلك!، والدليل ما تناقلته الصحف والمجلات الصادرة آنذاك. حيث قالت هذه الصحف:«وسوف يحضر المؤلف إلى القاهرة للاستماع إلى الأغنية. كما سيقابل أم كلثوم بعد الوصلة الأولى حيث تكون قد انتهت من تقديم قصيدته..[١].

***

(١) جريدة الجمهورية فى ١٩٧١/١/٦.

وكما تعودنا معاً من قبل.. كان لابد من كتابة إطلالة عن هذا الشاعر الأمير.. من أجل أن تكتمل الفائدة المرجوة من وراء هذا العمل .. ومما لاحظناه أن الشاعر قد أشار إلى بعض ملامح حياته فى مقدمة ديوانه «وحى الحرمان» وقد اختار لها عنوانا تقول كلماته . «أجل .. أنا محروم» !، ومما ذكره فى هذا الشأن قوله :«قبل أن أتخطى السنة الأولى من عمرى أبعدت الظروف أبى عنى سنوات كثيرة متعاقبة لاشتغاله بالحرب والغزوات وشد أزر أبيه وتوطيد ملكه»[١] .

ولد الشاعر عبدالله الفيصل فى مدينة الرياض فى عام ١٩٢٢ ، وهو من الأسرة السعودية الحاكمة، فهو نجل أو الابن الأكبر لشهيد الإسلام الملك فيصل وجده هو الملك عبدالعزيز آل سعود، ووالدته هى الأميرة سلطانة السديرى.

عاش الشاعر السنوات الخمس الأولى من حياته فى كنف جده الملك عبدالعزيز فى الرياض، وقد اختاره فيما بعد رغم حداثه سنة وزيراً للداخلية ثم وزيراً للحج، ثم انتقل بعد ذلك إلى مكة حيث عاش فى كنف والده الملك فيصل الذى كان آنذاك نائب الملك على الحجاز.

(١) الديوان السابق الإشارة إليه.

٢ نزارقباني

شاعرمن سوريا

كانت خطوة جريئة بحق تلك التى أقدمت عليها كوكب الشرق أم كلثوم حين اختارت كلمات من قصائد الشاعرالسورى المولد واللبنانى الإقامة نزار قبانى ، بل ونستطيع القول فى السياق نفسه أنها كانت بالفعل مغامرة عظيمة من فنانة عظيمة، إذ اختارت لشاعر الحب والمرأة والحرير والعطور ، كلمات وطنية لكى تشدو بها.. على عكس ما كان متوقعاً، وهى الفنانة رقيقة المشاعر التى تغنت بالحب والآهات لأكثر من أربعين عاماً.

وكأنما كانت تريد بهذا الاختيار الغريب توصيل مضمون رسالة إلى كل الفنانين فى كل العصور .. بأن الفن لايعرف المستحيل وكذلك لايعرف الحدود أو الفواصل السياسية أوالجغرافية.

وعلى الرغم من أن اختيار سيدةالقصيدة العربية أم كلثوم لكلمات من قصيدتين كبيرتين للشاعر نزار قبانى، قد جاء متأخراً إلى حد ما، فقد كان هذا الاختيار موفقاً إلى حد بعيد، ومواكباً أيضاً لاثنين من أهم أحداثنا السياسية المحلية والعربية.. وهما اندلا ع الانتفاضة الفلسطينية ضد إسرائيل فى عام ١٩٦٩ ، فاختارت أم كلثوم كلمات من قصيدة نزار قبانى «طريق واحد» وغنتها تحت عنوان «أصبح الآن عندى بندقية» ، وعندما رحل جمال عبدالناصر اختارت كوكب الشرق كلمات القصيدة الثانية لنزار قبانى لكى تغنيها تحت عنوان «رسالة إلى والدنا عبدالناصر» !

***

وكان لكل من هاتين القصيدتين حكاية بدأت مع الكلمات وانتهت بالألحان مع صوت أم كلثوم، ولكن ما هى تفاصيل هذه الحكاية ؟ ذلك ما سوف نعرفه بعد لحظات ومن خلال الكلمات التالية:

بالنسبة لقصيدة «طريق واحد» .. والتى أصبح اسمها :«عندى بندقية» كما يقول مطلعها. فقد شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٩ كما سبق ذكرنا، وسجلتها أيضاً فى نفس العام على اسطوانة صوت القاهرة من ألحان الموسيقار محمد عبدالوهاب .

وتقول كلمات هذه القصيدة البالغ عددها ثمانية عشر بيتاً وفق منظور الشعر الحديث:

أصبح عندى الآن بندقية
إلى فلسطين خذونى معكم
إلى رُبى حزينة كوجه مجدلية
إلى القباب الخُضر والحجارة البنية
عشرون عاماً وأنا أبحث
عن أرض .. وعن هوية
أبحث عن بيتى الذى هناك
عن وطنى المحاط بالأسلاك
عن كتبى.. عن صورى
عن كل ركن دافىء.. وكل مزهرية
إلى فلسطين خذونى معكم يا أيها الرجال
أريد أن أعيش أو أموت كالرجال
أصبح عندى الآن بندقية
أصبحت فى قائمة الثوار
أفترش الأشواك والغبار
وألبس المنية
وأنا مع الثوار أنا مع الثوار
من يوم أن حملت بندقيتى
أبحث عن طفولتى
صارت فلسطين على أمتار
يا أيها الثوار فى القدس فى الخليل فى بيسان فى الأغوار
فى بيت لحم حيث كنتم أيها الأحرار
تقدموا... تقدموا
إلى فلسطين طريق واحد
يمر من فوهة بندقية
إلى فلسطين طريق واحد..

***

وقد كلفت أم كلثوم موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب بوضع اللحن المناسب لهذه القصيدة الوطنية.. وذلك بعد حذف واختيار واستبدال بعض الكلمات بعد استشارة مؤلفها نزار قبانى. إذ اكتشفنا حين رجعنا كالعادة إلى الديوان المنشور فيه هذه القصيدة وجود تغيير ملحوظ قد حدث، وذلك حتى تتوافق الكلمات مع صوت أم كلثوم.

ومما لاحظناه فى هذا السياق أن كوكب الشرق قد أهملت بعض الأبيات، واختارت البعض الآخر، فقد بدأت هذه القصيدة وفق ما سطره نزار قبانى بقوله:

أريد بندقية

خاتم أمى بعته

من أجل بندقية

ويستمر نزار فى كلمات هذه المقدمة على هذا المنول حتى قوله:

قصائد الشعر التى حفظنا

ليست تساوى درهماً

أمام بندقية

وقد اختارت أم كلثوم حين غنت هذه القصيدة، بداية مختلفة تماماً إذ بدأت من الجزء الثانى من القصيدة والذى تقول كلماته:

أصبح عندى الآن بندقية

وكذلك غيرت أم كلثوم فى بعض كلمات هذا الجزء، فاستخدمت كلمة «وطنى» بدلاً من «بيتى» .. فى البيت الذى يقول فيه الشاعر..

أبحث عن بيتى الذى هناك

ليس هذا فقط .. بل اتضح لنا أن أم كلثوم قد أهملت عدة أبيات من الجزء الثالث وهى التى يقول فيها نزار:

أريد أن أنبت فى ترابها.. زيتونة أو حقل برتقال

أو زهرة شذية

قولوا لمن يسأل عن قضيتى

بارودتى .. صارت هى القضية

وأما بالنسبة للجزء الرابع من هذه القصيدة، فقد أهملت فيه أم كلثوم أيضاً عدة أبيات.. قالها نزار قبانى فى ذات القصيدة ونشرها فى ديوانه المنوه عنه.

وهذه هى الأبيات:

مشيئة الأقدار لاتردنى

أنا الذى أغير الأقدار

وكذلك البيت الذى يقول فيه الشاعر:

قصة السلام مسرحية

والعدل مسرحية

ولو رجعنا مرة أخرى للاطلاع على هذه التعديلات والوقوف أمامها بهدوء.. سوف نلاحظ كذلك شيئين هامين .. الأول أن أم كلثوم أرادت من وراء اختيار هذه الأبيات .. اختصار وقت غناء القصيدة. كما استهدفت من وراء ذلك أيضاً ألا تدخل نفسها فى مواقف سياسية قد تجر عليها بعض المشاكل إذا ما غنت كلمات نزار قبانى بلا تعديل، الذى كان يقصد من وراء ذلك وصف أوضاع بعينها سواء داخل مصر أو خارجها.

وكانت أم كلثوم فى ذلك محقة كل الحق. لأن هدفها فى الأساس هو هز الوجدان العربى واستثارته للوقوف فى وجه العواصف بلاخوف مستظلاً بصوتها وبحنجرتها القوية.

وعلى أية حال، فقد وصلت براعة أم كلثوم فى مجال اختصارها لهذه القصيدة حداً، جعلنا لم نلاحظ فيه أية خلل.. وكان ذلك دائما هو نهجها منذ أن أقدمت على غناء القصائد العربية مع مطلع العشرينيات من هذا القرن.. وقد لمسنا ذلك نحن بالفعل.

***

وماحدث فى القصيدة الأولى فى عام، ١٩٦٩ . حدث كذلك للقصيدة الثانية التى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٧٠ فور رحيل الرئيس جمال عبدالناصر.. إذ غيرت أم كلثوم من اسم القصيدة وبعض كلمات فى أبياتها.

وهذه القصيد التى غنتها تقول:

والدنا جمال عبدالناصر
عندى خطاب عاجل إليك
من أرض مصر الطيبة
من ليلها المشغول بالفيروز والجواهر
ومن مقاهى سيدى الحسين من حدائق القناطر
من ترع النيل التى تركتها حزينة الضفائر
عندى خطاب عاجل إليك
من الملايين التى تيمها هواك
من الملايين التى تريد أن تراك
عندى خطاب كله أشجان
لكننى .. لكننى يا سيدى
لا أعرف العنوان.
والدنا جمال عبدالناصر
وساعة الجدار.. من ذهولها.. ضيعت الأيام
يا من سكنت الوقت والتاريخ والأيام
عندى خطاب عاجل إليك
لكننى .. لكننى يا سيدى
لا أجد السلام.. لا أجد الكلام!
والدنا جمال عبد الناصر
الحزن مرسوم على الغيوم، والأشجار، والمنابر
وأنت سافرت ولم تسافر
فأنت فى رائحة الأرض وفى تفتح الأزهار
فى صوت كل موجة، وصوت كل ثائر

فى كتب الأطفال، فى الحروف، فى الدفاتر

فى خُضرة العيون وارتعاشة الأساور

فى صدر كل مؤمن، وسيف كل ثائر

عندى خطاب عاجل إليك

لكننى ـ لكننى ياسيدى

تسحقنى مشاعرى

الزرع فى الغيطان، والأولاد فى البلد

ومولد النبى

والمآذن الزرقاء

والأجراس فى يوم الأحد

وهذه القاهرة التى غنت

كزهرة بيضاء فى شعر الأبد

يسلمون كلهم عليك

يقبلون كلهم يديك

ويسألون عنك كل قادم إلى البلد

متى تعود للبلد ؟!

حمائم الأزهر، يا حبيبنا تهدى لك السلام

معديات النيل، ياحبيبنا ، تهدى لك السلام

والقطن فى الحقول والنخيل والغمام

جميعها.. جميعها تهدى لك السلام

كرسيك المهجور فى منشية البكرى يبكى فارس الأحلام

والصبر لا صبر له

والنوم.. لاينام

يا أيها المعلم الكبير.. كم حزننا كبير

كم جرحنا كبير

لكننا نقسم بالله العلى القدير

أن نحبس الدموع فى الأحداق

ونخنق العبرة

نقسم بالله العلى القدير

أن نحفظ الميثاق ونحفظ الثورة.

وعندما يسألنا أولادنا

من أنتم؟.. فى أى عصر عشتم؟!

فى عصر أى ملهم؟... فى عصر أى ساحر؟

نجيبهم : فى عصر عبد الناصر

الله .. ما أروعها شهادة

أن يوجد الإنسان فى زمان عبدالناصر.

***

وأما بالنسبة لأهم التعديلات التى أجريت من قبل أم كلثوم وملحنها الموسيقار الكبير رياض السنباطى فقد اختارت أم كلثوم عنوان «خطاب» بدلاً من العنوان الذى اختاره الشاعر وهو «رسالة إلى جمال عبدالناصر» كما أجرت بعض التعديلات على كلمات هذه القصيدة. . بما يناسب اللحن والصوت.

وقد تعمدت فى هذا السياق أن تكرر الشطرالذى بدأت به القصيدة وهو غير موجود أصلاً .. وهذا الشطر تقول فيه :«والدنا عبدالناصر» كما استبدلت كلمة «هذا خطاب» بكلمتى: «عندى خطاب».

وهذه التعديلات نفسها.. قد لفتت أنظار الصحفيين الذين تابعوا لحن هذه القصيدة . وقد كتبوا عن ذلك فى حينه، فنشرت إحدى الصحف اليومية فى يوم ١٧ نوفمبر من عام ١٩٧٠ تحت عنوان : أم كلثوم تختزل قصيدة نزار لتذاع فى ٩ دقائق .. تقول:

اختارت أم كلثوم لأغنيتها الجديدة التى كتبها الشاعر نزار قبانى اسم «خطاب» بدلاً من «رسالة إلى عبدالناصر» .. كما اختصرت شطراتها لتذاع فى مدة لاتزيد عن تسع دقائق، وفى الوقت نفسه عدلت فى بعض الكلمات مثل «أدمنت هواك» .. لتصبح «تيمها

هـــواك».. وكـلـمـة «المنـابـر» بـدلاً من «الـسـتـائـر» «وصـوت كـل ثـائـر» بـدلاً من «كـل طائر..»[١].

كما أشارت هذه الصحيفة إلى أن القصيدة من تلحين رياض السنباطى الذى أجرى سبعة عشرة بروفة لام كلثوم من قبل أن تشدوبها.

***

ورغم أن شاعر الحب والنساء والحرير والشباب معروف لنا جميعاً باعتباره أحد رواد الشعر الحديث فى اللغةالعربية.. إلا أننا سوف نقدم عنه الشىء اليسير من لمحات حياته الخاصة والأدبية.

فقد ولد الشاعر نزار قبانى فى مدينة دمشق فى شهر مارس عام ١٩٢٢ وتخرج من كلية الحقوق، ليشغل عدداً من المناصب الدبلوماسية فى العديد من بلاد العالم منها القاهرة وأنقرة ولندن.

بدأ نزار مشواره مع الشعر وهو فى الرابعة عشرة من عمره.. كما صدر ديوانه الأول بعنوان «قالت لى سمراء».. فى عام ١٩٤٥، وكان لصدوره ثورة وضجة إذ تحدث فيه بوضوح غير مسبوق عن العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة.

وعندما ظهر ديوانه الثانى «طفولة نهد» حدث تغيير أساسى وواضح فى إسلوبه.. إذ تحول من الجنس إلى الحب، وهذا اللون الجديد من الشعر تأثر به نزار قبانى عن الشاعر الفرنسى «جاك بريفير».

وقد أتم نزار قبانى نضوجه الشعرى فى ديوان «قصائد» إذ اتجه فيه اتجاهاً موضوعياً.. مع ما تعامل به من قضايا.. من أهمها التعبير عن مأساة المرأة والجريمة.

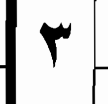
ويؤكد الشاعر نزار القبانى أن كل قصائده مستوحاه من تجاربه الخاصة.. حيث لا يؤمن بالتجربة المستعارة. كما أكد فى سيرته الذاتية أن مهمته الأولى: «حين بدأت الكتابة أن أحرر الشعر من كل السلطات غير البشرية وعلى رأسها سلطة الملائكة وسلطة الشياطين»[٢].

رحل نزار قبانى عن عالمنا فى ٣٠ أبريل عام ١٩٩٨ تركاً وراءه رصيداً كبيراً من الإنتاج الشعرى ومن الكتابات الأدبية الأخرى، وذلك عن عمر يناهز الخامسة والسبعين إلا أشهر قليلة!..

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٧٠/١١/١٧.

(٢) جريدة الحياة فى ١٩٩٨/١/١٦.



الهادى آدم

شاعر من السودان

مما هو ملاحظ بشأن تعامل كوكب الشرق أم كلثوم مع شعراء القصائد العربية فى العصر الحديث.. أنها كانت تلجأ كثيراً إلى تغيير كلمات وشطرات كثيرة فى هذه القصائد !. إلى درجة أنها كانت تلجأ أحياناً لهذا الشاعر أو ذاك لكتابة أبيات جديدة لم تكن منشورة فى ديوانه الذى نشر به هذه القصيدة! وذلك إرضاء لأم كلثوم ولملحن هذه القصائد!.

ويبدو أن ممارستها الطويلة لغناء هذه القصائد قد مكنها من ذلك، لدرجة تمكنها من إقناع شعرائها بإجراء هذه التعديلات بلا أدنى اعتراض!.

ولانستطيع أن نقول أن سبب ذلك يرجع فقط إلى إمنية الشاعر العربى وحبه لصوت أم كلثوم . الذى سوف يساهم فى نشر كلماته ويشتهر هو نفسه من خلال حنجرتها الذهبية، وجمهورها العريض، وإن كان ذلك السبب غير بعيد عن المناقشة!

والغريب أن أم كلثوم لم تستثنى من هذه القاعدة حتى الشعراء الكبار من أمثال الأمير عبد الله الفيصل ونزار قبانى!، بل والأكثر غرابة.. أننى أتصور أن هذا الشاعر أو ذاك بعدما يستمع لكلماته من صوت أم كلثوم يود أن يعيد نشر هذه القصيدة بالكلمات الجديدة فى ديوانه الذى نشرت به القصيدة من قبل إجراء هذه التعديلات!.

ويعتبر الشاعر السودانى الهادى آدم من أكثر الشعراء العرب المعاصرين الذين عاشوا هذه التجربة مع أم كلثوم .. وذلك عندما غنت له قصيدته «أغداً ألقاك».

وقد نتعجب حين تعرف أن هذا الشاعر قد اضطر إلى تغيير أبيات بأكملها، بل وتغيير شطرات من أشعاره فى هذه القصيدة حتى تغنيها أم كلثوم. وقد جاء إلى القاهرة من أجل هذا الغرض بعدما اختارت كوكب الشرق إحدى قصائده وفق ما رواه الشاعر والكاتب الصحفى صالح جودت.

ليس هذا فقط، بل إن لاختيار أم كلثوم هذه القصيدة بالذات قصة طريفة يرويها شاهد عيان.. كان حاضراً وقت الاتفاق على هذا الاختيار.

ففى عام ١٩٧٠ نشر الشاعر صالح جودت فى إحدى مقالاته الأسبوعية يقول: إنه بعد أن غنت أم كلثوم حفلتيها فى السودان فى العام الأسبق عادت من هناك تحمل فى صدرها شحنة دافقة من الحب للسودانيين وقالت لى يومئذ: إن البلاد العربية جميعاً تعيش مع مصر فى محنة النكسة، ولكن أعمقهم شعوراً بها هم أهل السودان. إن مستوى الألم فى النفس السودانية هو نفس مستواه فى النفس المصرية، لقد كنت أدخل بيوتهم فأحس أنى فى بيتى وألتقى بهم فأشعر بأننى بين أهلى وعشيرتى »(١).

ثم أضاف فى حديثه ما يتعلق بشأن ماغنته أم كلثوم قائلاً: وسألتنى أم كلثوم كيف أستطيع أن أعلن عن حبى لأهل السودان، وقبل أن أجيبها قالت: بأن أغنى قصيدة للشاعر من السودان.

***

وكانت تلك الرغبة وفق ما رواه الشاعر صالح جودت هى الدافع الأساسى لدى أم كلثوم لكى تغنى فعلاً كلمات من أحدى قصائد أحد شعراء السودان المعاصرين.. ومن أجل هذا الغرض كلفت صالح جودت نفسه للبحث عن هذه القصيدة.. وهذا يتضح لنا مما قاله فى المقال السابق الإشارة إليه حين قال: «واتفقنا على أن نبحث عن القصيدة المنشورة، وطفت بمكتبات القاهرة واستعنت بالأصدقاء فتجمعت لدى سبعة دواوين لسبعة شعراء، ومضيت أدرسها ثم اخترت من كل منها قصيدة تتوفر فيها الصلاحية الغنائية. وأرسلت القصائد السبع لأم كلثوم لتفاضل بينها.

وبعد أيام سألتنى أم كلثوم أيهم أفضل قلت: لقد تركت لك مهمة المفاضلة، حتى لا أكون منحازاً لشاعر دون آخر، قالت: لقد أخترت واحدة منهم بالفعل ولكن لن أذكرها لك حتى أعرف رأيك، قلت: إذا كنت تصريين فإننى أفضل قصيدة الهادى آدم فهى أصلحهم للغناء.. قالت بخفة ظالها المعهود: برافوا علىّ أنا فهذه هى القصيدة التى اخترتها بالفعل».

***

(١) الكواكب فى ٢٦ /٥/ ١٩٧٠.

ومن بعد هذا الاختيار شدت أم كلثوم فعلاً بكلمات هذه القصيدة بعد أن وضع لها الألحان المتميزة محمد عبد الوهاب وهى التى تقول فيها كوكب الشرق:

أغـد ألـقـاك يـاخـوف فـؤادى مـن غـد ... يا لشوقى واحتراقى فى انتظار الموعد
آه كم أخشى غدى هذا وأرجوه اقترابا ... كنت أستدنيه لكن هبته لما أهابا
وأهلت فرحة القرب به حين استجابا ... هكذا احتمل العمر نعيما وعذاباً
مهجة حرى وقلباً مسه الشوق فذابا ... أغـــدا الـــــتــــاك.

***

أنت يا جنة حبى واشتياقى وجنونى ... أنت ياقبلة روحى وانطلاقى وشجونى
أغداً تشرق أضواؤك فى ليل عيونى ... آه من فرحة أحلامى ومن خوف ظنونى
كم أناديك وفى لحنى حنين، ودعاء ... يا رجائى أنا كم عذبنى طول الرجاء
أنت لولا أنت أنت لم أحفل بمن راح وجاء ... أنا أحيا فى غد الآن بأحلام اللقاء
فأت أو لا تأت أو فأفعل بقلبى ما تشاء ... أغـــدك الـــقـــاك

***

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر ... هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر
هذه الدنيا عيون أنت فيها البصر ... هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر
فارحم القلب الذى يصغو إليك ... فغداً تملكه بين يديك
وغداً تتألق الجنة أنهاراً وظلاً ... وغداً ننسى فلانأسى على ماض تولى
وغداً نسمو فلا نعرف للغيب محلا ... وغداً للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا
قد يكون الغيب حلواً ... إنما الحاضر أحلى

أغـــدك الـــقـــاك

***

ولقد شدت أم كلثوم بهذه القصيدة يوم الخميس ٦ مايو عام ١٩٧١ .. كما سجلتها على أسطوانة لصوت القاهرة فى العام نفسه.

وكالعادة حين رجعنا إلى ديوان الشاعر السودانى الهادى آدم و الذى نشر به هذه القصيدة، وجدنا أن ما نشر بالديوان شيء وما غنته أم كلثوم شيء مختلف تماماً !!، حتى أنه قد خيل إلىّ أن الشاعر السودانى قد اضطر لإعادة صياغة كلمات هذه القصيدة من جديد! وذلك إرضاء لأم كلثوم وشهرتها العريضة.

ففى الديوان المنوه عنه والذى صدر فى عام ١٩٦٢ تحت عنوان «كوخ الأشواق» عن إحدى دور النشر السودانية بالقاهرة وجدنا أن قصيدة «أغدا ألقاك» عنوانها الأساسى هو «الغد» !، وأن مطلعها هو :

أغداً ألقاك يا لهف فؤادى من غد وأحييك ولكن بفؤادى أم بيدى!

عندئذ أدركت وعلى الفور أن هناك العشرات من التعديلات التى طلبتها أم كلثوم من الشاعر الرقيق الأحاسيس.. وقد أشار صالح جودت نفسه -وهو الذى يعود إليه الفضل فى إختيارها إلى وجود هذه التعديلات ـ حيث قال :«وجاء الهادى آدم إلى القاهرة والتقى بأم كلثوم وكان معهامحمد عبد الوهاب . وقرأوا القصيدة مرة واثنين وثلاثاً وعشراً وعدلوا وبدلوا وقدموا وأخروا ، إلى أن استقروا على الصورة النهائية لهذه القصيدة. وقد بقيت فى أدراج أم كلثوم حوالى عام قبل أن تشدو بها..» !

***

ومما تجدر الإشارة إليه أن كم التعديلات التى إجريت على كلمات هذه القصيدة كبير لدرجة لم نعهدها فى غيرها من القصائد التى تغنت بها أم كلثوم، وأولى هذه التعديلات كما سبق وذكرنا كان فى عنوان القصيدة نفسها ثم شمل بعد ذلك الأبيات والكثير من كلمات هذه الأبيات.

ففى البيت الأول استبدلت أم كلثوم كلة «ياخوف».. بدلاً من «يالهف» !، كما غيرت الشطر الثانى من البيت نفسه بحيث أصبح يقول:

يا لشوقى واحتراقى فى انتظار الموعد..

بدلاً من ، وأحييك ولكن بفؤادى أم بيدى!

كما أهملت أم كلثوم ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة، نشروا بالديوان على هيئة شطرات منفصلة.. وهى التى يقول فيها الشاعر السودانى:

أم بطرف خاشع اللمح كليل مجهد

لست أدرى كيف ألقاك ولكنى صدى

ظامئ أرهقه البين وطول الأمد

***

ووفقا للترتيب العام للأبيات فى هذه القصيدة المنشورة بالديوان فقد بدلت أم كلثوم فى مواقع بعض هذه الأبيات، مثال ذلك أنها قدمت الأبيات التى تقول مطلعها: «أه كم أخش غدى هذا وأرجوه اقترابا» ..على الأبيات التى تقول فى مطلعها: «أنت ياجنة حبى واشتياقى وجنونى» !

وتزامن ذلك مع التعديل الذى أدخلته أم كلثوم على بعض كلمات هذه الأبيات..فنراها قد اختارت كلمات.:«أه كم أخشى» ... بدلاً من «أنا أخشى» وكذلك :«وأهلت فرحة القرب به» بدلاً من :« وتولت الدهشة القرب» .. وكلمة «أحتمل» بدلاً من «أستبطن» !

كما شهد الجزء الأخير من هذه القصيدة تغييرات كثيرة أيضاً سواء فى تغيير الكلمات نفسها أو فى إضافة أبيات جديدة كتبها الهادى آدم ولم تكن موجودة فى قصيدته المنشورة بالديوان المنوه عنه!

ففى الأبيات التى تقول فيها أم كلثوم: «هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر» ، كانت فى الأصل: «هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر» كما غيرت فى البيت الثانى كلمات «عيون أنت فيها البصر» !

***

والملاحظة الواجب الإشارة إليها هنا أن الشاعر السودانى.. قد اضطر بالنسبة للجزء الأخير من هذه القصيدة إلى إعادة صياغته بالكامل.. حتى تقبل أم كلثوم أن تشدو بها، ولك عزيزى القارىء أن تقارن بين ماكتبه هذا الشاعر وبين ماغنته أم كلثوم إذا ما رجعت لما نشير إليه حالاً بشأن ماكتبه وما نُشر فى ديوانه «كوخ الأشواق» ..

والكلمات التى كتبها الهادى آدم فى هذا الديوان تقول:

أنغـا بـاك ولـكـن ظـن كيـف تـشـاء	وأنـا ديـك ولـكـن نـداءاتـى دعـاء
يـارجـانـى أنا وحـدى أدنـى منـك الـرجـاء	أنا لولا أنت لمر أحفـل بمـن راح وجـاء
فغداً لا نـعرف الغـيب ولاماض تـولى	وغداً لايـعرف القـلب لهذيـن مـحـلا
وغـداً تـصطـخب الجـنـة أنـهـاراً وظـلاً	وأحـبيـك ولـكـن بفـؤادى ليـس.. إلا!

***

إنه ولاشك مجهود كبير بذله الشاعر الهادى آدم حتى تصل كلماته إلى صوت وحنجرة كوكب الشرق أم كلثوم ، وكذلك إلى آذان الملايين من عشاقها.. كماكتبت له فى الوقت نفسه شهادة بقاء أبدى فى عالم الشهرة وعالم قصائد الشعر!.

ومن أجل ذلك رأينا ضرورى أن نقدم له باقة كلمات. قد سطر بعضها عن نفسه.. واستكملنا البعض الآخر، وقد استهل ماكتبه عن نفسه فى مقدمة ديوانه «كوخ الأشواق» بقوله : «لعل من أصعب الأشياء أن يقدم المرء نفسه بنفسه .. ولكن لايقل عن ذلك حرجاً أن يدع غيره يحدثه عن خلجات نفسه، وقد اخترت الأولى على الثانية، ولى من الأصدقاء الأجلاء من يشرفنى أن يقدموا شعرى للناس فما عساى أن أقول »(١).

ومن أهم ما قيل من معلومات عن هذا الشاعر.. أن اسمه بالكامل هو الهادى آدم الهادى.. ولد بقرية الهلالية فى عام ١٩٢٧ بمديرية النيل الأزرق بالسودان وتلقى تعليمه الأولى بمدرسة الهلالية ثم التحق بمعهد أم درمان العلمى . وبعد تخرجه عمل فى الصحافة السودانية.. ثم أُرسل فى بعثة دراسية إلى مصر حصل فيها على الليسانس من كلية دار العلوم، كما حصل على دبلوم فى التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس.. وعمل كذلك مدرساً بوزارة المعارف السودانيـة.. وله عدة مؤلفات فى مجال المسرح والشعر.

---

(١) من مقدمة ديوان : كوخ الأشواق – الهادى آدم عام ١٩٦٢ . مكتبة الكاملابى.

٤ علي أحمد باكثير

شاعر من اليمن

لأول وهلة كنت أتصور أن شاعرنا الراحل الكبير على أحمد باكثير، والذى تغنت بكلماته سيدة القصيدة العربية أم كلثوم، ليس عربى الأصل..، وذلك لكثرة ما تردد بشأن هذا الأصل، نظراً لارتباطه بمولده خارج الوطن العربى، حيث ولد فى إحدى مدن إندونيسيا!.

ولكن وبإجماع المصادر قديمها وجديدها،إتضح لنا أن على أحمد باكثير الذى عرفناه كاتباً مسرحياً وروائيًا إنما هو شاعر كبير من اليمن وقد رحلت أسرته من مدينة حضرموت من أجل التجارة، واستقرت لسنوات بعينها والتى ولد خلالها.. فى إحدى مدن إندونيسيا!

ورغم أن على أحمد باكثير قد ولد فعلاً بمدينة «سور أبايا» الأندونيسية إلا أن ولاءه وثقافته وفكره وإنتاجه ظل مرتبطا بالعالم العربى وببلاده اليمن السعيد، بل وأن هناك من المصادر التى تؤكد أن على باكثير قد ولد فى مدينة حضرموت نفسها.. ثم رحل مع إسرته إلى موطنه الجديد بأندونيسياَ.

ولقد شاء حظ هذا الأديب العربى البارع أن ينضم إلى قافلة الشعراء العرب من الذين تغنت بكلماتهم سيدة الغناء العربى أم كلثوم، بل وكانت قصته المشهورة «سلامة القس»، هى أحد أفلام سيدة الغناء العربى التى مثلته فى عام ١٩٤٤ !!.. وهو الفيلم الذى غنت فيه سبع قصائد عربية بالإضافة إلى كلمات على أحمد باكثير نفسه التى يقول فيها:

قالوا أحب القس.. سلامة	وهو التقى الورع الطاهر
كأنما لم يدر طعم الهوى	والحب إلا الرجل الفاجر
يا قوم إنى بشر مثلكم	وفاطرى ربكم الفاطر
لى كبد تهفو كأكبادكم	ولى فؤاد مثلكم شاعر

***

وقد غير أم كلثوم فى بعض كلمات هذه الأبيات بما يتفق مع الألحان التى وضعها الموسيقار رياض السنباطى .. ومن هذه التعديلات ماجاء فى البيت الأول .. إذ غيرت أم

كلثوم كلمة «الناسك» واختارت بدلاً منها.. كلمة «الورع» .. كذلك غيرت في كلمات البيت الثاني.. فأصبح :

كأنما لم يدر طعم الهوى   والحب إلا الرجل الفاجر

بدلاً من :

كأنما لم يدر قبلي الهوى   إلا الغوي الفاتك الفاجر!

وعلى الرغم من قلة ماغنته أم كلثوم للشاعر والأديب اليمني علي أحمد باكثير إلا أنها ما زالت تحظى بإهتمام قطاع عريض من المستمعين من عشاق صوت وفن أم كلثوم.، وربما يكون السبب في ذلك أنها قد ارتبطت بأحد أدوارها السينمائية المشهورة.

ولذلك كان لزاماً علينا ضرورة البحث في شأن هذه الأبيات وبيان موقعها من إنتاج علي أحمد باكثير سواء ما نشر له في بعض الدواوين أو في أعماله الأدبية الأخرى..

ولقد كانت مفاجأة على الأقل لي شخصيا.. أن أعثر على هذه الأبيات ليس في ديوان شعر..ولكن في إحدى أعماله الروائية التي صدرت في عام ١٩٤٤ تحت عنوانه :«سلامه القس».

هذه الرواية التي نشرتها لجنة النشر للجامعيين بعد فوزها بإحدى الجوائز الأدبية وهي جائزة «قوت القلوب»..وكما جاء على غلاف هذه الرواية.

بل والأكثر من ذلك مفاجأة أن هذه الأبيات كتبها الشاعر علي أحمد باكثير على لسان بطل الرواية عبدالرحمن بن عماد.. وأخذت ترددها سلامة بعدما وضعت لها الألحان حتى خيل إلينا أن الشاعر باكثير قد نقلها عن آخرين. لكي توافق أحداث روايته الدرامية التاريخية .. ولكن اتضح لنا عكس ذلك أيضاً. إذ عثرنا على بعض الأدلة التي تثبت أن هذه الأبيات هي من تأليف علي أحمد باكثير نفسه.

ولعلنا هنا ننقل جزءاً من الحوار الذي دار بشأن هذه الأبيات – في الرواية التي كتبها علي أحمد باكثير ونقلها إلى السينما بنفس أحداثهاتقريباً.

«طفق عبد الرحمن يبكي وهو يمسح دموعه.. حسبك يا سلامة حسبك» لكأني والله لم أقل هذه الأبيات .. لقد كسوتها بتلحينك روحاً لم تكن.. فقالت سلامة : إنما أعجبني شعرك فألهمني هذا التلحين» (١).

وبطبيعة الحال فإن هذا اللحن لم تأخذ به أم كلثوم .. بل عهدت بهذا اللحن إلى موسيقارها المفضل أنذاك وهو رياض السنباطي.. الذي أبدع في تلحينها إبداعه في غيرها من القصائد!

---

(١) رواية سلامة القس – ص ٦٥ تأليف علي أحمد باكثير وصدرت في عام ١٩٤٤.

وفيما يتعلق بتأليف على أحمد باكثير لهذه الأبيات.. وسبب استعانته بالشعر فى سياق أحداث أعماله الروائية . يقول الدكتور عبده بدوى محللاً هذه الظاهرة :«إن انتاجه الغزير يؤكد أن شكل القصيدة الغنائية بصفة خاصة كان أثيراً عنده.. وأنه كان من خلاله يقول الكثير .. بل إنه فى أعماله النثرية كان ينتهز الفرصة ليضع الشعر على لسان أبطاله.. وما أكثر ما تظهر شخصية الشاعر فى العديد من أعماله، وهو يضعها فى الغالب فى دائرة الحق والنور ، وقليلا ما يضعها فى دائرة التآمر والإدانة[1] .

***

هذا عن القصيدة .. فما لنا بالمؤلف نفسه، وقد تعودنا أن نعيش لو للحظات مع بعض لمحات من سيرته الذاتية التى نستكمل بها هذا المشوار القصير ..

ومما لاحظناه أن سيرة حياة على أحمد باكثير قد حفلت بها العديد من الكتب وكذلك الكثير من الأبحاث والدراسات، لكننا هنا سوف نورد فقط بعضا منها. خاصة فيما يتعلق بحياته ونشأته وأعماله الأدبية.

فقد ولد على أحمد باكثير فى عام ١٩١٠ بمدينة «سورا بايا» بإندونيسيا .. ولكنه سرعان ما عاد إلى بلدته حضرموت باليمن- وذلك كعادة «أهل حضرموت فى إرسال أبنائهم إلى موطنهم الأصلى وهم صغار ليعيشوا فى بلادهم لغة وعادت هذا الوطن.

وفى حضرموت موطن والديه عاش فى مناخ إسلامى ساهم فى إقباله على حفظ القرآن الكريم ، والإطلاع على العديد من كتب التراث.

وفى هذا الجو وجد نفسه يدندن بالشعر مبكراً فحاول دخول عالمه الساحر العجيب، وكانت مشكلات مجتمعه أنداك هى المجال الخصب لأشعاره المبكرة هذه ،كذلك تأثر فى هذه الفترة المبكرة من حياة بالشاعرين العربيين الكبيرين المتنبى وشوقى.

وهناك من المصادر التى روت بعض لمحات من حياته والتى تؤكد أن على أحمد باكثير عاد من جديد إلى موطن والديه الجديد فى أندونيسيا حيث راح ينمى مواهبه فأتم حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة الإنجليزية حتى تفوق فيها، كما تزوج أيضاً هناك، وعاش حياة أسرية سعيدة مع شريكة حياته، ولكن القدر فجعه فيها فلم يعد يطيق العيش بدونها حيث هو.. فرحل إلى الحجاز فى عام ١٩٣٢ وطاف فى طريق إليها باليمن والحبشة والصومال...

---

(١) قضايا حول الشعر.. ج (١) - تأليف الدكتور عبده بدوى - من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وفى الطائف أقام فترة هناك مارس فيها هوايته الأدبية فكان من نتاجها الأول.. أولى مسرحياته «همام أو فى بلاد الأحقاف»، وفى عام ١٩٣٤ رحل إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية..[١].

وفى مدينة القاهرة توهجت مواهبه الأدبية حتى صارت له مكانته المرموقة فى أوساطها الأدبية. خاصة عندما ترجم مسرحية شكسبير «روميو وجوليت».. وكانت تلك أولى خطواته فى الشعر المرسل.

***

ومما يروى فى سيرة حياته أنه عمل بالتدريس فى مدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة عام ١٩٤٠ ... وفى عام ١٩٥٥ ترك التدريس وعمل بوزارة الثقافة. وكانت أخر مناصبه الوظيفية.. مدير المكتب الفنى للرقابة على المصنفات الفنية حتى توفاه الله فى العاشر من شهرنوفمبر عام ١٩٦٩.

وقد أطلق عليه النقاد لقب أديب العروبة والإسلام، ولعل أشهر أعماله الأدبية فى هذا السياق روايته «وا إسلاماه». ومن أشهر سمات أعماله الأدبية أنه كان يستهلها جميعاً بأيات الذكر الحكيم.

(١) من أدباء الإسلام المعاصرين - على الجمبلاطى.

٥

أحمد العدوانى

شاعر من الكويت

لو أننا استعرضنا سوياً خريطة ملونة للعالم العربى.. وذلك لتحديد موقع كل دولة عربية من الدول التى اختارت منها أم كلثوم شعرائها، لاكتشفنا حقيقة فى غاية الأهمية.. مؤداها أن سيدة القصيدة العربية حققت مانسميه بالوحدة الفنية والأدبية بين شعوب هذه الدول، إضافة لماحققته على مدى مشوارها الفنى الطويل من وحدة من نوع خاص بين أبناء هذه الدول الذين كانوا يجتمعون لسماع صوتها ليلة كل خميس من أول كل شهر!.

مما يعنى أن هذه الفنانة العظيمة كانت بالفعل فنانة غير مسبوقة لا فى عصرها ولا فى العصور التالية !، إذ كان هدفها الأول هو خلق نوع من التوافق فى الذوق وفى المشاعر والأحاسيس بين أبناء الوطن الواحد مستخدمة فى ذلك أدوات لم يفطن إليها غيرها!

وإذا مانظرنا فى هذا السياق لاختيارها لكلمات شاعر الكويت الراحل الكبير أحمد العدوانى، سوف نضع أيدينا على بعض هذه الأدوات، والتى كان فى مقدمتها المشاركة فى إحياء المشاعر الوطنية لأبناء البلاد العربية.. ليس فقط برسائل التهانى وباقات الورود بل بترديد كلمات تعبر عن نبض هذا الشعب أو ذاك!.

وتجربتها الحيوية مع كلمات الشاعر أحمد العدوانى.. تثبت ذلك وأكثر.. إذ بادرت أم كلثوم من تلقاء نفسها بطلب كلمات لأحد شعراء دولة الكويت لكى تتغنى بها لمشاركة هذا البلد العربى الشقيق فى الاحتفال بعيد استقلاله الأول .

وهكذا خُلقت تجربتها مع كلمات الشاعر أحمد العدوانى فى عام ١٩٦٠ وقصيدته الأولى «يادارنا يادار» والتى تقول كلماتها:

يادرنا يا دار ... يا منبت الأحرار
يا نجمة للسنا على ... جبين المنى
السحر لما دنا ... غنى لنا الأشعار
التبر فى برها ... والدر فى بحرها

والحـــب فـــى صـــدرهـــا	نـــبـــع مـــن الأيـــثـــار
يـــانـــفـــحـــة مـــن أريـــج	مـــســـت عـــروس الخـــلـــيـــج
فـــجـــر وروض بـــهـــيـــج	مـــا أســـعـــد الأطـــيـــار
نـــعـــم عـــشـــقـــنـــا ثـــراه	نـــعـــم وعـــشـــنـــا فـــداه
وكـــلـــنـــا فـــى هـــواه	ســـامـــى الحـــمـــى والجـــار
قـــالـــوا الـــكـــويـــت اســـتـــقـــل	وبـــدره قـــد كـــمـــل
الـــيـــوم نـــلـــنـــا الأمـــل	ودانـــت الأقـــدار
فـــى ظـــل شـــمـــس الـــصـــبـــاح	زعـــيـــمـــنـــا لـــلـــكـــفـــاح
إلـــى مـــراقـــى الـــنـــجـــاح	أمـــيـــرنـــا المـــغـــوار

***

ولقد نشر الشاعر الكويت أحمد العدوانى هذه القصيدة فى أحد دواوينه والتى صدرت مؤخراً ضمن أعماله الأدبية الكاملة من بعد رحيله.. ولاحظنا فيها كذلك وجود بعض التعديلات التى أدخلتها أم كلثوم حتى تتوافق مع الألحان.. وقد انصبت تلك التعديلات على إغفال بعض الأبيات بغرض الاختصار .. كما اتضح لنا أن أم كلثوم والملحن رياض السنباطى فى هذه التعديلات قد أغفلوا تكرار البيت الذى يقول فيه الشاعر:

يادارنا يا دار	يامنبت الأحرار

وذلك وفق ماجاء بالقصيدة الأصلية المنشورة بالديوان .

وبخلاف ذلك اختارت أم كلثوم أربعة عشرة بيتاً فقط.. وبالتالى أغفلت حوالى ثلاثة عشرة بيتاً، كماجاء اختيارها لهذه الأبيات بشكل عشوائى دون مراعاة لترتيب القصيدة.

وجاء فى مطلع الأبيات التى أغفلتها أم كلثوم:

فيها تراث الجدود	مواكب للخلود!

وفى ختامها قال الشاعر أحمد العدوانى:

فجر وروض بهيج	ما أسعد الأطيار

وأما أشهر الأبيات التى غنتها أم كلثوم والتى شملها تعديل فى بعض كلماتها .. فهى الأبيات التى تقول فيها:

نعم عشقنا ثراه	نعـم وعشنا فداه
وكلنا فى هـــواه	سامى الحمى والجار

وقد استبدلت أم كلثوم بذلك كلمات الشاعر.. الذى كتب يقول:

نعم عشقنا ثراك　　　نعم وعشنا فداك!

وكذلك البيتين التى تقول فيهما أم كلثوم:

قالوا الكويت استقل　　　وبدره قد كمل

اليوم نلنا الأمل　　　ودانت الأقدار

فقد استبدلت قول الشاعر خاصة فى الشطر الثانى من البيت الأول، «فقلت بدر كمل» .. أما فى البيت الثانى فكان التعديل أكثر حيث كتب الشاعر يقول:

اليوم طاب العمل　　　وطابت الأخطار

***

وفى عام ١٩٦٦ كررت أم كلثوم تجربة غناء إحدى قصائد الشاعرالكويتى الراحل أحمد العدوانى.. وهى أيضاً اغنيةوطنية سجلتها لإذاعة الكويت فى العام نفسه، بعنوان: «أرض الجدود».

وتقول فيها:

شدا لك المجد وغنى الظفر	فاختال بدووتباهى حضر
أرض الجدود والليالى سير	ما أشرقت إلا عليك الدير
قالوا الكويت قلت هذا كوكب	تهفو له النجوم حين تنظر
العز فى ساحاته منابت	طابت مجانيها وطاب الشجر
أرض الجدود لابرحت للهوى	منازلاً يخطر فيها القمر
عشنا على ثراك يدعونا له	هوى على نفوسنا مقدر
وذكريات كلما طافت بنا	تنفس الورد وفاح العنبر
قل للكويت تلك أعراس المنى	يزفها إليك عهد ناضر
صحائف التاريخ رفت حوله	تكتب للخلود ما يقرر
ما أعظم الدستور فى ظلاله	شعب على أقداره يسيطر
قائده إلى العلا أميره	أكرم بمن يقوده ويأمر
شيخ الأمور ماغدت مظلمة	إلا جلاها منه رأى نير
العزم والقوة فى ردائه	تزينها الحكمة والتبصر
شاد على الحب أساس حكمه	والحب للحكم الكريم مصدر

***

وبالرجوع إلى الديوان الذى نشرت به هذه القصيدة لاحظنا أن ما شهدته من تعديلات يُعد طفيفاً جداً بالقياس لما شهدته القصيدة السابقة.. ولانعرف السبب وراء ذلك!.

وقد يكون لتدخل الشاعر هذه المرة رأى فى عدم الأكثار من التعديلات .. حتى أن عدد أبيات هذه القصيدة تم الالتزام به من جانب أم كلثوم وملحنها رياض السنباطى، ما عدا بيت واحد فقط.. وهو البيت الذى نشره المؤلف فى ديوانه وجاء ترتيبه قبل الأخير.. والذى قال فيه:

يمر بالخطب العبوس باسماً كالبدر فى غيب الدياجى يسفر

وقد أهملته أم كلثوم.. ربما لكلماته غير المتفائلة والتى تشير إليها.. بخلاف ما جاء فى كل أبيات هذه القصيدة..

ومن التغييرات الطفيفة الأخرى التى شهدتها أبيات هذه القصيدة .. اختيار أم كلثوم لكلمة «ما أشرقت» .. بدلاً من «هل أشرقت».. فى البيت الثانى .. وكذلك اختيارها لكلمة «هذا كوكب » بدلاً من «ذاك كوكب» ! فى البيت الثالث ، أما فى البيت الثامن فقد غيرت أم كلثوم كلمة «ناضر» بدلاً من «نضر» !

ونستطيع أن نقول فى السياق نفسه أن قصيدة الشاعر الكويتى أحمد العدوانى تعتبر بحق من أكثر القصائد العربية لشعراء العصرالحديث التى لم يشملها تغيير كبير.

***

.هذا عن القصيدتين وما جرى لهما من تعديل .. فماذا عن الشاعر أحمد العدوانى؟ إننا سوف نحاول الاقتراب من حياته ومن عالمه الشعرى من واقع ما سطره عنه المؤرخون والنقاد.

فقد ولد الشاعر الكويتى بمدينة الكويت، وفيها تلقى تعليمه الأولى ، ثم انتقل إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف فى عام ١٩٣٩ . ثم عاد مرة أخرى إلى الكويت بعد إتمام دراسته بالأزهر فى عام ١٩٤٩ ...وهناك اشتغل بالتدريس فى المدرسة القبلية ثم فى مدرسة ثانوية الشويخ، والتى ظل يعمل بها فى عام١٩٥٦ ، حتى نقل إلى وظيفة السكرتير العام لإدارة المعارف بالكويت .

وعندما استقلت دولة الكويت صدر مرسوم أميرى بترقية الشاعر أحمد العدوانى إلى وكيل مساعد إدارة التربية، وقد ظل بهذا المنصب حتى عام ١٩٦٥ .. حيث نقل بعدها إلى وزارة الإعلام.

وشارك الشاعر الكويتى طوال مشوار حياته فى تدريس اللغة العربية لسنوات عديدة .. كما شارك فى تأليف عدة كتب مدرسية .. وبإنتقال الشاعر أحمد العدوانى من وزارة المعارف إلى وزارة الإرشاد بدأت مرحلة جديدة فى حياته خاصة الثقافية والأدبية.

وأما عن دوره فى حركة الشعر العربى.. فيقول عنه صدقى خطاب الذى أعد دراسة هامة عن مسيرة الشاعرالكويتى الأدبية: إن أهم أعماله الأدبية هى ديوان شعر «أجنحة عاصفة» والذى صدر فى عام ١٩٨٠ ونشر به كل أشعاره التى ألفها ما بين عامى ١٩٤٦و١٩٦٠.. توفى الشاعر أحمد العدوانى فى عام ١٩٩٠ [١].

---

(١) العدوانى .. كاتباً ورائداً - مؤسسة عبدالعزيز البابطين.

٦ جورج جرداق

شاعر من لبنان

بعد طول بحث استغرق أياماً وأسابيعاً وشهوراً، عن أصل قصيدة «هذه ليلتى» .. التى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٨ .. للشاعر اللبنانى چورچ جرداق .. لم نوفق فى العثور على هذا الأصل فى كل ما كتب ونشره هذا الشاعر على مدى حياته كلها سواء الأدبية أو الصحفية، مما جعلنى أعيد البحث بكل ما أوتيت من قوة وصبر ـ لأجل الوصول إلى الشاعر نفسه والذى يعيش بيننا ـ ولكن على بعد آلاف الأميال!.

ولم يكن أمامى من وسيلة مضمونه، للوصول إلى ما أبغيه سوى السفر إلى لبنان للقاء چورچ جرداق .. أو الاتصال بمنزله تليفونياً، ولقد لعب الحظ دوره الكبير فى العثور فعلاً على رقم هاتفه الشخصى فى مدينة بيروت!، وبالفعل جربت هذه الوسيلة حيث جاء صوته عبر الهاتف، وبعد كلمات قصيرة شملها التعارف بيننا سألته مباشرة عن الديوان الذى نشر به قصيدته «هذه ليلتى» !، وكانت المفاجأة حين أخبرنى أنه لم ينشرها فى ديوانه، أو فى أى مكان أخر إلا عندما شدت بها أم كلثوم عام ١٩٦٨ . عندئذ سألته عن أهم التعديلات التى طلبتها أم كلثوم أنذاك .. فأخبرنى بها – وقال إنها فقط فى البيت الأول الذى تم تغييره بناء على رغبة كوكب الشرق أم كلثوم . وانتهت المكالمة التليفونية ـ وعرفت بالفعل الكلمات التى أجريت عليها التعديلات . ولسوف أسوقها.. بعد ما نعرف . كيف تم اللقاء بين هذا الشاعر وبين أم كلثوم ؟!

***

ففى عام ١٩٦٨ وفى شهر ديسمبر بالتحديد، وفى الحفل الذى أقامته سيدة القصيدة العربية يوم ٦ ديسمبر .. طلعت علينا أم كلثوم برائعة چورچ جرداق «هذه ليلتى» التى وضع لها الألحان الموسيقار محمد عبدالوهاب

وقد قيل آنذاك أن هذه القصيدة .. عرضها محمد عبدالوهاب على أم كلثوم فى صيف عام ١٩٦٧ .ولكن نظراً لوقوع نكسة يونية فى العام نفسه ظلت حبيسة الأدراج حتى نهاية عام ١٩٦٨ ..

وفى الفترة التى سبقت الإعداد لهذه الأغنية، طلعت علينا صحف هذه الأيام بتفاصيل كثيرة عن القصيدة وعن مؤلفها وعن الظروف التى تمت خلالها لقاءات الشاعر بأم كلثوم، فقد كتب الناقد الفنى آنذاك محمد وجدى قنديل» فى مجلة آخر ساعة، رداً على سؤال طرحه هو نفسه عن كيفية اختيار أم كلثوم لهذه القصيدة :«والقصة لها جذور أخرى تمتد إلى صيف عام ١٩٦٧ عندما كان عبدالوهاب . فى لبنان، وكان يبحث عن شيء جديد يغنيه بصوته والتقطت أذنه المرهفة كلمات ناعمة ورقيقة يرددها صديقه الشاعر اللبنانى چورچ جرداق. وكعادته حينما يستوقف حاسته الموسيقية كلمة أو نغم، وقد طلب من صديقه أن يكرر تلك الكلمات هو يهز رأسه فى إعجاب وشجن» .

ولقد أكد چورچ جرداق هذا الأمر فى أكثر من حديث صحف أجرى معه فى الفترة نفسها، حيث قال رداً على سؤال : كيف أُعجب عبد الوهاب بقصيدتك؟! طلب عبدالوهاب قصيدة يلحنها لكوكب الشرق، وكنا نجلس فى لبنان على شرفة «إمبا سادور» أمام وادى لامارتين الشاعر الفرنسى المشهور، وأخذت أدندن بأبيات «هذه ليلتى» فقال لى: كمان ياحبيبى كمان.. ثم حدث بعدها أكثر من اجتماع ثلاثى بينى وبين أم كلثوم وعبدالوهاب..»

***

هذا عن ظروف اللقاء الذى تم فعلاً بين الشاعروبين أم كلثوم بواسطة محمد عبدالوهاب.. فماذا عن القصيدة نفسها وأهم التعديلات التى أدخلت عليها.؟ إن كتاب سجل أغنيات أم كلثوم قد نشر لنا هذه القصيدة كما شدت بها كوكب الشرق ونحن هنا ننقلهامن ذلك السجل المطبوع، حيث تقول كلماتها:

هذه ليلتى وحلم حياتى ... بين ماض من الزمان وآت
الهوى أنت كله والأمانى ... فاملأ الكأس بالغرام وهات
بعد حين يبدل الحب داراً ... والعصافير تهجر الأوطار
وديار كانت قديما ديارا ... سترانا كما نراها قفارا
سوف تلهو بنا الحياة وتسخر ... فتعالى أحبك الآن أكثر
والمساء الذى تهادى إلينا ... ثم أصغى والحب فى مقلتينا

لسؤال عن الهوى وجواب	وحديث يذوب فى شفتينا
قد أطال الوقوف حين دعانى	ليلم الأشواق عن أجفانى
فادن منى وخذ إليك حنانى	ثم أغمض عينيك حتى ترانى
وليكن ليلنا طويلا طويلا	فكثير اللقاء كان قليلاً
يا حبيبى طال الهوى ماعلينا	لو حملنا الأيام فى راحتينا
صدفة أهدت الوجود إلينا	وأتاحت لقاءنا فالتقينا
فى بحار تئن فيها الرياح	ضاع فيها المجداف والملاح
كم أذل الفراق منا لقاء	كل ليل إذا التقينا صباح
ياحبيباً قد طال فيه سهادى	وغريباً مسافراً بفؤادى
سهر الشوق فى العيون الجميلة	حلم آثر الهوى أن يطيله
وحديث فى الحب إن لم نقله	أوشك الصمت حولنا أن يقوله
يا حبيبى وأنت خمرى وكأسى	ومُنى خاطرى وبهجة أنسى
فيك صمتى وفيك نطقى وهمسى	وغدى فى هواك يسبق أمس
هل فى ليلتى خيال الندامى	والنواسى عانق الخيام
وتساقوا من خاطرى الأحلام	وأحبوا واسكروا الأيام
رب من أين للزمان صباه	إن غدونا وصبحه ومساه
لن يرى الحب بعدنا من حداه	نحن ليل الهوى ونحن ضحاه
ملء قلبى شوق وملء كيانى	هذه ليلتى فقف يا زمان.

***

ومن أهم ما أجراه الشاعر چورچ جرداق على كلمات هذه القصيدة كما أخبرنا فى الاتصال الهاتفى.. وكما أسلفنا من قبل.. قوله فى البيت الأول:

هذه ليلتى..وهذا العود   بثُ فيه من سحر داود.

وقد أصبح بعد التعديل الذى طلبته أم كلثوم:

هذه ليلتى ...وحلم حياتى   بين ماض من الزمان وآت

وكانت صحف هذه الأيام قد أشارت إلى قيام چورچ جرداق بإجراء هذا التعديل دون أن تشير إليه.. نظراً لحرص الشاعر على عدم الإفصاح عنه.

ومما ذكرته هذه الصحف.. أن أم كلثوم قد أبدت بعض ملاحظاتها من وجهة نظرها على بعض كلمات القصيدة بعد أن عرضها عليها محمد عبدالوهاب.. مما جعله يتصل بالشاعر جورج جرداق لكى يحضر إلى القاهرة.. لإجراء التعديلات المطلوبة.. كما نشرت صحف هذه الأيام الأبيات التى قام بتعديلها جورج جرداق.. ، وجاءت هذه التعديلات مطابقة لما أبلغنا به الشاعر اللبنانى فى الاتصال التليفونى السابق الإشارة إليه..

***

وكان علينا وحتى تكتمل الفائدة .. ضرورة الوقوف على بعض الذى نُشرعن شاعرنا صاحب كلمات قصيدة «هذه ليلتى».. ولقد اكتشفنا أن جورج جرداق قد أملاه بنفسه.. لتنشر فى «موسوعة شعراء العرب الحديثة» ..

ومما جاء فى هذه الموسوعة عن الشاعر اللبنانى: أن اسمه بالكامل جورج سمعان جرداق.. من مواليد عام ١٩٣١ فى مرجعيون التى درس بها اللغتين العربية والفرنسية، ثم إنتقل إلى بيروت ليكمل دراسته فى الكلية البطريركية، وقد عمل بعد تخرجه فى سلك التعليم ثم فى الصحافة. كما كتب ألوانا عديدة من الأدب.. منها المسرح والقصة، كما كتب أكثر من ٥٠ قصيدة تغنى بهاكبار المطربين والمطربات.

ومن أهم أعماله الشعرية: ديوان أنا شرقية – بوهيمية – آلهة الأولمبى وقصائد حب .. كما نشرت له عدة أعمال أدبية وفكرية أخرى من أهمها : كتابه «علىّ وحقوق الإنسان» و«العرب والإسلام» ـ «فى الشعر الأوروبى» . كما أن له عدة دراسات .. كتبت بالفارسية والعربية.

٧ محمد إقبال

شاعر من باكستان

رغم أن إقدام سيدة القصيدة العربية أم كلثوم على غناء كلمات من قصيدتين كبيرتين للشاعر الباكستاني محمد إقبال، قد تم تكريماً له في الاحتفال الذى إقامته بلاده في ذكراه فى عام ١٩٦٧ .. إلا أن قيام أم كلثوم بهذه الخطوة يعد فى حد ذاته إتمامًا للخطوات السابقة التى خطتها بفهم عميق، خاصة فى مجال القصائد العربية.

هذه الخطوة المهمة التى تمثلت فى واقع الأمر فى فتح باب التعامل بالنسبة لصوتهامع شعراء من خارج البلدان العربية، وكان الفليسوف الباكستاني محمد إقبال على رأس هؤلاء الشعراء من الذين تعاملت مع كلماتهم أم كلثوم ! فى العصر الحديث، حيث لم تكن هذه هى التجربة الأولى لكوكب الشرق بل سبقتها تجربة أخرى ولكن فى مجال شعر التراث.. إذ تغنت بكلمات إحدى قصائد الشاعر الفارسى المشهور عمر الخيام.. من بعد ترجمتها إلى العربية.

ولكن من أهم مالا حظناه هنا خاصة بالنسبة لعامل الاختلاف هو أن أم كلثوم قداحتفظت باسم الشاعر الفارسى عمر الخيام مقروناً باسم المترجم وهو الشاعر أحمد رامى، وأما فى حالة محمد إقبال فقد احتفظت أم كلثوم فقط باسم المؤلف الأصلى لما تغنت به.. وأهملت اسم المترجم !!

وقد كُتبت الأولى بالفارسية وكتبت الثانية بالأوردية، وجاء هذا الاكتشاف مواكبًا لرجوعنا إلى كل ما كتب محمد إقبال سواء إلى أعماله الكاملة أو المنقول عنها مختارات مترجمة إلى اللغة العربية!

ففى كتاب «إيوان إقبال». والذى صدر بمناسبة الاحتفال بذكرى رحيله.. عثرنا على القصيديتين اللتين إختارت منهما أم كلثوم كلمات إغنيتها «حديث الروح» ..وقد أعد هذا الكتاب مترجماً إلى العربية الأديب الصاوى شعلان.

***

ولقد رأينا من قبيل الإفصاح عن المزيد عن هذه المفارقات ضرورة اتباع المنهج نفسه

والذى يلزمنا أولاً بالحديث عن أغنية أم كلثوم.. ثم مضاهات كلمات ماتغنت به بما كتبه ونشره الشاعر فى ديوانه.

ففى أول حفل غنائى تقيمه أم كلثوم من بعد وفاة الملحن الكير محمد القصبجى وفى ٧ أبريل من عام ١٩٦٧ .. غنت كوكب الشرق قصيدة «حديث الروح» للشاعر الباكستانى الفليسوف الدكتور محمد إقبال . وهى مكونة من سبعة مقاطع كبيرة وكل مقطع منها تتراوح أبياته عدداً ما بين أربعة وخمسة أبيات ..

وتقول كلمات هذه القصيدة

حديث الروح للأرواح يسرى ... وتدركه القلوب بلا عناء
هتفت به فطار بلا جناح ... وشق أنينه صدر الفضاء
ومعدنه ترابى ولكن ... جرت فى لفظه لغة السماء
لقد فاضت دموع العشق منى ... حديثا كان علوى النداء
فحلق فى ربا الأفلاك حتى ... أهاج العالم الأعلى بكائى

***

تحاورت النجوم وقلن صوت ... بقرب العرش موصول الدعاء
وجاوبت المجرة علّ طيفاً ... سرى بين الكواكب فى خفاء
وقال البدر هذا قلب شاك ... يواصل شدوه عند المساء
ولم يعرف سوى رضوان صوتى ... وما أحراه عندى بالوفاء

***

شكواى أم نجواى فى هذا الدجى ... ونجوم ليلى حسدى أم عودى
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما ... قطع الزمان طريق أمسى عن غدى
والطير صادحة على أناتها ... تبكى الربى بأنينها المتجدد
قد طال تسهيدى وطال نشيدها ... مدامعى كالطل فى الغصن الندى
فإلى متى صمتى كأنى زهرة ... خرساء لم ترزق براعة منشد

***

قيثارتى ملئت بأنات الجوى ... لابد للمكبوت من فيضان
صعدت إلى شفتى خواطر مهجتى ... ليبين عنها منطقى ولسانى
أنا ما تعديت القناعة والرضا ... لكنها هى قصة الأشجان

يشكو لك اللهم قلب لم يعش إلا لحمد علاك في الأكوان

***

من كان يهتف باسم ذاتك قبلنا من كان يدعو الواحد القهارا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة لم يبلغوا من هديها أنوارا
هل أعلن التوحيد داع قبلنا وهدى القلوب إليك والأنظارا
ندعو جهاراً لا إله سوى الذى صنع الوجود وقدر الأقدارا

***

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولادنيا لمن لم يحى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينًا
وفى التوحيد للهمم اتحاد ولن تبنوا العلا متفرقينا

***

ألم يبعث لأمتكم نبى يوحدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعًا منار للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمن رحيم إله واحد رب الأنام

***

وفى الكتاب المشار إليه آنفاً والذى ترجمه الأديب الشيخ «الصاوى شعلان» عثرنا على هذه الكلمات وقد اختارتها أم كلثوم من قصيدتين نشرهما الشاعر محمد إقبال فى ديوانه «صلصلة الجرس».. القصيدة الأولى نشرت تحت عنوان :«شكوت إلى الله» - والثانية تحت عنوان «جواب الشكوى»..

ومما لاحظناه هنا أن أم كلثوم حين اختارت هذه الكلمات، بدأت ما غنته بأبيات الجزء الثانى من هذه القصيدة والذى نشره الشاعر تحت عنوان :« جواب الشكوى» !! وهو الذى يقول فيه:

كلام الروح للأرواح يسرى وتدركه القلوب بلا عناء

ولقد استبدلت أم كلثوم وكما هو ملاحظ كلمة «حديث» .. بدلاً من «كلام» كما اتخذت من هذه الكلمة نفسها عنواناً القصيدة، وكذلك التزمت بعدد أبيات ما بها من مقاطع - فجاء المقطع الأول يحتوى على خمسة أبيات وقد غنتهم أم كلثوم جميعها بلا تغيير إلا فى كلمة واحدة سبق الإشارة إليها.

وأما بالنسبة للمقطع الثانى والذى بدأه الشاعر بقوله :

تحاورت النجوم وقلن صوت

بقرب العرش موصول الدعاء

فقد حذفت منه أم كلثوم البيت الذى يقول فيه محمد إقبال :

ألم أك قبل فى جنات عدن فأخرجنى إلى حين قضائى.

ثم توالت بعد ذلك التعديلات الكبيرة فى هذا الجزء من القصيدة .. على خلاف ماكتبه الشاعر إقبال .. إذ أهملت أم كلثوم خمسة مقاطع منها، ومن المقطع السادس إختارت ثلاثة أبيات فقط وهى التى تقول فى بدايتها:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولا دنيا لمن لم يحى دينا

وقد وضعت أبيات هذا المقطع وفق الترتيب العام لما غنته فى المقطع قبل الأخير..كما أهملت بيتين كتبهما المؤلف فى المقطع نفسه وهما اللذان يقول فيهما محمد إقبال:

لقد ذهب الوفاء فلا وفاء وكيف ينال عهدى الظالمينا

تساندت الكواكب فاستقرت ولولا الجاذبية مابقينا

ثم أهملت كوكب الشرق ثلاثة مقاطع أخرى... ومن المقطع العاشر.. اختارت ثلاثة أبيات اختتمت بها ما غنته من كلمات..

***

هذا بالنسبة لماحدث للقصيدة الأولى.. أما القصيدة الثانية والتى نشرت بالديوان تحت عنوان :« الشكوى إلى الله» ، فقد اختارت منها أم كلثوم عدة أبيات ضمنتها عدة مقاطع، لكن الملاحظ فى هذا الجزء أنها حافظت على الترتيب العام الذى ارتضاه الشاعر، مع إضافة بعض التعديلات التى أدخلتها على الكلمات حتى تتوافق مع الألحان.

وكلمات هذا الجزء من القصيدة الثانية فهو الذى يبدأ بقول الشاعر :

شكواى أم نجواى فى هذا الدجى

ونجوم ليل حسدى أم عودى

وفى المقطع الثانى من القصيدة والذى احتل المقطع الرابع فيما غنته أم كلثوم، والذى تقول فى مطلعه:

قيثارتى ملئت بأنات الجوى

فقد أهملت منه البيت الثانى والذى يقول فيه محمد إقبال:

أشكو وفى فمى التراب وإنـما
أشـكـو مصاب الدين للديان

كما احتل المقطع الثالث من الأغنية المقطع الرابع من القصيدة. وهو الذى تقول فى مطلعه أم كلثوم:

من كان يهتف باسم ذاتك قبلنا

وقد غيرت فيه بعض الكلمات .. فاختارت كلمة «من كان» بدلاً من كلمة «من قام» .. كما أهملت البيت الذى يقول فيه الشاعر:

عبدوا تماثيل الصخور وقد سوا
من دونك الأحجار والأشجـــار

***

والشاعر محمد إقبال كما هو معروف لنا يُعد من شعراء الإسلام المعاصرين وقد تحدث عن مشوار حياته العديد من المؤرخين والنقاد وأساتذة الجامعات سواء فى مصر أو فى غيرها، وقد أفردوا له ولحياته الصفحات الكثيرة.. حتى أن أستاذاً جامعياً متخصصا فى الفلسفة الحديثة كتب عنه فصلاً كاملاً باعتباره أحد رواد العقل والتنوير فى الفكر العربى والإسلامى الحديث، حيث قال عنه الدكتور عاطف العراقى: «لقد بحث محمد إقبال فى العديد من القضايا الفكرية، والأدبية والفنية.. ويمكننا القول بأن فكر محمد إقبال يعد من نوع الفكر المفتوح وليس من طراز الفكر المغلق الجامد.. لقد وضع لنفسه وللمسلمين فلسفة أخذها من صميم عقيدته، ولكن على أساس النظر إلى العقيدة من خلال العمل والسلوك [١]».

ولد الشاعر والفليسوف الدكتور محمد إقبال فى عام ١٨٧٣ فى سيالكوت بالبنجاب.. من إسرة برهمية الأصل اعتنقت الإسلام منذ ثلاثة قرون وهاجرت من موطنها كشمير واتخذت من إقليم البنجاب وطناً جديداً استقرت فيه . ولقد بدأ إقبال مراحل تعليمه الأولى فبدت عليه آفاق النبوغ وسمات الذكاء فكان يتفوق على زملائه آنذاك.. ويفوز بالجوائز العلمية فى كلية الحكومة «لاهور» حيث تلقى هناك تعليمه ومبادئ الفلسفة، وما أن أتم تعليمه فى هذه الكلية حتى إختير لتدريس الفلسفة بها.[٢].

وأما الشعر فقد بدأ إقبال ينشده فى سن مبكرة. وله عدة مؤلفات فى العديد من مجالات الفكر والأدب.

---

(١) العقل والتنوير فى الفكر العربى الحديث - د. عاطف العراقى.
(٢) من إدباء الإسلام المعاصرين - على الجمبلاطى - مصدر سابق.

الفصل الثالث :

شعراء معاصرون من مصر..

١ - أحمد شوقى
٢ - حافظ إبراهيم
٣ - على الجارم
٤ - عزيز أباظة
٥ - إبراهيم ناجى
٦- إسماعيل صبرى
٧ - محمود حسن إسماعيل
٨- صالح جودت
٩ - طاهر أبو فاشا
١٠ - كامل الشناوى
١١ - محمد الأسمر
١٢ - الشيخ عبدالله الشبراوى
١٣ - محمد مصطفى الماحى
١٤ - أحمد فتحي

١ أحمد شوقي

عشر قصائد متنوعة

عجيب أمر هذه الفنانة العظيمة، التى تعرفت عل أمير الشعراء أحمد شوقى، بل وقابلته مرتين. وهو الذى مدحها فى إحدى قصائده !، ومع ذلك لم تشدو بكلماته إلا من بعد رحيله !! . ولاشك أن ذلك كانت له أسبابه فى حينه على الأقل لوجود منافسها الشرس الموسيقار محمد عبدالوهاب داخل عقل وقلب أمير الشعراء.

ونقولها كلمة حق فى شأنه سيدة القصيدةالعربية وأمير الشعراء شوقى: أنه على الرغم من شهرة ذلك الأمير ، فى مجال الشعر والمسرح الشعرى ورغم قيام محمد عبدالوهاب بالترويج لبعض أشعاره، إلا أن ذكراه لا تتجدد فى كل حين.. إلا عندما ينطلق صوت أم كلثوم بقصائده الخالدة.!.

وتعالوا معنا نبدأ الحكاية من أولها.. هذه البداية أثرنا أن تكون على لسان أم كلثوم نفسها.. والتى قالت عن أمير الشعراء: .

«التقيت بأمير الشعراء أحمد شوقى فى أواخر أيامه وكانت أول مرة رأيته فيها فى كلوب «سولت» فى شارع فؤاد القديم بجانب «شكوريل.» . وكان معه محمود فهمى النقراشى باشا والدكتور محجوب ثابت، وقد دعانى إلى الغناء فى الفيلا التى كان يسكنها على النيل حاملة اسم «كرمة بن هانئ».. فذهبت مع أبى وأخى وغنيت ليلتها كما لم أغن من قبل ورأيته يتمايل طربًا ولكنه كان يقطع النشوة التى هو فيها فيختفى لدقائق ثم يعود إلينا ساهماً..ولم أكن أدرى لماذا اختفى فهمس أبى فى إذنى : إنه إلهام الشعر يجيئه فيقوم ليدون شيئاً ثم يعود..»

وتأكيداً على ما سبق وذكرناه .. ورغم هذه العلاقة .. فإن ام كلثوم لم تغن له إلا بعد رحيله.. وقالت أم كلثوم عن ذلك «لم أغن له إلا بعد موته عدة قصائد» !.

وبالرجوع إلى سجل ما غنته أم كلثوم عن أحمد شوقى بالذات اتضح لنا أن عدد القصائد التى شدت بها سيدة القصيدة العربية من كلمات أمير الشعراء بلغت عشر قصائد هى بالترتيب : الملك بين يديك فى عام ١٩٣٦ ، وبعد هذا التاريخ بعشر سنوات

غنت لأحمد شوقى ست قصائد هى : ولد الهدى - فى الأرض شر مقاديره من «قصيدة السودان» - ريم على القاع من قصيدة «نهج البردة» - سلوا قلبى - سلوا كئوس الطلا - ثم أتعجل العمر .

وفى عام ١٩٤٩ غنت أم كلثوم «من أى عهد فى القرى تتدفق» من قصيدة «النيل» ، وفى عام ١٩٥٤ غنت له : «بأبى ورحمى الناعمات» .. ثم اختتمت هذه الرحلة مع أمير الشعراء فى عام ١٩٦٩ حين تغنت بقصيدة «إلى عرفات الله» !

***

وللشرف الكبير الذى ناله الموسيقار رياض السنباطى . فقد سمحت له أم كلثوم بأن ينفرد وحده على غير عادتها .. بتلحين كل قصائد أحمد شوقى ، وهذا يدل دلالة كيبرة على تميز هذا الفنان العبقرى وتفرده فى تلحين القصائد الصعبة .

ومما لاحظناه بعدمارجعنا إلى مدونات أمير الشعراء سواء فى شوقياته المعلومة أو المجهولة . لمراجعة ومضاهاة كلماته مع ما غنته أم كلثوم .. وجدنا أن هذه المطربة العظيمة ولأول مرة فى تعاملها مع أحد الشعراء المعاصرين لم تلجأ كثيراً إلى تبديل أو تعديل كلمات الأبيات التى كتبها هذا الشاعر ، إلا فى حدود ضيقة للغاية ، ولم نلحظها إلا فى أبيات بعينها ، وإن كانت قد سمحت لنفسها فى الوقت لنفسه بانتقاء بعض الأبيات واختيار أبيات دون غيرها .. نظراً لطول قصائد أحمد شوقى .. وصعوبة فهم كلمات بعض هذه الأبيات أيضاً .

ونحن نعتذر عن عدم نشر كل القصائد التى غنتها أم كلثوم لأحمد شوقى لسببين رئيسيين هما : أن معظم هذه القصائد طويل إذ يصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من ٣٤ بيتاً .. وثانياً لكثرة ما غنته أم كلثوم لشوقى حيث بلغ عدد هذه القصائد عشرة ، وإن كنا سنشير فى بداية الحديث عن كل قصيدة إلى بيت أو بيتين إذا لزم الأمر ذلك !

وكما سبق وقلنا .. فقد كانت قصيدة «عيد الدهر» . من أوائل ماغنته أم كلثوم لأحمد شوقى وجاء فى مطلعها :

الملك بين يديك فى إقباله   عوذت ملكك بالنبى وآله

وقد نشرها أمير الشعراء شوقى فى الجزء الأول من الشوقيات تحت عنوان : « عيد

الدهر وليلة القدر» ..وعدد أبياتها ٥٧ بيتاً. إختارت منهم أم كلثوم ١١ بيتاً فقط .. مع ملاحظة إلتزامها بالترتيب الذى وضعه أمير الشعراء بالنسبة للبيتين الأول والثانى فقط، ثم بعد ذلك أخذت تنتقى منها بقية الأبيات التى غنتها ولحنها رياض السنباطى ، وكذلك اختتمت هذه القصيدة بالبيت الثالث قبل الأخير مما نشره أحمد شوقى والذى تقول فيه كوكب الشرق.

تهيـوء بعـيدك فى الممـالك واسلمى

فـى السـلم للآلاف مـن أمثـالـه

وتعتبر هذه القصيدة ثانى أغنية لأم كلثوم تغنيها تحية للملك فاروق.. وإن كانت تعتبر أول قصيدة فى الترتيب العام لكل أغانيها المعلن عنها .. إذ غنتها بمناسبة توليه سلطاته الدستورية فى عام ١٩٣٦ .

***

وبعد هذا التاريخ بعشر سنوات أى فى عام ١٩٤٦ غنت أم كلثوم لأمير الشعراء شوقى خمس قصائد دفعة واحدة .. وهى دون ترتيب : قصيدة : «ولدالهدى» - والتى نشرها أحمد شوقى فى شوقياته تحت عنوان «الهمزية النبوية» ، وقداختارت منهاكوكب الشرق ٣٤ بيتاً فقط من أصل ١٢٩ بيتاً هى كل أبيات هذه القصيدة.

كما جاء هذا الاختيار ممثلاً لمعظم مقاطع هذه القصيدة الكبيرة إذ اختارت من المقطع الأول ٤ أبيات وهى التى تقول فى مطلعهم:

ولد الهدى فالكائنات ضياء　　　وفم الزمان تبسم وسناء

كما أهملت منها ثلاثة أبيات..ومن المقطع الثانى اختارت عشرة أبيات من أصل ٣٩ بيتاً هى عدد أبيات هذا المقطع .. وهى تقول فى مطلع هذا المقطع:

ياخير من جاء الوجود تحية　　　من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

ومن المقطع الثالث وعدد أبياته ١٧ بيتاً أختارت أم كلثوم ثلاثة أبيات فقط .. قالت فى البيت الأول منه:

يوحى إليك الفوز فى ظلمائه　　　متتابعاً تجلى به الظلماء

وأما المقطع الرابع فعدد أبياته ١٩ بيتاً إختارت منه أم كلثوم ١٢ بيتاً فقط.. وفى مطلعه تقول:

بك يابن عبدالله قامت سمحة بالحق من ملل الهدى غراء

ولم تغن أم كلثوم أبياتاً من المقطعين الخامس والسادس.. وعدد ما بهمامن أبيات بلغ ٢١ بيتاً!، وأما بالنسبة للمقطع السابع فقد اختارت منه أم كلثوم ثلاثة أبيات من أصل ٢١ بيتاً، وقالت فى مطلعه:

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزه ما له من شفعاء

وأما المقطع الثامن والأخير فقد اختارت منه بيتين من أصل خمسة أبيات.

ومما لاحظناه أثناء إجراء هذه المقابلة ـ بين ماكتبه شوقى وما غنته أم كلثوم ـ أن الأخيرة لم تلتزم فى اختيارها السابق للأبيات، بالترتيب الذى وضعه أحمد شوقى، وفى حقيقة الأمر فإننا لم نشعر فى أية لحظة بوجود أى نوع من القطع أو الإخلال!. حتى وكأننا نتصور أن ما تغنت به أم كلثوم من أبيات أعاد ترتيبها الملحن رياض السنباطى هو ماكتبه أحمد شوقى نفسه ، وتلك هى قمة العبقرية سواء فى الغناء أوالتلحين، كما لاحظنا أن عدم الالتزام بالترتيب العام لأبيات قصائد أحمد شوقى فى كل ماغنته أم كلثوم كان هو السمة الغالبة!!..

***

ثم غنت أم كلثوم فى العام نفسه قصيدة «سلوا قلبى» .. وقد نشرها أحمد شوقى فى ديوانه تحت عنوان ! «ذكرى المولد» ..وبلغ عدد أبياتها ٧١ بيتاً غنت منهم أم كلثوم ٢١ بيتاً فقط.. وهذه القصيدة يقول مطلعها:

سلوا قلبى غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتاباً

ولقد لاحظنا أن أم كلثوم قد التزمت بالأبيات الستة الأول وفق ترتيب أمير الشعراء شوقى.. أما باقى ما غنته فقد اختارتهم كوكب الشرق اختياراً عشوائياً وفق رغبة الموسيقار رياض السنباطى.

كما غنت أم كلثوم أبياتاً من قصيدة «نهج البردة» والتى بدأتها بقولها:

ريم على القاع بين البان والعلم

أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

إذ أن عدد أبياتها كما جاء فى ديوان الشوقيات ١٩٠ بيتاً .. غنت منها كوكب الشرق ٣٠ بيتاً وهذه القصيدة قد شغلت لطول أبياتها وكثرة عددها ما يقرب من خمسة عشر صفحة من الشوقيات !

والغريب أن أم كلثوم قد التزمت وفق ترتيب هذه الأبيات بالبيت الأول فقط .. ثم بدأت بعد ذلك عملية انتقاء واسعة أسفرت عن اختيارها لبقية الأبيات التى شدت بها!، مع ملاحظة أن هذا الاختيار قد تركز فى الخمسين بيتاً الأولى وهى من الأبيات التى تمثل الجزء الأول من هذه القصيدة الطويلة.!.

ليس هذا فقط.. بل ولذكاء أم كلثوم المفرط فقد التزمت كذلك بالبيت الأخير فى هذه القصيدة وفق ترتيب أحمد شوقى وهو البيت الذى قال فيه:

يارب أحسنت بدء المسلمين به　　　فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

***

وجاء الدور على قصيدة «سلوا كئوس الطلا»، وهى من القصائد التى كتبها شوقى خصيصاً لكى تغنيها أم كلثوم ! والتى قالت عنها أم كلثوم فى مذكراتها:

«... وفى صباح اليوم التالى جاءنى من يقول:إلحقى يا ست.. شوقى بك أمام الباب الخارجى.. فهرولت لأجده .. كان وجهه مضيئاً بابتسامة طيبة .. وقد دفع إلى بمظروف .. وهو يقول: هذه هدية متواضعة تعبر عن إعجابى!.. إنها من وحيك.. وفتحت المظروف لأجد قصيدة:

سلوا كئوس الطلا　　　هل لامست فاها

واستنجدوا الراح　　　هل مست يداها

وتواصل أم كلثوم قولها فى مذكراتها : ولكنى لم أغن الأغنية فى حياته .. غنيتها بعد موته..»

وقدغيرت فى كلمات البيت الرابع الذى يقول فيه أحمد شوقى:

هيفاء كالبان يلتف النسيم بها　　　وينثنى فيه تحت الوشى عطفاها

إذ لجأت لشاعرها المفضل آنذاك أحمد رامى.. لإتمام هذا التغيير المطلوب.. مستخدماً حرفيته المعهودة فى ذلك .. وقد غير الشطر الثانى فجاء البيت الذى غنته أم كلثوم مغايراً بعضه الشىء لما كتبه شوقى .. وهى التى تقول فيه:

هيفاء كالبان يلتف النسيم بها

ويلفت الطير تحت الوشى عطفاها

وقصيدة «سلوا كئوس الطلا» لم ينشرها شوقى فى ديوانه المعروف بالشوقيات.. بل جمعها من بعده الدارسون .. ووضعوها فيما أسموه «بالشوقيات المجهولة!» وخاصة فى القسم الغنائى من هذه الشوقيات!

كما غنت كوكب الشرق أبياتًا من قصيدة «السودان» والتى تقول فى مطلعها:

وفى الأرض شر مقاديره   لطيف السماء ورحمانها

***

وفى عام ١٩٤٩، أعادت أم كلثوم الروح من جديد لأشعار أمير الشعراء شوقى .. إذ تغنت فى هذا العام بأبيات من قصيدته «النيل» والتى نشرها أمير الشعراء تحت عنوان «أيها النيل» ... وعدد أبياتها ٢١ بيتًا فى المقطع الأول. و١٤ فى المقطع الثانى.. و٨١ فى المقطع الثالث، و٣٧ فى المقطع الرابع، أى أن عددها ١٥٣ بيتًا ، أما ما غنته أم كلثوم فقد بلغ ٢٤ بيتًا فقط !!!.

ويقول مطلع هذه القصيدة

من أى عهد فى القرى تتدفق   بأى كف فى المدائن تغدق

وكالعادة فقد اختارت كوكب الشرق ٨ أبيات من المقطع الأول.. ومن المقطع الثالث ٩ أبيات.. ثم اختارت من المقطع الرابع والأخير ٧ أبيات فقط!

***

وفى عام ١٩٥٤ كررت أم كلثوم التجربة مع الشاعر أحمد شوقى.. فغنت له القصيدة قبل الأخيرة فى سلسلة القصائد التى غنتها لشوقى.. والتى تقول فى مطلعها:

بأبى وروحى الناعمات الغيدا   الباسمات عن اليتيم نضيراً

وهى من القصائد التى لم تسجلها على أسطوانة كالعادة.

وفى الشوقيات نشرها أمير الشعراء تحت عنوان: «تكريم» .. وعدد أبياتها ٣٨ بيتًا فى المقطع الأول و١٢ فى المقطع الثانى وأما ما غنته أم كلثوم فقد بلغ ١٦ بيتًا فقط .. وقد اختارتها من المقطع الأول..

***

وأخيراً وفي عام ١٩٦٥ .. اختتمت أم كلثوم غناء شوقيات أمير الشعراء بالشدو بقصيدته المشهورة: «إلى عرفات الله» والتى تقول فيها:

إلى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله فى عرفات

وعددأبياتها ٣٤ فى المقطع الأول و١٨ فى الثانى و١١ بيتاً فى الثالث.. وأما أم كلثوم فقد غنت فقط ٢٥ بيتًا اختارتها جميعًا من المقاطع الثلاثة.. وقد غيرت فى كلمات البيت الذى قال فيه شوقى:

إذا زرت يا مولاى قبر محمد

وقبلت مثوى الأعظم العطرات

وقد بدلت فى الشطر الأول حيث أصبح يقول:

إذا زرت بعد البيت قبر محمد

وقبلت مثوى الأعظم العطرات

والجميل فى هذه القصيدة . أن كوكب الشرق قد التزمت بالأبيات السبعة الأخيرة من القصيدة التى كتبها شوقى وفق ترتيبه كختام لما تغنت به.

***

ورغم طول هذه الرحلة على ما بها من شغف ومتعة.. إلا أننا فضلنا ألا يزيد هذا التطويل عن الحد المعقول .. ورأينا أن خير ختام .. هو أن نذكّر النفس بصاحب هذه الكلمات .. من خلال ما كتبه عن نفسه وما نقله عنه المؤرخون.

فقد ولد شاعرنا الكبير أحمد شوقى وفق ما أكده الدكتور شوقى ضيف فى ١٨٦٩ .. بالقاهرة.. إلا أن هناك من المؤرخين الذين اختلفوا فى تاريخ ميلاد أمير الشعراء.. حيث قالوا غير ذلك..

والدكتور ماهر حسن فهمى يوضح لنا سبب هذا الخلاف بقوله: اختلف مؤرخو الأدب فى مولد شوقى، فجلهم ذكر أن ميلاده كان عام ١٨٦٨م وجاء ذلك نقلاً عن الشوقيات القديمة حين ذكر شوقى فى مقدمتها أنه يحبو إلى الثلاثين، ولما كان تاريخ طبعها هو ١٨٩٨م ، فإن تاريخ ميلاده على هذا الأساس المذكور يكون صحيحاً..[ويقصد هنا عام ١٨٧٠](١) .

(١) أحمد شوقى – د. ماهر حسن فهمى.

ولكن كاتبًا واحدً عنى نفسه بتحقيق تاريخ صدور الشوقيات القديمة وهو الدكتور محمد صبرى، فوجد أن التقاريظ المذكورة آخر الديوان تؤرخ. عام ١٣١٧ هـ وهو يقابل ١٩٠٠ م أو النصف الأول منها على وجه الدقة، ورغم ذلك تابع غيره من الكتاب وذكر أن تاريخ ميلاد شوقى هو عام ١٨٦٨م.

***

وتعود أصول شوقى العائلية إلى الكردية .. وقد أسماه والده أحمد شوقى تيمناً باسم جده.. وعلى الرغم من أنه نشأ نشأة أرستقراطية إلا أن مولده جاء فى أحد أحياء القاهرة الشعبية وهى حى الحنفى القريب من العتبة، كما التحق فى بداية حياته بمكتب الشيخ صالح .. ثم انتقل منه إلى المدرسة الخديوية ومنها إلى مدرسة الحقوق (قسم الترجمة) ثم سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والآداب فى عام ١٨٨٧ .. وعاد من هذه البعثة فى عام ١٨٩١.

ثم نفى إلى إسبانيا لبعض مواقفه الوطنية من السلطان حسين ومن الإنجليز فى عام ١٩١٥ وظل بهذا المنفى حتى عام ١٩١٩، تفرغ أحمد شوقى لكتابة الشعر الذى أتقنه منذ نعومة أظفاره وقد كتب فى كل المجالات.. حتى أن البعض ليعتبر أشعاره فى الوطنية مثالا يحتذى به، وقد ترك وراءه عشرات القصائد طبعت لأول مرة فى ديوان سمى بالشوقيات، وهذا بخلاف ما كتبه من أشعار غنائية اختص بها صديق عمره الموسيقار محمد عبد الوهاب.. والتى أضاف إليها ألحانه العذبة.

٢ حافظ إبراهيم
ومصر تتحدث عن نفسها

على الرغم من أن سيدة القصيدة العربية أم كلثوم قد تغنت بقصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم في عام ١٩٥١، والتي تقول في مطلعها.. «وقف الخلق ينظرون جميعا» .. إلا أن هذه القصيدة قد ارتبطت بشدة بأهم حدث سياسي وقع لمصر خلال القرن العشرين. ألا وهو قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

ويبدو أن اختيار أم كلثوم لهذه الكلمات بالذات لم يأت اعتباطا أو تم بشكل عشوائي، بل هداها تفكيرها وشعورها الوطني المرهف إلى أن هناك شيء هام وخطير في الأفق، وربما يدبر له في الخفاء! خاصة بعد الأحداث الدامية في حرب فلسطين والتي نشبت في عام ١٩٤٨ وما لحق بمصر والعرب من هزيمة عسكرية أمام عصابات اليهود!

في هذا الوقت العصيب الذي كانت تمر فيه مصر بمرحلة تاريخية هامة وخطيرة .. شدت أم كلثوم بكلمات حافظ إبراهيم الذي يتغنى فيها بمصر وعظمتها وتاريخها الطويل والعريق، رغم ما في هذه الكلمات من تحريض صريح على الثورة واستخدام القوة، فقد سمحت سلطات الحكومة الملكية آنذاك بإذاعتها .. ويبدو أنهم لم يفطنوا إلى مغزاها إلا في وقت متأخر!

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو في عام ١٩٥٢، اتخذ المسئولون عن الإعلام في مجلس قيادة الثورة من كلمات هذه القصيدة سلاح إعلامي خطير للترويج لها ولأحداثها. ولكسب المزيد من المؤيدين، إذ ظلت إذاعة القاهرة من بعد الاستيلاء عليها ومنذ اللحظة الأولى لإعلان بيان الثورة الأول، تواصل إذاعة قصيدة حافظ إبراهيم بصوت أم كلثوم، مع كل بيان ثوري يذيعه أحد الضباط!

ولحسن الحظ فقد فاز الموسيقار الكبير رياض السنباطي بشرف تلحين هذه القصيدة .. وقد أبدع فيها إبداعا لم يقل عن إبداعاته الموسيقية السابقة.

ولأم كلثوم ذكريات جميلة سجلتها في أوراقها الخاصة عن هذه القصيدة وعن شاعرها حافظ إبراهيم، ومما قالته عن ذلك: «مرة طلبوا مني أغنية وطنية.. وقالوا لي:

كلفى من تشائين من شعراء الأغانى لينظم قصيدة فى أسرع وقت لتغنيها فى أقرب فرصة، فلما عدت إلى البيت تذكرت أننى أحفظ لشاعر النيل « حافظ إبراهيم» ، قصائد رائعة وعكفت على ديوانه .. وانتقيت قصيدة من ديوانه ورحت أختار أبياتاً أغنيها من بين أبياتها العديدة، وقبل أن أنام وفى الرابعة صباحاً .. كنت أدندن باللحن لبيته الرائع :

أنــــا إن قــــدر الإلــــه ممــــاتــــى لا تــرى الشــرق يــرفــع الرأس بــعــدى

وعندما وقفت - والكلام لا يزال لأم كلثوم- أغنى القصيدة أحسست أننى وفيت ديناً فى عنقى لشاعر لم أره ولكن من حقه علىّ أن أحمل رائعة من روائعه إلى الجماهير العربية.

***

وبالفعل وفى عام ١٩٥١ غنت سيدة ا لقصيدة العربية: قصيدة «مصر تتحدث عن نفسها» أمام الإذاعة ولم تسجلها على اسطوانات كالمعتاد، بل ظل التسجيل الوحيد لهذه القصيدة موجوداً بمحطة الإذاعة المصرية، حبيس الأشرطة حيث لم تذ ع إلا مرات بعينها.. حتى قيام الثورة فى عام ١٩٥٢ ، عندما ظلت الإذاعة تبثها على كل موجاتها بين الحين والحين!

وتقول كلمات ما غنته أم كلثوم لحافظ إبراهيم:

وقــف الخـلـق يـنـظـرون جـمـيـعـًا كـيـف أبـنـى قـواعـد المجـد وحـدى
وبـنـاة الأهـرام فـى سـالـف الـدهـر كـفـونـى الـكـلام عـنـد الـتـحـدى
أنـا تـاج الـعـلاء فـى مـفـرق الـشـرق ودراتــــه فــــرائــــد عــــقــــدى
إن مـجـدى فـى الأولـيـات عـريـق مـن لـه مـثـل أولـيـاتـى ومـجـدى
أنــــا إن قــــدر الإلــــه ممــــاتــــى لا تــرى الشــرق يــرفــع الرأس بــعــدى
مـا رمـانـى رام وراح سـلـيـمـًا مـن قـديـم عـنـايـة الـلـه جـنـدى
كـم بـغـت دولـة عـلـى وجـارت ثـم زالـت وتـلـك عـقـبـى الـتـعـدى
إنـنـى حـرة كـسـرت قـيـودى رغـم أنـف الـعـدا وقـطـعـت قـيـدى
أتـرانـى وقـد طـويـت حـيـاتـى فـى مـراس لـم أبـلـغ الـيـوم رشـدى
أمـن الـعـدل أنـهـم يـردون المـاء صـــفـــوا وأن يـــكـــدر وردى
أمـن الحـق أنـهـم يـطـلـقـون الأ سـد مـنـهـم وأن تـقـيـد أسـدى

نظر الله لى فارشد أبنا	نى فشدوا إلى العلا أى شد
إنما الحق قوة من قوى الديان	أمضى من كل أبيض وهندى
قد وعدت العلا بكل أبى	من رجالى فانجزوا اليوم وعدى
وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق	فالعلم وحده ليس يجدى
نحن نجتاز موقفا تعثر الآرا	ء فيه وعثرة الرأى تردى
فقفوا فيه وقفة حزم وارموا	جانبيه بعزمة المستعد

***

وعندما رجعنا إلى ديوان حافظ إبراهيم، والذى صدر فى جزئين فى عام ١٩٢٧ وجدنا أن شاعرنا الراحل قد نشر هذه القصيدة تحت عنوان «مصر» وقد ألقاها من قبل أن ينشرها فى هذا الديوان فى حفل عام أقيم تكريمًا للمرحوم عدلى باشا يكن بعد عودته من أوروبا مقاطعًا المفاوضات مع الإنجليز.. ومستقيلاً من رئاسة الوزارة.. كما نشرت هذه القصيدة لأول مرة فى الصحف فى عام ١٩٢١[١].

كما اتضح لنا كذلك من خلال الاطلاع على الديوان نفسه أن عدد أبيات قصيدة «مصر» لحافظ إبراهيم والتى تغنت بها أم كلثوم تحت عنوان : «مصر تتحدث عن نفسها» هو ٥٧ بيتاً.. فى حين غنت منهم كوكب الشرق ١٧ بيتًا فقط، وهى الأبيات السالف نشرها فى هذه الأوراق.

وقد اختارت أم كلثوم من هذه القصيدة وفق ترتيب حافظ إبراهيم أول ثلاثة أبيات، ثم أهملت بعد ذلك ٢٢ بيتاً ! . ثم عادت واختارت بعد ذلك البيت الرابع فى ترتيب ما تغنت به والذى يقول مطلعه:

إن مجدى فى الأوليات عريق..

ثم عادت كوكب الشرق واختارت الأبيات أرقام ١١، ١٢، ١٣، ١٤ من القصيدة وفق ترتيب الشاعر.. كما اختارت كذلك البيت رقم ٣٠ والذى يقول مطلعه.

أترانى وقد طويت حياتى..

ولم تختر البيت الواحد والثلاثين وفق ترتيب القصيدة الأصلية والذى قال فيه حافظ إبراهيم:

---

(١) من هامش الجزء الثانى من ديوان حافظ إبراهيم المنشور فى عام ١٩٢٧.

أى شعب أحق منى بعيش   وارف الظل أخضر اللون رغد

ثم عادت واختارت من القصيدة البيت الثانى والثلاثين والذى تقول فى مطلعه:

أمن العدل أنهم يريدون الماء....

وكذلك اختارت البيت الثالث والثلاثين الذى يقول مطلعه:

أمن الحق أنهم يطلقون الأسد...

كما أهملت البيت الرابع والثلاثين الذى قال فيه الشاعر:

نصف قرن إلا قليلاً أعانى   مايعانى هوانه كل عبد

واختارت بعد ذلك البيت الخامس والثلاثين والذى يقول مطلعه:

نظر الله لى فارشد أبنائى.......

وكذلك البيت السادس والثلاثين والذى تقول فيه :

إنما الحق قوة من قوى الايمان...

وأيضاً البيت السابع والثلاثين الذى يقول مطلعه:

قد وعدت العلا بكل أبى....

وأما البيت الثامن والثلاثين الذى يقول فيه حافظ إبراهيم:

أمهروها بالروح فهى عروس   تسنا المهر من عروض ونقد

فلم تختره أم كلثوم وكذلك البيت التاسع والثلاثين الذى قال فيه الشاعر:

وردوا بى مناهل العز حتى   يخطب النجم فى المجرة ودى

إلا أنها اختارت البيت رقم ٤٠ والذى تقول فى مطلعه:

وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق.....

ثم أهملت الأبيات من ٤١ إلى ٤٨ ... واختارت البيت التاسع والأربعين الذى تقول فى مطلعه: نحن نجتاز موقفاً تعثر الآراء..

كما اختارت البيت رقم ٥٣ من القصيدة نفسها والذى قالت فيه كختام لما تغنت به:

فقفوا فيه وقفة حزم   وارموا جانبيه بعزيمة المستعد

وبذلك فقد أهملت الأبيات من ٥٠ حتى ٥٢ ..!!

***

ولصاحب هذه الكلمات المجيدة.. سيرة عطرة أشار إليها معظم النقاد والمؤرخين نظراً لدوره ومكانته فى عالم الشعر وعالم الأدب العربى بشكل عام، ونحن نقتطف من هذه

السيرة بعض ملامحها من أجل أن تُستكمل لدينا ولديكم الصورة بكل تفاصيلها من حيث ما أراد الشاعر نفسه..

فقد ولد الشاعر حافظ إبراهيم فى قرية ديروط بصعيد مصر.. على ضفاف النيل .. ولم يعرف تاريخ ميلاده وإن كانوا قد سننوه وكما يقول الشاعر صالح جودت فى كتابه «ملوك وصعاليك».. فقد روا له أنه ولد فى يوم ٤ فبراير عام ١٨٧٢.. وقد لمعت مواهبه منذ صباه.. كما مارس المحاماة و هو دون العشرين بكثير، ولكن نزعته الوطنية حببته فى الفروسية، فالتحق بالمدرسة الحربية.

وسرعان ما أصبح الشاعر محمد حافظ إبراهيم فى طليعة الضباط الأحرار وكان عددهم ثمانية عشرة ضابطاً أرادوا أن يثبوا على الاستعمار الإنجليزى وأعوانه فى السودان فتزعموا ثورة السودان ، وأيدهم الخديوى عباس فى السر دون الجهر، ولما فشلت هذه الثورة خذلهم الخديوى وأحيل حافظ إلى الاستيداع ثم المعاش .

كما يؤكد أنور الجندى فى كتابه «عن أعلام الفكر والأدب» أن حافظ إبراهيم عاش حياة أعزباً منطوياً على نفسه منذ عودته من السودان، كما ظل على هذه الحالة النفسية الصعبة قرابة عشرين عاماً فى دار الكتب.

وقد نشأ فى بيئة شعبية ومات أبوه صغيراً.. كما اتصل هذا الشاعر الوطنى الكبير برجلين كانا من كبار رجال عصره وهما محمد عبده وسعد زغلول.

واستمرت صلته بالشيخ محمد عبده طويلاً .. وقد آثر عن الشيخ محمد عبده قوله : «إننى صحبت حافظ أربعين عاماً فلم أستطع أن أهديه ولم يستطع أن يضلنى» !

مات حافظ إبراهيم يوم ٢١ يوليه على ١٩٣٢ . وله مكانة كبيرة فى حياتنا الأدبية..إذ اتصل آنذاك بأعلام الشعر فى عصره من أمثال شوقى ومطران وآخرين... فقد كانت مجالس الأدب فى الجيل الذاهب لاتذكر اسم حافظ إلامقترنا بشوقى، ولايذكر اسم شوقى إلا مقترناً بحافظ حتى كأنهما توأمان!

***

ويرى العديد من النقاد والمؤرخين أن حافظ إبراهيم قد بدأ حياته الأدبية مقلداً لشاعر الجيل السابق محمود سامى البارودى، شاعر السيف والقلم، وقد أمعن فى تقليده حتى شاء أن يكون خليفته رائداً للسيف والقلم، ولعله تطلع إلى أن يبلغ ما بلغه البارودى وزيراً للحربية ثم رئيساً للوزارة، حين هجر المحاماة وداخل المدرسة الحربية.

وقد عُرف حافظ إبراهيم وسط كوكبة كبيرة من شعراء مصر ..باسم شاعر الوطنية.. لما كانت فى حياته من مواقف عبر عنها بصدق من خلال أشعاره التى لن تموت أبداً!.

٣ علي الجارم

وتجربة ناجحة لملحن هاو!

لا أعرف بالضبط من صاحب هذا الاختيار الموفق، لكلمات شاعرنا الكبير على الجارم، لكى تشدو بها أم كلثوم؟! فهل يا ترى يرجع الفضل فى ذلك الاختيار إلى الملحن المغمور آنذاك الدكتور أحمد صبرى النجريدى .. الذى لعب دوراً رئيسيًا فى إتقان أم كلثوم لغناء القصائد منذ بداية رحلتها الفنية مع مطلع العشرينات، أم أن ذلك الفضل يعود لأم كلثوم نفسها التى كانت قد أقبلت فى تلك الفترة على غناء هذه النوعية المتميزة من كلمات شعراء مصر فى العصر الحديث؟!.. وذلك تقليداً لأستاذها الأول فى الغناء الشيخ أبوالعلا محمد.

ومهما كان هذا المتسبب فى هذا الاختيار، فإن انضمام الشاعر المصرى الكبير على الجارم إلى كوكبة الشعراء الذين تغنت بكلماتهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم، قد زان الاثنين .. الشاعر والمطربة.. ويبدو إن جرأة أم كلثوم فى اختيارها لهذه الكلمات التى سطرها الشاعر على الجارم ضمن إحدى قصائده، وفى هذا الوقت المبكر من مشوار حياتها قد ساهم كثيراً فى استمرارها بقوة فوق هذا الطريق الصعب الذى لم يرتده غيرها من المطربين إلا لفترات محددة فقط!

ذلك لأن على الجارم .. كان من أوائل الشعراء المصريين المعاصرين الذين تعاملت مع كلماتهم بذكاء شديد أم كلثوم ..، وقد غنت له عدة أبيات فقط من قصيدة طويلة فى عام ١٩٢٦ .. وبألحان الملحن الطنطاوى الهاوى آنذاك الدكتور صبرى النجريدى، وقد سجلت هذه القصيدة فى العام نفسه على أسطوانة جرامفون.

وتقول كلمات هذه القصيدة التى اختارت عنوانها من كلمات البيت الأول: «ما لى فتنت:

مالي فتنت بلحظك الفتاك	وسلوت كل مليحة إلاك
يسراك قد ملكت زمام صبابتي	ومضلتي وهداي في يمناك
فإذا وصلت فكل شيء باسم	وإذا هجرت فكل شيء باك
هذا دمي في وجنتيك عرفته	لا تستطيع جحوده عيناك

لو لم أخف حر الهوى ولهيبه لجعلت بين جوانحي مثواك
إني أغار من الكئوس فجنبي كأس المدامة أن تقبل فاك
لك من شبابك أو دلالك نشوة سحر الأنام بفعلها عطفاك

***

وقد نشر الشاعر الراحل على الجارم هذه الأبيات ضمن قصيدته الموجودة بديوانه المنشور فى عام ١٩٣٨ .. والذى صدر عن مطبعة المعارف ومكتبها فى مصر .. ومن قبل أن ينشرها فى هذا الديوان ألقها فى حفل أدبى أقيم فى عام ١٩١٦ .

وقداختارت أم كلثوم الكلمات السابقة لكى تغنيها حين نشرت هذه القصيدة فى الصحف آنذاك .. وعنوان القصيدة التى اختارت منها كوكب الشرق هذه الكلمات هو «الحب والحرب» .. أما عدد أبياتها الكلى فبلغ ٣٩ بيتًا .. مع إن كوكب الشرق قد غنت فقط ٩ أبيات .

كما اشتملت هذه القصيدة وفق ما جاء بديوان على الجارم على خمسة مقاطع .. المقطع الأول وعدد أبياته ثمانية أبيات .. اختارت منها أم كلثوم الأبيات السبعة التى شدت بها .. وقد أهملت البيت الثامن الذى يقول فيه الشاعر:

خدعتك ما عذب السلاف وإنما قد ذقت لما ذقت حلو لماك

وأما المقطع الثانى من هذه القصيدة فقد اشتمل على ٩ أبيات .. وكذلك المقطع الثالث ٨ أبيات والرابع ٩ أبيات .. وأخيرًا اشتمل المقطع الخامس والأخير على ٥ أبيات .

والملاحظ أن أم كلثوم لم تختر من هذه المقاطع المتبقية من القصيدة ولا بيت واحد .. وقد اكتفت بما اختارته من أبيات المقطع الأول ، وكما سبق وذكرنا .

***

وشاعر كبير مثل على الجارم له أهمية عظيمة فى حياتنا الأدبية والفكرية .. حيث ملأ السمع والأبصار بأعماله المتنوعة .. لذلك فقد حفلت بسيرة حياته عشرات الكتب .. والمجلات .. هذه الحياة الطيبة التى قضاها بيننا علمًا من أعلام الفكر المصرى والعربى الحديث .. لا شك يحتم علينا أن نقتبس من نورها الشىء اليسير .. حتى تكتمل لدينا الفائدة .. ولنعرف بالضبط موقع هذا الشاعر فوق خريطة الأدب العربى الحديث ، هذه المعرفة فى حد ذاتها توضح لنا قيمة أم كلثوم .. المطربة العظيمة التى وضعت أيديها وحنجرتها على كنوز المعرفة المسطورة فوق أحرف منظومة فى أشعار تتلى وتسمع ..

ولد الشاعر على الجارم فى مدينة رشيد فى سنة ١٨٨١ وتعلم بالأزهر الشريف ودار العلوم التى تخرج منها سنة ١٩٠٨، ثم سافر إلى انجلترا فى بعثة علمية فأقام عامًا بمدينة توتنجهام التى درس بها اللغة الإنجليزية ثم التحق بكلية المعلمين بإكستر ومكث بها ثلاث سنوات درس خلالها التربية والأدب الإنجليزى وعلم النفس والمنطق..

ولما عاد إلى مصر فى أغسطس عام ١٩١٢ عُين مدرساً بمدرسة التجارة المتوسطة ثم نقل منها بعد سنة إلى دار العلوم مدرساً لعلوم التربية، وفى مايو عام ١٩١٧ نقل مفتشاً بوزارة المعارف ثم رقى إلى وظيفة كبير مفتشى اللغة العربية وبقى بهذه الوظيفة حتى عام ١٩٤٠ فنقل وكيلاً لدار العلوم وبقى بها إلى أن أحيل إلى المعاش عام ١٩٤٢ .. وقد عين عضواً بمجمع اللغة العربية منذ إنشائه فى عام ١٩٣٢. ويعتبر على الجارم من كبار شعراء مصر فى العصر الحديث.. وله عدة مؤلفات سواء فى الشعر أو فى كل فروع الأدب. كما أن ديوانه طبع فى أربعة أجزاء[١].

---

(١) المجمعيون فى خمسين عاماً - المطابع الأميرية - إعداد. د. محمد مهدى علام.

٤ عزيز أباظة
وقصة السد العالى

بالرجوع إلى الإنتاج الأدبى الغزير الذى خلفه وراءه شاعرنا الكبير عزيز بك أباظة، اتضح لنا أنه يعتبر من كبار شعراء العربية فى عصرنا الحديث. فهو لا يقل مكانة أوقيمة عن كل من شوقى وحافظ أو غيرهما من شعراء العربية العظام، وهذا يوضح لنا بجلاء مدى ما اتصفت به أم كلثوم سيدة القصيدة العربية فى حسن اختيارها لكلمات هؤلاء الشعراء.

ولقد أجمع النقاد وكذلك معظم المؤرخين على أن الشاعر الكبير عزيز أباظة، قد برع براعة غير مسبوقة إلا من أحمد شوقى أمير الشعراء فى مجال الشعر التمثيلى!..

ونراه فى هذا السياق قد كتب عدة مسرحيات شعرية تاريخية، هذه المسرحيات ذاتها هى التى غطت على شهرته فيما سواها من فنون الشعر الأخرى مثل كتابة القصيدة.

وعلى الرغم من أن عزيز أباظة لم يكتب فى حياته الكثير من الشعر الوطنى أو القومى مثل بقية أقرانه ممن لحقوه أو سبقوه، إلا أنه قد انشغل بالوطنية فى مجال المسرح الشعرى، حيث استلهم معظم موضوعات هذه المسرحيات من التاريخ العربى الإسلامى.

وقد أكد ذلك بوضوح الأديب الراحل طاهر الطناحى حين قال: «وإذا كان عزيز أباظة لم يصرح فى المناسبات الوطنية والاجتماعية بقصائده كما فعل شوقى وحافظ ومطران، فإنه لم يغفل ذلك فى مسرحياته الشعرية.. فقد هز عدة مرات نفوس الجماهير الذين شاهدوا هذه المسرحيات بما كان يتخللها من نفثات وطنية وعظات اجتماعية وحكم فلسفية.»[١]

ثم جاءت أم كلثوم لكى تضيف لهذا الشاعر الأرستقراطى الكبير جانبًا آخر فى حياته.. وذلك حين وقع اختيارها على قصيدة من بعض أشعاره الوطنية، والغريب أن هذا الشاعر الأرستقراطى قد قالها بمناسبة البدء فى بناء السد العالى.

هذه القصيدة التى سوف نعيش مع كلماتها بعد لحظات، قد فجرت فى حينها قضية

(١) حديقة الأدباء - طاهر الطناحى.

أدبية شغلت الرأى العام الأدبى، وذلك حين كتب الشاعر كامل الشناوى يقول إن قصيدة «السد العالى» للشاعر عزيز أباظة هى من تأليفه وليس من تأليف «عزيز أباظة» !!

ولنا أن نتصور كيف يكون الجو العام الأدبى فى مثل هذه الحالات التى أثيرت فيها شكوك حول إنتاج لأحد الشعراء المصريين الكبار.. وهذه الشكوك وجهها إليه شاعر مصرى كبير آخر!!!

ففى أواخر عام ١٩٥٩ وبداية عام ١٩٦٠ اختارت سيدة القصيدة العربية أم كلثوم هذه الكلمات من قصيدة غنتها تحت عنوان «قصة السد»، وجاء توقيت إذاعة هذه القصيدة متزامنا مع احتفالات البدء فى تنفيذ مشروع السد العالى..

وكلمات هذه القصيدة تقول:

كان حلمًا، فخاطرًا، فاحتمالاً ... ثم أضحى حقيقة لا خيالاً
عمل من روائع العقل، جئناه ... بعلم، ولم نجئه ارتجالاً
إنه السد، فارقبوا مولد السد ... وباهوا بيومه الأجيالا
يفتح الرزق، وهو سد فينسا ... ب جنوبًا في أرضنا وشمالا
ويشيع الحياة تنبض نبتًا ... يغمر الجدب نوره والرمالا
ويقي النهر نزوة المسرف المحتا ... ج، يلهو فينثر الأموالا

***

حقق المعجزات عزم جمال ... فاحمدوا الله أن حباكم جمالا
هو والنيل واهبا السد ... هذا سال تبرًا وذاك فاض نضالا
حين ألوى بعهده مقرض المال ... وصد الصديق عنا ومالا
واستدار التاريخ ينظر هل ... يستسلم الليث أم يصول مصالا
قال إني بانيه، وأعتز بالله ... وبالحق فاسترد القتالا
قالها من صميم أفئدة ... الشعب فكانت أقواله أعمالا
وإذا هبت الشعوب إلى الغايات ... شقت لنيلهن الجبالا

***

إلا أن شاعرنا الكبير عزيز أباظة قد اختار لهذه الكلمات عنوانًا آخر هو : «مولد السد العالى» حين نشرها فى أحد دواوينه.

كما أن أم كلثوم قد غيرت فى بعض كلمات هذه القصيدة التى لحنها الموسيقار رياض السنباطى.. فاختارت كلمة «من روائع العقل» .. بدلاً من «روائع الفن» التى ذكرها الشاعر فى البيت الثانى من هذه القصيدة.

ليس هذا فقط .. بل نرى أن أم كلثوم قد أهملت البيت الخامس من هذه القصيدة والذى قال فيه عزيز أباظة:

كان من خلف بين الشقيقين فانفض ... وعاد الإخاء أقوى حبالا

وقد طلبت أم كلثوم من الشاعر الكبير عزيز أباظة أن يكتب بيتًا بدلاً منه حتى لا يختل عدد أبيات القصيدة.. وبالفعل كتب عزيز أباظة هذا البيت الذى قال فيه وغنته أم كلثوم:

ويقى النهر نزوة المسرف المحتاج، يلهو فينثر الأموالا

***

وللشاعر عزيز أباظة تاريخ طويل ولمحات مضيئة فى حياتنا العامة وحياتنا الأدبية، وقد عاش بيننا خمسة وسبعين عاماً، فهو من مواليد عام ١٨٩٨ ومات فى عام ١٩٧٣.

وكعادة الشعراء الكبار مع النقاد ومع المؤرخين فقد شغل عزيز أباظة صفحات كثيرة مما كتبوه فى أوراقهم .. سواء عن حياته العامة أو حياته الأدبية.

ليس هذا فقط .. بل وكان هذا الشاعر ضيفاً على أوراق مهمة كتبتها عنه ابنته التى هى فى الوقت نفسه زوجة الأديب الروائى الكبير ثروت أباظة..

ومن بين ما كتب عن هذا الشاعر أنه ولد بقرية الربعماية مركز منيا القمح محافظة الشرقية، وتلقى تعليمه الابتدائى بالمدرسة الناصرية الابتدائية، ثم أكمل دراسته فى المرحلة الثانوية بالمدرسة التوفيقية بشبرا والمدرسة السعيديةبالجيزة، كما التحق بمدرسة الحقوق ونال منها شهادة الليسانس فى عام ١٩٢٣ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره، ثم عمل مساعداً للنيابة فوكيلاً للنيابة فى مديرية الغربية، وفاز بعضوية مجلس النواب. كما عمل بوزارة الداخلية مديراً للتحقيق بها ثم وكيلاً لمديرية البحيرة عام ١٩٣٨

وظل بعد ذلك يتقلد العديد من المناصب التى كان آخرها مديراً لأسيوط كما اختير عضواً بمجلس الشيوخ فى عام ١٩٤٧. بعدما استقر المقام به وبأسرته فى مدينة القاهرة.

ونال الشاعر عزيز أباظة العديد من الجوائز عن إنتاجه الأدبى.. كان من أهمها الفوز بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب والشعر عام ١٩٦٥ ، ويقال إنه بدأ فى تأليف الشعر وهو فى سن العاشرة من عمره[١] . ولكنه لم يعرف النبوغ فى المجال ذاته إلا فى كهولته، فتبوأ مكانة فى الطبقة الأولى من شعراء العربية، واشتهر بلا جهد فى الشهرة ولا جهاد، وفرضت قدرته نفسها على تقدير الناس، وإذا هو ينهض من فراشه فيرى نفسه ذائع الصيت ! خاصة فى مجال الشعر التمثيلى الذى أجاده مثل أحمد شوقى تماماً[٢] .

---

(١) هذا الرجل من مصر – لمعى المطيعى.

(٢) حديقة الأدباء– طاهر الطناحى – مصدر سابق.

٥ إبراهيم ناجى

صاحب الأطلال

وهذه المرة أيضا فضلنا أن نبدأ الحديث عن شاعرنا الكبير إبراهيم ناجى صاحب الأطلال، وعلاقته وأشعاره بسيدة القصيدة العربية كوكب الشرق أم كلثوم، مما كتبته أم كلثوم نفسها وذلك فى أوراقها الخاصة، هذه الكتابة رأينا فيها طعم ومذاق خاص، ذلك لأنها تقترب كثيراً من رحلة حياة هذا الشاعر الفنان، وتبين لنا كيف كان اللقاء الأول بينهما!.

ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر ما سبق وذكرناه من أن شاعر الأطلال الدكتور إبراهيم ناجى قد استعاد مجد كلماته، بل واستمر ذلك المجد فى تألق دائم حتى يومنا هذا، عندما تغنت سيدة القصيدة العربية بأشعاره.. رغم أن له أكثر من ديوان من الأشعار الجميلة.. وكما سوف نعرف ذلك بعد لحظات!

ومما قالته أم كلثوم عن شاعرنا صاحب الأطلال قولها: «ولا أنس الشاعر إبراهيم ناجى، وقد رأيته حين كان يزور نقابة الموسيقين، وكان يبدو بائساً محطماً يجلس إلى الموسيقين، فتحس أنه يطوى صدره على قصة حب بلا أمل، ولم نتحدث فى الشعر مرة واحدة، ولكنى كنت أحس فيه رقة المشاعر التى لابد أن تؤتى ثماراً فنية طيبة سواء شعرية أو موسيقية، وقرأت له ديوانه بعد أن مات ووقفت عند الأطلال: «وهل رأى الحب سكارى مثلنا» !، ودفعت بالقصيدة إلى رياض السنباطى الذى قال: ستكون الأطلال حدثاً فنيا لا نظير له ولعل الذى يميز ناجى صدق إحساسه فإن صدق الإحساس هو شرط النجاح فى أى عمل فنى..».

وبخلاف ما ذكرته أم كلثوم عن أول لقاء لها مع ناجى. ترددت أقاويل كثيرة حول هذا التعارف وبالذات عن ارتباط أم كلثوم بقصيدته الاطلال.. وقد فضلنا كما سبق وذكرت أن يكون هذا الحديث على لسان أم كلثوم من دون غيرها.

ومما روته أم كلثوم عن هذه العلاقة نفهم أنها لم تتغن بأشعاره إلا من بعد رحيله، وهو يتساوى فى هذه الخصوصية مع أمير الشعراء شوقى ـ الذى تقابلت معه أم كلثوم كثيراً من قبل رحيله ـ ومع ذلك لم تغن أشعاره إلا بعد الرحيل!!.

إذ من المعروف أن الدكتور إبراهيم ناجى قد توفى فى عام ١٩٥٣ ؛ اما أم كلثوم فقد غنت قصيدة الأطلال فى عام ١٩٦٦ !، ولقد تصادف أن تذيعها كوكب الشرق فى حفل عام أقامته بعد رحيل الموسيقار محمد القصبجى، وبالتالى لم يستخدم فى لحنها العود.

وتقول كلمات قصيدة الأطلال التى غنتها أم كلثوم:

يا فؤادى لا تسل أين الهوى — كان صرحاً من خيال فهوى
اسقنى واشرب على أطلاله — وارو عنى طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبراً — وحديثاً من أحاديث الجوى

***

لست أنساك وقد أغريتنى — بفم عذب المناداة رقيق
ويد تمتد نحوى كيد — من خلال الموج مدت لغريق
وبريق يظمأ السارى له — أين فى عينيك ذياك البريق

***

يا حبيباً زرت يوماً أيكه — طائر الشوق أغنى ألمى
لك إبطاء المدِل المنعم — وتجنى القادر المحتكم
وحنينى لك يكوى أضلعى — والثوانى جمرات فى دمى

***

أعطنى حريتى أطلق يدى — إننى أعطيت ما استبقيت شيئاً
آه من قيدك أدمى معصمى — لم أبقيه وما أبقى على
ما احتفاظى بعهود لم تصنها — وإلام الأسر والدنيا لدى

***

أين من عينى حبيب ساحر — فيه عز وجلال وحياء
واثق الخطوة يمشى ملكاً — ظالم الحُسن شهى الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الربُى — ساهم الطرف كأحلام المساء

***

أين منى مجلس أنت به — فتنة تمت سناء وسنى

وأنا حب وقلب هائم ... وفراش حائر منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا ... ونديم قدم الكأس لنا

***

هل رأى الحب سكارى مثلنا ... كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا فى طريق مقمر ... تثب الفرحة فيه قبلنا
وضحكنا ضحك طفلين معاً ... وعدونا فسبقنا ظلنا

***

وانتبهنا بعدما زال الرحيق ... وأفقنا ليت أنا لا نفيق
يقظة طاحت بأحلام الكرى ... وتولى الليل والليل صديق
وإذا النور نذير طالع ... وإذا الفجر مطل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها ... وإذا الأحباب كل فى طريق

***

أيها الساهر تغفو ... تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التأم جرح ... جد بالتذكار جرح
فتعلم كيف تنسى ... وتعلم كيف تمحو

***

يا حبيبى كل شىء بقضاء ... ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا ... ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خِل خله ... وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته ... لا تقل شئنا فإن الحظ شاء

***

هذه الأبيات التى تغنت بها كوكب الشرق أم كلثوم من كلمات الدكتور إبراهيم ناجى قد نشرها ضمن قصيدة طويلة بديوانه الذى صدر تحت عنوان «ليالى القاهرة»، هذا الديوان نشرت به كذلك مقدمة أوضحت لنا قصة هذه القصيدة.

ومما جاء بها قول الشاعر: «إن هذه قصة حب عاثر.. ! التقيا وتحابا.. ثم انتهت القصة بأنها قد صارت أطلال جسد، وصار الشاعر أطلال روح.. وهذه الملحمة.. تسجل كل وقائعها كما حدثت تماماً!».

ويتضح لنا من قول الشاعر فى المقدمة السابقة بأنها ملحمة فى صورة قصيدة طويلة.

وهى بالفعل كذلك. إذ يبلغ عدد أبياتها ١٣٤ بيتا.. وعدد مقاطعها ستة وعشرون مقطعاً.. وكل مقطع يحوى أربعة أبيات أو أكثر.. وكما سوف نبين ذلك حالاً..

ففى المقطع الأول توجد أربعة أبيات، اختارت منها أم كلثوم ثلاثة أبيات فقط.. وهى الأبيات التى تقول فى مطلعها:

يا فؤادى لا تسل أين الهوى.

وبذلك أهملت البيت الرابع الذى يقول فيه إبراهيم ناجى.

وبساطاً من ندامى حلم   هم تواروا أبداً وهو انطوى

وكذلك بلغ عدد أبيات المقطع الثانى أربعة.. أهملتهم جميعا أم كلثوم.. أما عدد أبيات المقطع الثالث فبلغت على غير العادة بالنسبة لهذه القصيدة ثمانية أبيات اختارت أم كلثوم منها ثلاثة أبيات فقط.. وهى التى تقول فى مطلعها:

لست أنساك وقد أغريتنى

أما الأبيات الخمسة التى تركتها أم كلثوم فيقول فيها الشاعر ناجى:

يا غراماً كان منى فى دمى   قدراً كالموت أو فى طعمه

ما قضينا ساعة فى عرسه   وقضينا العمر فى مأتمه

ما انتزاعى دمعة من عينه   واغتصابى بسمة من فمه

ليت شعرى أين منه مهربى   أين يمضى هارب من دمه

هذه أربعة أبيات.. أما البيت الخامس فى المقطع نفسه فجاء موقعه فى ذات المقطع رقم سبعة. وهو الذى تقول كلماته:

آه يا قبلة أقدامى إذا   شكت الأقدام أشواك الطريق

وفى المقطع الرابع الذى بلغت أبياته أربعة أيضا لم تغن منه أم كلثوم ولا بيت واحد!. وكذلك فعلت مع أبيات المقطع الخامس وعددها أيضا أربعة والمقطع السادس وعددها أربعة، والمقطع السابع وعددها كذلك أربعة!!.

ثم اختارت أم كلثوم من المقطع الثامن ثلاثة أبيات من أصل أربعة، وهى التى تقول فى مطلعها:

أين من عيني حبيب ساحر!

ثم أهملت البيت الرابع الذى قال فيه إبراهيم ناجى:

مشرق الطلعة فى منطقه			لغة النور وتعبير السماء

ليس هذا فقط .. بل غيرت فى البيت الأول من هذا المقطع كلمة «نُبل» واختارت بدلاً منها كلمة «عز».

والملاحظة الهامة الواجب الإشارة إليها فى هذا السياق، أن موقع الأبيات الثلاثة السابقة الإشارة جاء ترتيبها وفق ما تغنت به أم كلثوم أرقام ١٣، ١٤، ١٥، مع أن موقعها بالنسبة للقصيدة التى كتبها ناجى ونشرها فى ديوانه المشار إليه هو أرقام ٣٣، ٣٤، ٣٥!.

ومن المقطع التاسع وعدد أبياته أربعة اختارت أم كلثوم ثلاثة منها وهى التى تقول فى مطلعها:

أين منى مجلس أنت به

وقد أهملت بذلك البيت الرابع الذى يقول فيه الدكتور إبراهيم ناجى:

وسقانا فانتفضنا لحظة			لغبار آدمى مسّنا

والغريب أن أم كلثوم قد أهملت بعد ذلك كل أبيات المقطع العاشر والمقطع الحادى عشر والمقطع الثانى عشر والثالث عشر، وعدد أبيات كل منهم أربعة!. ثم عادت واختارت من المقطع الرابع عشر ثلاثة أبيات من أصل أربعة، وهى التى تقول فى مطلعها:

يا حبيبا زرت يوما أيكه

وأما البيت الرابع والذى لم تختره أم كلثوم فيقول فيه إبراهيم ناجى:

وأنا مرتقب فى موضعى			مرهف السمع لوقع القدم

وقد غيرت أم كلثوم كلمة «أعظمى» واختارت بدلاً منها كلمة «أضلعى» والتى ذكرها ناجى فى البيت الذى يقول فيه:

وحنينى لك يكوى أعظمى			والثوان جمرات فى دمى!

كما جاء موقع هذه الأبيات فيما تغنت به كوكب الشرق مخالفاً لموقعها فى القصيدة الأصلية.. حيث جاءت أرقامها ٧، ٨، ٩ فى حين احتلت هذه الأبيات نفسها أرقام ٥٧، ٥٨، ٥٩ فى القصيدة التى نشرها ناجى فى الديون المشار إليه.

وكذلك لم تغن أم كلثوم أية أبيات من المقطع الخامس عشر وعددها أيضا أربعة.. ثم عادت واختارت من المقطع السادس عشر ثلاثة أبيات من أصل أربعة وهى التى تقول فى مطلعها:

أعطنى حريتى أطلق يدى!

وأما البيت الذى أهملته فيقول فيه إبراهيم ناجى:

ها أنا جفت دموعى فاعف عنها إنها قبلك لم تبذل لحى

وجاء موقع الأبيات الثلاثة السابقة بالنسبة لما غنته أم كلثوم أرقام ١٠ ، ١١ ، ١٢ فى حين احتلت فى القصيدة المنشورة بالديوان أرقام ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ !.

وكذلك لم تغن أم كلثوم أية أبيات من المقطع السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.. وعدد أبيات كل مقطع منهم أربعة، أما المقطع العشرين الذى لم تغن منه أم كلثوم ولا بيت واحد.. فعدد أبياته ثمانية!!.

ومن المقطع الواحد والعشرين غنت أم كلثوم ثلاثة أبيات من أصل ٢٦ بيتاً!. وهى الأبيات التى تقوم فى مطلعها:

أيها الشاعر تغنو

وبذلك تكون قد أهملت من هذا المقطع وحده ثلاثة وعشرين بيتاً!! كما جاء ترتيب هذه الأبيات فيما غنته أم كلثوم أرقام ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ فى حين جاء موقعها فى الديوان أرقام ٩٥، ٩٦، ٩٧.

والمقطع الوحيد الذى التزمت أم كلثوم بعدد أبياته، كان هو المقطع رقم ٢٢ .. وهى الأبيات التى اختتمت بها كوكب الشرق ما غنته من الاطلال.. والتى تقول فى مطلعها:

يا حبيبى كل شىء بقضاء!

ويبقى بعد ذلك من القصيدة نفسها والتى نشرها إبراهيم ناجى فى ديوانه المشار إليه أربعة مقاطع أخرى، ولم تغن منها أم كلثوم ولا بيت واحد. وكما سبق وذكرنا فإن العدد الكلى لأبيات هذه القصيدة بلغ ١٣٤ بينما غنت منها أم كلثوم ٣٢ بيتاً فقط!.

***

وإذا ما تركنا الأطلال وما وقع لها من تعديل وتبديل.. ونظرنا إلى القصيدة الثانية التى تغنت بها سيدة القصيدة العربية للشاعر ناجى.. وهى قصيدة «مصر» والتى لحنها أيضا الفنان رياض السنباطى.. نجد أن أم كلثوم قد اختارت منها سبعة أبيات فقط من أصل سبعة عشرة بيتاً. ورغم ذلك جاء التعديل بها طفيفاً إذا ما قيس بما وقع للأطلال..

ولسوف نتبين ذلك بعدما نستمع إلى الأبيات إلى اختارتها أم كلثوم وغنتها فى عام ١٩٦٩ حيث إذيعت فى التوقيت نفسه على كل موجات الاذاعات العربية، وغنى عن البيان الأهداف والدوافع التى من أجلها تغنت كوكب الشرق بهذه القصيدة والتى قالت فى أبياتها:

أجل، إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا ... فمصر هى المحراب والجنة الكبرى
خلقنا نولى وجهنا شطر حبها ... ونبذل فيه الصبر والجهد والعمرا
سلاماً شباب النيل فى كل موقف ... على الدهر نجنى المجد للنيل والفخرا
تعالوا فقد حانت أمور عظيمة ... فلا كان منا غافل يصم العصرا
تعالوا نقل للصعب أهلا فإننا ... شباب الفنا الصعب والمطلب الوعرا
شباب إذا نامت عيون فإننا ... بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا
شباب نزلنا حومة المجد كلنا ... ومن يفتدى للنصر ينتزع النصرا

* * *

وقد نشر الدكتور إبراهيم ناجى هذه القصيدة بنفس العنوان فى ديوانه «ليالى القاهرة» الذى ضم أيضا قصيدة الأطلال.. وكان من أهم التعديلات التى أجرتها أم كلثوم على هذه القصيدة اختيرها البيتين الأول والثانى والتى تقول فيهما كمطلع:

أجل إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا

وقد أهملت بعد ذلك سبعة أبيات قال فيها الشاعر:

نبث بها روح الحياة قوية ... ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا ... ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا
أجل إن ماء النيل قد مر طعمه ... تناوشه الفتاك لم يرعوا شبرا
فدالت به الدنيا وريعت حمائم ... مغردة تستقبل الخير والبشرى
وحامت على الأفق الحزين كواسر ... إذا ظفرت لا ترحم الحسن والزهرا
تحط كما حط العُقاب من الذرى ... وتلتهم الأفنان والزغب والوكرا
فهلا وقفتم دونها تمنحونها ... أكفاً كماء المزن تمطرها خيراً

ثم عادت أم كلثوم لتختار من هذه القصيدة بقية ما غنته بدءاً من البيت التاسع وفق ترتيب إبراهيم ناجى فى ديوانه، وقد أهملت ثلاثة أبيات وموقعها فى القصيدة الأصلية أرقام ١٠، ١١، ١٢..

وهى التى قال فيها الشاعر:

تعالوا نشيد مصنعاً ربُ مصنع | يدر على صناعنا المغنم الوفرا
تعالوا نشيد ملجأ ربُ ملجأ | يضم حطام البؤس والأوجه الصغرا
تعالوا لنمحو الجهل والعلل التى | أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمرا

* * *

ولشاعرنا الكبير، شاعر الأطلال الدكتور إبراهيم ناجى.. حق كبير علينا.. هذا الحق يقتضى منا وفق ما سرنا فيه فى ضوء المنهج السابق، ضرورة أن نسوق قبساً من نور ما قيل فى سيرة حياته الذاتية ولقد حفلت بها عشرات الكتب.. حيث تناولت هذه السيرة قصة حياته منذ مولده وحتى رحيله.

ومما قيل فى هذا السباق أن إبراهيم ناجى ولد فى حى شبرا بالقاهرة فى عالم ١٨٩٨، وتخرج فى مدرسة الطب فى عام ١٩٢٢ فعين طبيباً بالسكة الحديد ثم فى وزارة الصحة فوزارة الأوقاف.

ورغم ارتباط إبراهيم ناجى بالطب ومواده الدراسية إلا أنه كان قد عكف على دراسة الأدب خاصة الأدب العربى القديم، فقرأ ديوان أبى الطيب المتنبى وابن الرومى، كما عاش فترة من حياته مع أبى فراس.

ولم تتوقف ثقافته على العربية فقط، بل قرأ الأدب الأجنبى، ولذلك كان فى بداية حياتيه الأدبية مفتوناً بالكاتب الإنجليزى الشهير «تشارلز ديكنز».

ولقد ذكر ناجى نفسه ذلك فى مقدمة كتابه «مدينة الأحلام» حيث قال: «إن ديكنز فتح له آفاق الجمال».

وبدأ ناجى محاولاته الشعرية الأول وهو فى الحادية عشرة من عمره، وبعد تخرجه من كلية الطب بدأ يتردد على مجالس الأدباء.. حيث شارك فى تأسيس جماعة أبوللو للشعر فى عام ١٩٣٢، وبعد عام من تأسيس هذه الجماعة ظهر ديوانه الأول «وراء الغمام» وفى عام ١٩٥١ أصدر ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»..

وبعد رحيله بأربع سنوات صدر ديوانه الثالث «الطائر الجريح» والذى جمعه شاعرنا الراحل أحمد رامى[١].

رحل إبراهيم ناجى عن عالمنا فى عام ١٩٥١.. وظلت ذكراه عالقة فى القلوب والأذهان تتجدد كل حين.. عندما تردد أم كلثوم كلماته عن الأطلال.

---

(١) دائرة المعارف الأدبية.

٦ إسماعيل صبري..

ثلاثة أبيات عاطفية فقط!!

يعتبر شاعر الوطنية الكبير إسماعيل باشا صبرى من أوائل الشعراء المصريين الذين ارتبطت بكلماتهم أم كلثوم فى بداية مسيرة حياتها الفنية، وهذا يؤكد ما سبق وذكرناه عن ذكاء وثقافة هذه الفنانة الخالدة. إذ اختارت من كلمات هذا الشاعر ثلاثة أبيات فقط.. اتسمت كلماتها بالصعوبة رغم ما بها من معانٍ فى غاية السمو والرقة، ثم دفعت بها إلى الملحن الكبير آنذاك الشيخ أبو العلا محمد لكى يضع لها الألحان.

ووفق إجماع المؤرخين والنقاد.. فقد تربع هذا الشاعر على عرش القصيدة الوطنية جنبا إلى جنب مع أحمد شوقى أمير الشعراء وحافظ إبراهيم ومحمود سامى البارودى وعبدالله النديم وآخرين.. وقد ذكر لنا ذلك بالتفصيل مؤرخنا العظيم عبدالرحمن الرافعى.. بل إن هذا المؤرخ قد وضع اسماعيل صبرى فى مرتبة متقدمة عن كل من شوقى وحافظ إبراهيم.. ولسوف نبين ذلك أكثر بعدما نعيش ولو للحظات مع ما شدت به أم كلثوم من كلمات لهذا الشاعر الكبير..

ففى عام ١٩٢٦ غنت أم كلثوم ثلاثة أبيات من تأليف الشاعر اسماعيل باشا صبرى واختارت لها عنوانا يقول: «يا آسى الحى». ثم سجلتها على أسطوانة جرامفون فى العام نفسه.

وتقول كلمات هذه الأبيات:

يا آسى الحى هل فتشت فى كبدى	وهل تبينت داء فى زواياها
أواه من حرق أودت بمعظمها	ولم تزل تتمشى فى بقاياها
يا شوق رفقا بأضلاع عصفت بها	فالقلب يخفق زعراً فى حناياها

* * *

وبالرجوع إلى ديوان هذا الشاعر الكبير والذى نشر به هذه القصيدة وجدنا أن عنوانها الذى اختاره المؤلف هى: «كبد مقروحة».. وليس «يا آسى الحى» كما ذكر ذلك كتاب

النصوص الكاملة لما تغنت به كوكب الشرق. كما أن إسماعيل صبرى قد نشرها فى عام ١٩١٣ من قبل أن يضعها فى ديوانه المشار إليه.. وهى قصيدة مكونه بالفعل من ثلاثة «أبيات!. وهى الأبيات التى غنتها أم كلثوم، وقد غيرت بعض كلماتها خاصة كلمات البيت الثانى الذى تقول فيه

أواه من حرق أودت بمعظمها ولم تزل تتمشى فى بقاياها

إذ غيرت كلمة «بمعظمها».. بدلاً من كلمة «بأكثرها» التى كتبها الشاعر فى ديوانه!.

وقد سبق لنا القول بأنها غيرت كذلك عنوان القصيدة مستعينة فى ذلك بأولى كلمات البيت الأول ليكون ذلك هو العنوان.

* * *

ومن بعد حديث الديوان.. نعود مرة أخرى لكى نتحدث عن بعض اللقطات الحيوية فى حياة هذا الشاعر الكبير من حيث النشأة والميلاد وملامح عهده الأدبى. حيث أجمعت معظم المصادر المروية تاريخاً أن اسماعيل باشا صبرى ولد فى ١٦ فبراير عام ١٨٥٤ بمدينة القاهرة، والتحق بمدرستى التجهيزية والإدارة «الحقوق»، وأتم دراسته بمصر فى عام ١٨٧٤ ثم التحق بالبعثة المصرية فى فرنسا ونال هناك شهادة الليسانس فى الحقوق من كلية «اكس» على ١٨٧٨، ولما عاد إلى مصر التحق بالمناصب القضائية حتى عين وكيلاً لوزارة الحقانية «العدل» فى عام ١٨٩٩.. ثم اعتزل الخدمة فى عام ١٩٠٧ متفرغاً للأدب والشعر[١].

* * *

وكانت حياة هذا الشاعر الكبير زاخرة بالعمل والإنتاج بالقياس إلى وظيفته فى الأعوام الخمسين الأول.. وقد قضى السنوات الباقية من عمره هادئا بين كلماته وأشعاره، حيث قرأ الشعر العربى القديم وتأثر بالشاعر البحترى فى إحكام أسلوبه وصقل الديباجة وحلاوة الموسيقى[٢].

ورغم حياته الطويلة التى امتدت لأكثر من سبعين عاماً إلا أنه لم يخرج لنا ثمار دراسته

(١) شعراء الوطنية فى مصر - عبدالرحمن الرافعى - كتاب دار المعارف.

(٢) أدباء لا تغرب عنهم الشمس - فتحى رزق.

فى الخارج ولم يجنح إلى كتابه المسرحية الشعرية التى كانت منتشرة آنذاك فى أوربا فى هذه الأونة.

ويؤكد المؤرخ عبدالرحمن الرافعى أن مواهب إسماعيل صبرى فى الشعر قد ظهرت منذ نعومة أظفاره، وظلت تنمو وتزدهر طوال حياته، وكانت شاعريته ووطنيته عنوان مجده وموضع فخاره، كما كان معاصروه يلقبونه بشيخ الشعراء، واعترف له بذلك زملاؤه شوقى وحافظ ومطران، وغيرهم. وتتجلى فى شعره القومى روح الحب الخالص للوطن.. وكذلك كانت وطنيته عميقة الجذور.. وهو من أصدق أصدقاء الزعيم الوطنى مصطفى كامل الذى أيده فى جهاده منذ الساعات الأولى لكفاحه.

وعاش شاعرنا الكبير اسماعيل صبرى حياة كريمة وقد توفى فى **٢١** مارس عام **١٩٢٣** بعد مرض طويل مخلفاً وراءه كنوزاً من الشعر والوطنية والفضائل النفيسة.. على حد قول عبدالرحمن الرافعى.

٧

محمود حسن اسماعيل

ثلاث قصائد وطنية

يبدو أن تعامل سيدة القصيدة العربية كوكب الشرق أم كلثوم، مع الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل قد جاء فى فترة إقدام أم كلثوم على التغنى بالقصائد الوطنية والتى ارتبطت فى حياتنا بالمناسبات!.

ودلينا إلى ذلك أنها غنت لهذا الشاعر ثلاث قصائد عبرت من خلالها بالفعل عن ثلاث مناسبات وطنية وقومية.. الأولى غنتها فى عام ١٩٥٦ فى مناسبة إعلان دستور جديد لمصر بعد ثورة يوليو، والثانية شدت بها كوكب الشرق بعد هذا التاريخ بعامين.. أما الثالثة فقد غنتها بعد هذا التاريخ أيضا بعشر سنوات..

وليس لدينا أية مؤشرات سواء مسموعة أو مكتوبة عن كيفية اللقاء الذى تم بين أم كلثوم والشاعر محمود حسن إسماعيل، وهو من شعراء مصر المعاصرين الذين كتبوا كل قصائدهم تمجيداً فى الوطنية المصرية وفى عروبتها. وقد يكون المنصب الذى تولاه محمود حسن إسماعيل فى هذه الفترة من حياته كمراقب ومستشار للإذاعة المصرية دخل كبير فى إتمام هذا اللقاء!.

وعلى أية حال فسوف نعيش مع الكلمات التى غنتها أم كلثوم.. وكذلك مع ما كتبه الشاعر محمود حسن اسماعيل.. لنعرف حجم التغييرات التى أجرتها سيدة القصيدة العربية، وقيمة هذه التعديلات.

فقد غنت أم كلثوم أولى قصائد شاعرنا محمود حسن اسماعيل فى شهر يناير عام ١٩٥٦ .. بمناسبة إعلان الدستور الجديد، ولم تسجلها على أسطوانات، وهى من تلحين الملحن الكبير رياض السنباطي..

وتقول فيها.

رأيت خطاها على الشاطئين ... صباحاً ينور فى المشرقين

يثبت الخلود ويحيى الوجود ... ويبنى الحياة على الضفتين

***

بلادى فدينك هذا الصباح ... بشير من الخير والسعد لاح
على وجهه قصة للكفاح ... تمد الجنى.. فاقطفى باليدين

***

محا من ضفافك ليل الطغاة ... وأعلى الكرامة فوق الجباة
وأحياك.. حتى قهرت الحياة ... وقدت الزمام إلى الفرقدين

***

وأرضك ما عاد ظلامها ... بكفيه تزيل أيامها
سلى الفأس عنها.. فأحلامها ... تفتح بالرزق فى جنتين

***

حماها، وحرر منها الجبين ... ورد جناها إلى الغارسين
وكانت من الظلم تشكو الأنين ... فترتد دمعتها، دمعتين

***

صحت واستردت إباء العلم ... وأضحت نشيداً أبى النغم
وفجراً من البعث يمحو الظلم ... وتهفو إلى نوره كل عين

***

وبالرجوع إلى الديوان الذى نشر به الشاعر محمود حسن اسماعيل هذه القصيدة.. وجدنا إن اسمه: ديوان «أغانى الحرية»، ونشر فى الجزء الثانى من كتاب الأعمال الكاملة للشاعر.

وفى مقدمة فى أسطر قليلة كتبها الشاعر تحت عنوان قصيدة «الصباح الجديد» والتى نشرت بالديوان المشار إليه قال: «فى ١٦ يناير عام ١٩٥٦ غنتها أم كلثوم ومصر الثائرة المتحررة تعلن دستورها ودستور ثورتها وهى ماضية إلى الأمام بعد أن تخلصت من نير الاستبداد والإقطاع والاحتلال.. راحت ترسى قواعد البناء لمجتمعها الجديد. وترجمت هذه القصيدة إلى اللغة الصينية».

ولقد لاحظنا فى السياق نفسه أن أم كلثوم قد اختارت من أبيات قصيدة «الصباح الجديد» ١٢ بيتاً فقط من أصل ١٨ بيتاً كتبها الشاعر محمود حسن اسماعيل.. ووفقًا لمنهجنا السابق والذى اتبعناه مع غيره من شعراء أم كلثوم خاصة بالنسبة لبيان أصل

القصيدة وما أدخل عليها من تعديلات، اتضح لنا أن سيدة القصيدة العربية قد التزمت في اختيارها للأبيات التي تغنت بها.. بالترتيب الذى وضعه الشاعر دون تبديل أو تأخير أو تعديل!. رغم أنها قد أهملت ستة أبيات.. نحن نعيد نشرها هنا.. حتى تكتمل الفائدة..

وهي الأبيات التي قال فيها شاعرنا محمود حسن اسماعيل:

وسارت موحدة في الجهود ... بعزم قوى وبأس شديد
ومجد على الدهر ماض تليد ... سنحميه بالروح والساعدين

***

له الله.. صبح قوى الضياء ... جرت نار ثورته في الدماء
وطارت به مصر نحو السماء ... ومدت ضحاها على الخافقين

***

وأعطت جناها عميم الثمار ... بشورى من الرأى فيها منار
بلادى تألق ضوء النهار ... وعمت بشائره الشاطئين

***

وفي عام ١٩٥٨ كررت أم كلثوم تجربة أن تغنى إحدى قصائد محمود حسن اسماعيل، وهذه المرة اختارت قصيدة عن بغداد سجلتها على أسطوانة صوت القاهرة ولحنها كذلك رياض السنباطي.

وهي التي قالت فيها:

بغداد يا قلعة الأسود

يا كعبة المجد والخلود

يا جبهة الشمس للوجود

سمعت في فجرك الوليد ... توهج النار في القيود
وبيرق النصر من جديد ... يعود في ساحة الرشيد

بغداد يا قلعة الأسود

زأرت في حالك الظلام ... وقمت مشدودة الزمام

للنور للبعث للأمام

لبأسك الظافر العتيد ... ومجدك الخالد التليد

عصفت بالنار والحديد — وعدت للنور من جديد

بغداد يا قلعة الأسود

يا عرب دوخوا الليالي

وحطموا صخرة المحال

ضموا على شعلة النضال

مواكب البعث والصعود — لقمة النصر في الوجود

عودوا لأيامكم وعودي — كالفجر في زحفك الجديد

بغداد يا قلعة الأسود

قد أذن الله في علائه — أن ينهض الشرق من كراه

ويرحل الليل من سماه

وتسطح الشمس من جديد — من أمسنا للثائر المجيد

بغداد يا قلعة الأسود

***

والغريب أننا حين رجعنا لكل دواوين الشاعر لم نعثر فيها على أصل لهذه القصيدة!!.. بل وجدنا أن الشاعر محمود حسن اسماعيل قد نشر في هذه الدواوين قصيدتين عن بغداد.. الأولى بعنوان «بغداد» في ديوانه «لابد».. والثانية بعنوان.. «غضبة الثائر» بل وأكثر من ذلك، فإن شاعرنا قد طبع أحد دواوينه في مدينة بغداد في ١٩٧٢.. وأيضا لم ينشر فيه القصيدة المشار إليها!.

وهذه الملحوظة تحتاج إلى دراسة واستبيان للوقوف على سرها وربما يرجع السبب في عدم نشرها إلى جامعي أعمال الشاعر محمود حسن اسماعيل حيث لم يلتفتوا إليها.. ونحن هنا ننوه عنها من أجل تدارك ذلك النقص إن امكن في الطبعات الجديدة لدواوين هذا الشاعر الكبير.

* * *

وفي عام ١٩٦٦ اكتملت رحلة أم كلثوم مع قصائد محمود حسن اسماعيل حيث غنت له قصيدة، «ياربي الفيحاء».. في فبراير من العام نفسه وأيضا من تلحين رياض السنباطي.

وهى التى تقول فيها:

وفـق الـلـه عـلـى الـنـور خـطـانـا ... والـتـقـت فـى مـوكـب الـنـصـر يـدانـا
وحـدت شـمـس الـضـحـى أعـلامـنـا ... وانبـرت فـى الشرق تحيى المهرجـانـا
لا تـسـل عـنـا ولا كـيـف لـقـانـا ... واسـأل الـتـاريـخ عـنـا والـزمـانـا
نـحـن كـنـا مـهـجـة واحـدة ... ودمـاً حـراً وروحـاً وجـنـانـاً
بـارك الـلـه خـطـانـا وسـرت ... صيحـة الـفـجـر فـلـبـيـنـا الأذانا
ومـضـيـنـا فـى طـريـق واحـد ... يـتـغـنـى الـدهـر فـيـه بـعـلانـا
عـربـى أشـعـلـت أمـجـاده ... وحـدة تجـرى حـيـاة فـى دمـانـا
يـا ربـى الـفـيـحـاء.. حـيـتـك الـعـلا ... والـبـطـولات رحـابـا وجـنـانـا
هـذه أيـامـنـا قـد رجـعـت ... سـيـرة لـلـمـجـد يـرويـهـا هـوانـا
فـى صـبـاح الـشـرق عـدنـا أمـة ... مـثـلـمـا كـنـا عـلـى الـدنـيـا وكـانـا
بـردى والـنـيـل فـى يـوم الـعـلا ... وحـدا الـشـعـبـيـن قـلـبـا ولـسـانـا

***

ولقد لاحظنا بعض التغييرات التى أجرتها أم كلثوم على هذه القصيدة، حين رجعنا إلى الديوان الذى نشرت به.. واسمه ديوان «أغانى الحرية». منها علي سبيل المثال عنوان القصيدة ذاته. حيث حذفت ياء النداء واكتفت أم كلثوم بكلمة «ربى» فقط! ومع ذلك فقد التزمت أم كلثوم بعدد أبيات هذه القصيدة كما هى موجودة فى الديوان المشار إليه.. والتى بلغت أحد عشر بيتاً. وقد كتبها الشاعر متأثراً بحادث قيام أول وحدة عربية فى العصر الحديث بين مصر وسوريا.. ودليل ذلك قوله فى سطور كتبها كمقدمة لهذه الأبيات: «فى ١١ فبراير عام ١٩٥٨، وفجر الوحدة العربية يشرق من جديد يدوى نفيره فى سماء العالم كله، معلنا وحدة مصر وسوريا ومولد الجمهورية العربية المتحدة»..

ونلاحظ أن أم كلثوم قد تغنت بهذه الكلمات بعد ضياع الوحدة بأكثر من سبع سنوات، ومعنى ذلك أن الشاعر كتب قصيدته «يا ربى الفيحاء» فى مناسبة وطنية، ثم غنتها سيدة القصيدة العربية فى مناسبة قومية أخرى، وربما أرادت أم كلثوم من وراء ذلك أن تذكر الناس بهذا الحدث الفريد.. ومع ذلك لم يتذكروه.

ومن أقوى الملاحظات التى دوناها على هامش هذه القصيدة.. أن أم كلثوم لم تهمل منها ولا بيت واحد.. وبالتالى فقد أصبحت هذه القصيدة فى عداد القصائد القليلة التى لم تشهد تغييرات كبيرة حين أقبلت على الشدو بها.

***

هذا عن القصائد الثلاث، فماذا عن شاعرنا محمود حسين اسماعيل ؟!. إن ذلك ما سوف نقف عليه من خلال الأسطر القليلة القادمة.

فقد ولد الشاعر محمود حسن اسماعيل فى الثانى من شهر يوليو عام ١٩١٠ بقرية «النخيلة» مركز أبو تيج بمديرية أسيوط، ومن أسيوط حصل على شهادة البكالوريا ثم التحق بكلية دار العلوم التى تخرج منها فى عام ١٩٣٦ .. ثم عمل محرراً بمجمع اللغة العربية.. وكان موضع تقرير وحفاوة من كل أعضاء المجمع الذين تعرف عليهم.. ثم التحق الشاعر محمود حسن اسماعيل بعد ذلك بالاذاعة المصرية فى عام ١٩٤٤ وتدرج فى العمل الثقافى بالاذاعة وبرامجها وعين بعد ذلك مستشاراً للإذاعة.

نال جائزة الدولة فى الشعر فى عام ١٩٦٤ عن ديوانه «قاب قوسين».. بعد ذلك سافر شاعرنا إلى الكويت ليعمل هناك خبيراً فى مراكز بحوث المناهج محافظاً على شاعريته حتى توفاه الله فى ٢٧ ابريل عام ١٩٧٧.

وترك محمود حسن اسماعيل للساحة الأدبية على مدى عمره كله أربعة عشر ديواناً تمجد عبير حياته وعمق تجربته التى عايش فيها تجربة الأمة العربية وآلامها، وعناوين هذه الدواوين هى: أغانى الكوخ ـ هكذا أغنى ـ أين المفر ـ نار وأصفاد ـ قاب قوسين ـ لابد ـ التائهون ـ هدير البرزخ ـ صلاة ورفض ـ السلام الذى أعرفه ـ نهر الحقيقة ـ صوت من الله ـ موسيقى من الشرق ـ رياح الغيب. وقد نشرت جريدة الأهرام أشعار محمود حسن اسماعيل بدعوة من أنطون الجميل رئيس التحرير والشاعر أيضا.. كما نشرت له مجلة الثقافة أيام أحمد أمين ومجلة الرسالة على أيدى محمد حسن الزيات[١].

---

(١) هذا الرجل من مصر ـ لمعى المطيعى ـ مصدر سابق.

٨ صالح جودت

وعلاقة خاصة بأم كلثوم

هذا الشاعر الذى ترجع جذوره إلى الأصول التركية.. رغم أنه من مواليد مدينة الزقازيق، وعاش أحلى أيام حياته الدراسية الأولى فى مدينة المنصورةى. له حكاية عجيبة مع أم كلثوم. وقد بدأت بينهما من قبل أن تلتقى بكلمات أشعاره ، كما كانت هذه الفنانة العظيمة إلى جانب ذلك، سببا مباشراً فى تقلد صالح جودت لقب «الاستاذ الكبير». وهو لا يزال طالباً فى سن الخامسة عشرة من عمره.. فى مدرسة المنصورة الثانوية!.

ولكن كيف حدث ذلك؟!.. إن صالح جودت نفسه يحكى لنا جانبا مهماً من هذه القصة والتى تعود جذورها إلى أيام شبابه الأولى.. وذلك فى حوار إجرى معه فى عام ١٩٧٣ .. قال فيه بالحرف الواحد:

«حينما كنت طالباً فى مدرسة المنصورة الثانوية، قرأت مقالاً فى مجلة الصباح بإمضاء «محمدين».. وهو الكاتب المعروف المرحوم محمد عبد الرزاق.. وكان من كبار الصحفيين فى ذلك العهد. يهاجم فيه أم كلثوم هجوماً قاسياً، ولما كنت ومازالت متعلقا بصوت أم كلثوم، فقد شحذت قلمى الصغير وكتبت مقالاً أدافع فيه عن أم كلثوم وبعثت به إلى المجلة وكنت قليل الأمل فى أن ينشر، ولكن دهشتى كانت بالغة عندما وجدت المقال منشوراً بعنوان ضخم تحته بقلم الاستاذ الكبير صالح جودت..»(١).

ومن المؤكد أن أم كلثوم قد قرأت هذا المقال، خاصة وأنه نشر فى مجلة ثقافية وفنية كانت مشهورة إلى وقت قريب.. والسؤال الذى يفرض نفسه هنا.. وهل كان لهذا الموضوع الخاص بدفاع صالح جودت عن سيدة الغناء العربى، علاقة باختيار الأخيرة كلمات من أشعاره لكى تشدو بها؟!. لا أظن!، ذلك لأن صالح جودت كتب هذا المقال وهو فى سن لم يكن فيها قد أتقن قول الشعر بعد كما أن المقال ذاته ربما نشر فى الأربعينيات، وأم كلثوم غنت أشعاره فى الستينيات!.

---

(١) مجلة الجديد العدد الصادر فى ١٩٧٣/٦/١٥.

وقد يكون لانتماء شاعرنا صالح جودت للمحافظة التى جاءت منها أم كلثوم دافع آخر.. ربما! ولكن الأهم من كل ذلك.. هو عذوبة ورقة وتفرد وتميز كلمات صالح جودت التى أهلته لكى يكون فى عداد الشعراء العرب المعاصرين من الذين تركوا بصمات واضحة فى عالم الشعر.

هذه المكانة كانت فى الأصل هى الدافع الحقيقى نحو اختيار أم كلثوم لكلمات من أشعاره لكى تشدو بها. سواء فى مجال القصيدة الوطنية أو الدينية.

ولسوف نلمس ذلك بوضوح حين نعيش مع كلمات صالح جودت وألحان رياض السنباطى وصوت كوكب الشرق أم كلثوم. وقد غنت له قصيدتين الأولى بعنوان: «حبيب الشعب».. فى عام ١٩٦٧ والثانية بعنوان: «الثلاثية المقدسة» فى عام ١٩٧٢.

ففى القصيدة الأولى: «حبيب الشعب» قالت سيدة القصيدة العربية:

قم واسمعها من أعماقى فأنا الشعب

إبق فأنت السد الواقى لمنى الشعب

ابق فأنت الأمل الباقى لكل الشعب

أنت الخير وأنت النور أنت الصبر على المقدور

أنت الناصر والمنصور

إبق فأنت حبيب الشعب

دُم للشعب

قم إنا جففنا الدمع وتبسمنا

قم إنا أرهفنا السمع وتعلمنا

قم إنا وجدنا الجمع وتقدمنا

قم للشعب وبدد يأسه ... واذكر غده واطرح أمسه

قم وادفعنا بعد النكسة ... وارفع هامة هذا الشعب

إبق فأنت حبيب الشعب ... حبيب الشعب.. دُم للشعب

قم لله وقل للعاصى ... رغم الجرح ومر الكأس

عاشت مصر

وغدا ستأذن فى الناس طلع الفجر	وغداً ستحى الأجراس يوم النصر
قم إنا أعددنا العدة	قم إنا أعلنا الوحدة
فارسم أنت طريق العودة	وتقدم يتبعك الشعب
إبق فأنت حبيب الشعب	حبيب الشعب دم للشعب

* * *

وهناك ملحوظة رأينا من الواجب الإشارة إليها.. خاصة وأن أم كلثوم قد شدت بهذه القصيدة فى شهر يونية من عام ١٩٦٧ .. وبعد أيام من وقوع النكسة.. وبالضبط حين أعلن جمال عبد الناصر اعتزامه الاستقالة من منصبه.

مما يدل دلالة واضحة على حضور هذا الشاعر وتعبيره الصادق عن أهم ما كان يمر به وطنه الجريح من أحداث جسام!.

وكذلك تدل هذه القصيدة دلالة أخرى على اتجاه أم كلثوم القوى نحو التغنى بالإغنيات الوطنية التى زادت جرعتها بعد وقوع هذه المصيبة.

والمتتبع الواعى لخط سير قصائد وأغنيات كوكب الشرق فى الفترة نفسها وحتى يوم وفاتها.. سوف يلاحظ أن مؤشر إقبالها على القصائد الوطنية قد زاد عن ذى قبل!، كما سوف يلاحظ اختفاء كلمة جمال عبدالناصر من كل ما شدت به.. والاكتفاء فقط بالإشارة إليه عن أنه الزعيم!.

وعلى أيه حال فإننا حين رجعنا إلى ما دونه صالح جودت فى ديوانه الذى شمل هذه القصيدة، وجدنا عدة تغييرات أدخلها الشاعر بنفسه بناء على طلب أم كلثوم يوم لحنها رياض السنباطى. وكان من أهم هذه التعديلات ما وقع للشطر الأول من البيت الثانى الذى قالت فيه أم كلثوم.

إبق فأنت الأمل الباقى
لكل الشعب،

وقد كتبه الشاعر بقوله: ابق فأنت الأمل الباقى
لغد الشعب.

وكذلك فى البيت الذى تقول فيه أم كلثوم:

قل لله وقل للعاصى	رغم الجرح ومر الكأس

هذا البيت غيرت فيه أم كلثوم لفظين الأول: استبدلت كلمة «الله» بدلاً من كلمة «الشعب» وكذلك كلمة «العاصى» بدلاً من كلمة العصر!.

وأما فى البيت الذى تقول فيه أم كلثوم:

وغداً ستأذن فى الناس طلع الفجر   وغدا ستحمى الأجراس يوم النصر

فكان فى الأصل الذى كتبه صالح جودت:

وغداً ستأذن فى الناس طلع الفجر   وغدا ستحوى الأجراس يوم النصر

والملحوظة الأخيرة والمهمة هى أن أم كلثوم غيرت كذلك فى عنوان هذه القصيدة حيث أصبح يقول: «حبيب الشعب».. بدلاً مما كتبه المؤلف وكان «دُم للشعب»!

* * *

وفى عام ١٩٧٢، وبالضبط فى يوم ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٧٢. شدت أم كلثوم بقصيدة «الثلاثية المقدسة».. وهى تأتى ضمن برنامج كوكب الشرق الذى اتبعته بعد هزيمة يونيه وذلك باللجوء إلى الأغنيات والقصائد الدينية إلى جانب القصائد الوطنية. وذلك للتخفيف من وقع صدمة الهزيمة!.

وقصيدة الثلاثية المقدسة قال فيها الشاعر صالح جودت:

رحاب الهدى يا منار الضياء   سمعتك فى ساحة من صفاء
تقول: أنا البيت ظل الإله   وركن الخليل أبى الأنبياء
أنا البيت قبلتكم للصلاة   أنا البيت كعبتكم للرجاء
فضموا الصفوف وولوا الوجوه   إلى مشرق النور عند الدعاء
وسيروا إلى هدف واحد   وقدموا إلى دعوة للبناء
يزكى بها الله إيمانكم   ويرفع هاماتكم للسماء

***

كورس: طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع

***

يا عطاء الروح من عند النبى   وعبيراً من ثنايا يثرب
يا حديث الحرم الطهر الذى   يطلع النور به فى اللهب

قـم وبـشـر بـالمسـاواة الـتـى ... ألـفـت بـيـن قـلـوب الـعـرب
والإخـاء الحـق والحـب الـذى ... وحـد الخـطـو لـسـيـر الموكـب
والجـهـاد المـؤمـن الحـر الـذى ... وصـل الـفـتـح بـه لـلـمـغـرب

***

إمـة عـلـمـهـا حـب الـسـمـاء ... كـيـف يـبـنـى ثـم تـعـلـو بالـبـنـاء
فـمـضـت تـرفـل فـى وحـدتـهـا ... وتـبـاهـى فـى طـريـق الـكـبـريـاء
بـيـد تـسـع فـى أرزاقـهـا ... ويـد تـدفـع كـيـد الأشـقـيـاء
سـادت الأيـام لمـا آمـنـت ... إن بـالإيـمـان يـسـمـو الأقـويـاء
فـإذا اسـتـشـهـد مـنـهـم بـطـل ... كـانـت الجـنـة وعـد الـشـهـداء

***

مـن مـهـبـط الإسـراء فـى المـسـجـد ... مـن حـرم الـقـدس الـطـهـور الـنـدى
أسـمـع فـى ركـن الأسـى مـريـمـاً ... تـتـهـف بـالـنـجـدة لـلـسـيـد
وأشـهـد الأعـداء قـد أحـرقـوا ... ركـنـا مـشـيـت فـيـه خـطـى أحـمـد
وأبـصـر الأحـجـار مـحـزونـة ... تـقـول: واقـدسـاه يـا مـعـتـدى
لا والـضـحـى والـلـيـل إذا سـجـا ... وكـل سـيـار بـه نـهـتـدى
لـن يـطـلـع الـفـجـر عـلـى ظـالـم ... مـسـتـغـرق فـى حـقـده الأسـود
سـتـرجـع الأرض إلـى أهـلـهـا ... مـحـفـوفـة بـالمجـد والـسـؤدد
والمـسـجـد الأقـصـى إلـى ربـه ... مـزدهـيـاً بـالـركـع الـسـجـد
سـتـشـرق الـشـمـس عـلـى أمـة ... لـغـيـر وجـه الـلـه لـم تـسـجـد

***

وتقول لنا المؤشرات الأولى عن الفروق التى وضحت حين رجعنا إلى الديوان المنشور به قصيدة «الثلاثية المقدسة» أن عدد التعديلات اللغوية أو الكلمات التى غيرتها أم كلثوم قد بلغت ثلاثة عشرة كلمة.. هى بالتفصيل وفق موقعها من الأبيات كالتالى:

فى البيت الأول غيرت أم كلثوم كلمة «رأيتك» واستبدلها بكلمة «سمعتك».. وفى البيت الخامس فى الشطر الأول غيرت كلمة «وقوموا» فاختارت كلمة «وسيروا».. وفى الشطر الثانى اختارت كلمة «وقدموا» بدلا من كلمة.. «وسيروا»..

وكذلك أضافت أم كلثوم كلمات «الكورس» كله.. إذ لم نعثر عليها في ديوان صالح جودت، وفي المقطع الثاني بعد الكورس غيرت أم كلثوم في البيت الثاني من هذا المقطع كلمة «يا حديث الحرم» بدلا من «يا ضياء الحرم». وكذلك كلمة «يطلع النور» بدلا من «يشرق النور»!.

ومن المقطع الثالث غيرت أم كلثوم كلمة في الشطر الأول من البيت الثاني من هذا المقطع.. فاختارت كلمة «وحدتها» بدلا من: «عزتها».. وفي البيت الرابع غيرت كلمة «بالايمان» بدلا من كلمة «بالقوة».

أما في البيت الأخير من المقطع ذاته فغيرت كلمة «الشهداء» بدلا من «السعداء» في الشطر الثاني من نفس البيت.

ومن المقطع الرابع تم تغيير كلمة «مهبط» بدلا من «ساحة».. وفي يالمقطع الخامس والأخير من هذه القصيدة غيرت أم كلثوم أربعة كلمات هي كلمة «الصبح» في البيت الثاني فاختارت بدلا منها.. كلمة «الفجر».. وبدلاً من كلمة «القدس» في البيت الثالث اختارت كلمة «الأرض». وبدلاً من كلمة «يزخر» اختارت كلمة «مزدهياً». وذلك في البيت الرابع من المقطع ذاته!.

* * *

وكان علينا بخلاف ما سبق قوله.. ضرورة الوقوف على بعض اللقطات المضيئة في حياة شاعرنا صالح جودت حتى تكتمل الفائدة المرجوة.. فهو من مواليد ٧ من شهر ديسمبر ١٩١٢.. بمدينة الزقازيق.. وكان والده المهندس الزراعي كمال الدين جودت يمارس عمله في تلك الفترة بحكم ظروف اختصاصه ووظيفته في الحكومة المصرية.

ويقول الدكتور فوزي عطوى في كتابه عن «صالح جودت الإنسان والشاعر».. أن والدته المنتمية إلى أب تركي وأم مغربية رغبت في أن تدعوه «عبدالرحمن» تيمناً باسم أبيها، فسمي الولد بهذا الاسم.. ولم تجد الأم ممانعة من أحد، لا سيما وأن زوجها كمال الدين كان لحظة ميلاد ولده يعاني سكرات الموت في مستشفى الزقازيق.

وما هي إلا سبعة أيام على ولادة الطفل صالح حتى تجاوز أبوه مرحلة الخطر في المستشفى بعد أن بذل الأطباء في علاجه جهداً كبيراً.. ويغادر الأب مستشفاه إلى المنزل،

حتى إذا تناهى إليه أن الطفل الصغير يدعى «عبدالرحمن» حتى ثارت ثائرته، وقد أصر على أن يدعى ولده «صالح» وذلك تيمنا باسم انسان عزيز عليه، وهو شقيقه المستشار صالح بك جودت.

وفى تعليق لطيف للدكتور فوزى قال: ويبدو أن صالح جودت الذى سيصبح فى مقبلات الأيام اسما يملأ الدنيا ويشغل الناس، قد ورث طبع العراك وإثارة العواصف من أبيه كمال الدين..»[1].

* * *

ولقد سجل لنا الشاعر الراحل صالح جودت.. وكذلك للتاريخ بعض أسطر عن حياته فى إحدى استمارات الاستبيان التى يُعدها مركز المعلومات بأخبار اليوم ـ ومما كتب فى هذه الاستمارة: أنه حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة بتقدير جيد جداً فى عام ١٩٤٩، كما حصل على درجة الزمالة فى دراسات الأمم المتحدة فى نيويورك.

بدأ حياته العملية فى بنك مصر مديراً للدعاية. ثم محرراً فنياً ودبلوماسياً لجريدة الأهرام. ثم رئيساً لتحرير مجلة الاذاعة المصرية. وأخيراً استقر فى دار الهلال فى عام ١٩٤٥ وعمل مديراً لتحرير مجلة المصور ثم رئيساً لتحرير مجلة الاثنين، ثم نائبا لرئيس مجلس إدارة دار الهلال. وله عدة دواوين من أهمها ديوانه الأول: ليالى الهرم فى عام ١٩٣٢ والذى أصدرته جماعة أبو للو..

(١) صالح جودت ـ الشاعر والإنسان.. د. فوزى عطوى.

٩

طاهر أبو فاشا

ست قصائد فى عام واحد!

لا أعرف.. لماذا فضلت أن أبدأ الحديث هذه المرة عن شاعرنا الراحل طاهر أبو فاشا مما كتبه الأديب الكبير ثروت أباظة.. وربما يكون السبب فى ذلك راجعاً إلى إحساسى بأنه أصدق من كتب عن هذا الشاعر الذى شدت سيدة القصيدة العربية وخلال عام واحد فقط بست قصائد له.. وهى تُعد من أروع ما كتب طاهر أبو فاشا وشدت به أم كلثوم.. وبخاصة فى مجال القصيدة الدينية!.

ومما ذكره الأديب ثروت أباظة عن شاعرنا طاهر أبو فاشا قوله: «عرفته منذ قرابة خمسين عاماً وكنت طفلاً وكان يزور والدى ويقرأ له الشعر وكنت أرى البشر والاعجاب على وجه أبى.. ولم اكن فى تلك السن أدرك الشعر الذى يلقيه الاستاذ طاهر على والدى فقد كنت طفلا لم أصل إلى العاشرة من عمرى حتى إذا علت بى السن قليلاً وبدأت أتذوق الشعر.. كنت أرى الإستاذ طاهر فى بيتنا وبدأت أسمع منه فكنت أحس فى الاستماع إليه نشوة واعجاباً ومتعة تزداد كلما ازداد وعيى وحبى للشعر»[١].

أما عن علاقة أم كلثوم بشاعرنا الراحل.. فيقول سجل إغنياتها.. أن سيدة القصيدة العربية قد تغنت بكلمات ست قصائد لطاهر أبو فاشا.. فى فترة بلغت عام واحد فقط.. وهو عام ١٩٥٥ !. ثم عاودت التعاون مع كلمات قصائده.. مرة أخرى فى عام ١٩٥٩.. عندما اختارت له قصيدة وطنية تغنت بها تحية لجيش مصر الذى قاد ثورة يوليو عام ١٩٥٢!.

ويبدو أن خدمة طاهر أبو فاشا بالقوات المسلحة فى هذه الفترة.. قد فرضت على أم كلثوم هذا الاختيار!.

وطاهر أبو فاشا قد سجل لنا وللتاريخ بداية علاقته بأم كلثوم حين أشار فى أكثر من لقاء صحفى أجرى معه.. أن هذه العلاقة بدأت فعلاً من خلال قصائد «أوبريت رابعة العدوية».. والتى لحنها لها كل من رياض السنباطى ومحمد الموجى فى عام ١٩٥٥.

(١) طاهر أبو فاشا ـ ثروت أباظة ـ ديوان طاهر أبو فاشا.. الأعمال الكاملة.

وعلى إثر نجاح قصائد هذا الأوبريت والتى سوف نستعرضها بعد لحظات.. حاول طاهر أبو فاشا إعادة التجربة مع أم كلثوم من خلال كلمات قصائده فى أوبريت جديد كتبه خصيصا لها تحت عنوان «سميراميس» وبتدخل شخصى على حد قوله من الرئيس جمال عبدالناصر.

وقد دفعت أم كلثوم بقصائد هذا الشاعر الجديدة فعلاً للملحن رياض السنباطى. إلا أن الظروف تدخلت وأوقفت هذا العمل من أصله، وبالتالى أصبح رصيد طاهر أبو فاشا الشعرى لدى أم كلثوم قاصراً على هذه القصائد الست التى تغنت بها من خلال أوبريت «رابعة العدوية».. وقصيدته الوطنية «مشى المجد».

وهناك ملحوظة لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق.. وهى أن أم كلثوم فيما يبدو قد غنت هذه القصائد الست فى توقيت واحد، كما سجلتها أيضا فى التوقيت ذاته.. وهذا يتضح بسهولة من خلال متابعة متأنية لتاريخ تسجيل القصائد الست المنوه عنها، وبالتالى فقد أصبح من الصعوبة بمكان.. أن نضع أيدينا على القصيدة الأولى التى غنتها أم كلثوم لطاهر أبو فاشا.. ولم يكن أمامنا من سبيل لتحديد هذه البداية سوى الرجوع لسجل أغنيات أم كلثوم والتى وضعته اللجنية الموسيقية العليا فى عام ١٩٧٥ .. وفيه إشارة إلى أن أولى هذه القصائد.. كانت قصيدة «عرفت الهوى».. وفق ترتيبها فى صفحات هذا السجل.

ومما لاحظناه كذلك فيما يخص ما تغنت به أم كلثوم بالنسبة لطاهر أبو فاشا.. إن معظم هذه القصائد.. كانت قصيرة إذا ما قيست بقصائد غيره من الشعراء سواء المصريين أو من غيرهم.. ولسوف يتضح ذلك بجلاء حالاً عندما نستعرض كلمات هذه القصائد..

***

ففى قصيدة: «عرفت الهوى».. شدت أم كلثوم بهذه الكلمات:

عرفت الهوى مذ عرفت هواكا ... وأغلقت قلبى عمن عداكا
وقمت أناجيك يا من ترى ... القلوب ولسنا نراكا
أحبك حبين.. حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا

وأمــا الــذى أنــت أهــل لــه — فكشفك لى الحجب حتى أراكا

فــلا الحــمــد فــى ذا ولا ذاك لــى — ولــكــن لــك الحــمــد فــى ذا وذاكــا

أحــبــك حــبــيــن.. حــب الــهــوى — وحــبــاً لأنــك أهــل لــذاكــا

وأشــتــاق شــوقــيــن.. شــوق الــنــوى — وشــوقــاً لــقــرب الخطى مــن حــمــاكــا

فــأمــا الــذى هــو شــوق الــنــوى — فــمــسرى الــدموع لــطول نــواكــا

أمــا اشــتــيــاقــى لــقــرب الحــمــى — فــنــار حــيــاة جــنــت فــى ضــيــاكــا

ولست على الشجو أشكو الهوى — رضيت بما شئت لى فى هداكا

***

وفى ديوان طاهر أبو فاشا.. نشرت هذه القصيدة مع ملاحظة وجود بعض التعديلات.. كان من أهمها اسم القصيدة وهى بعنوان: «أحبك حبين».. فى حين غنتها أم كلثوم تحت اسم «عرفت الهوى».

كما أشار الشاعر فى هامش هذه القصيدة إلى أن الأبيات من الثالث حتى السادس ليست من تأليفه.. وانما هى أبيات نقلها من أشعار رابعة العدوية..

ولأول مرة نلاحظ أن أم كلثوم تزيد عدد أبيات إحدى القصائد عما نشره الشاعر فى ديوانه، وكانت من قبل تنقص من عدد هذه الأبيات!. إذ كررت أم كلثوم حين شدت، بهذه القصيدة البيت الذى تقول فيه:

أحــبــك حــبــيــن.. حــب الــهــوى — وحــبــاً لأنــك أهــل لــذاكــا

وقد لاحظنا أن الشاعر لم يكرره فيما نشره بديوانه.. ولذلك جاء عدد أبيات ما غنته أم كلثوم أحد عشر بيتاً. مع أن عددها فى الديوان عشرة فقط!.

* * *

ثم شدت أم كلثوم بالقصيدة الثانية للشاعر طاهر أبو فاشا.. وهى التى قالت فيها:

عــلــى عــيــنــى بــكــت عــيــنــى — عــلــى روحــى جــنــت روحــى

هــواك وبُــعــد مــا بــيــنــى — وبــيــنــك ســر تــبــريــحــى

عــلــى عــيــنــى عــلــى روحــى — فــيــاغــوثــاه.. يــا غــوثــاه

ومــن طــول الــنــوى أواه — وآه..آه

صحا من شجوه كأس ... وقد نام الخليونا
فكيف أفر من نفسى ... إذا هام المحبونا
على نفسى جنت نفسى ... فيا ويلاه.. يلا ويلاه
ومن طول النوى آواه ... وآه..آه

حيائى منك.. يبعدنى ... وداعى الشوق يدعونى
ووجه الصفح يخجلنى ... ويقتلنى ويحيينى
وأيامى تقاضينى ... على ما كان يا أسفاه
ومن طول النوى أواه ... وآه..آه

خلوت إليك يا ربى ... وقلت عساك تقبلنى
فما بالى أرى ذنبى ... وأيامى تطاردنى
مددت يدى فخذ بيدى ... إليك ومنك يا رباه
ومن طول النوى أواه ... وآه..آه

* * *

وأيضا التزمت سيدة القصيدة العربية.. بعدد أبيات هذه القصيدة كما كتبها طاهر أبو فاشا ـ ونشرها في ديوانه ـ وقد غيرت أم كلثوم فقط فى عنوان القصيدة.. إذ اختارت الكلمة الأولى من البيت الأول كعادتها دائما.. مع أن اسم القصيدة فى الديوان: هو «فى بحار الندم».. وكذلك غيرت أم كلثوم فى لفظ واحد فقط هو كلمة «يدعونى» بدلاً من كلمة «يدنينى».. فى البيت الذى تقول فى مطلعه:

حيائى منك يبعدنى

مع ملاحظة بعض الأخطاء الإملائية والمطبعية فيما يخص ما نشر فى كتاب أغنيات أم كلثوم والذى نقلنا عنه هذه الأغنيات.

* * *

ومن أوبريت رابعة العدوية الذى أذيع فى عام ١٩٥٥.. غنت أم كلثوم القصيدة الثالثة لطاهر أبو فاشا.. «يا صحبة الراح».. وهى من ألحان رياض السنباطى أيضا.. وفيها تقول:

يا صحبة الراح
أهل الراح هل حانوا
وهل تغنت على أيامها الحان
صبا الندامى وما فى الحان ألحان

فى كأس عمرى بقايا من يشاربنى
ومن يطارحنى والعيش ريحان
ثمالة من دموع الشجو ألوان
إبريقها راح يبكى وهو فرحان
ثمالة آه لو فاضت وآه إذا
غاضت.. ورواها لها والقلب لهفان
عهدى بها وكنوس الصفو مترعة
بهن طاف على السكرى سكيران
لا يشرب الراح إلا أنه ثمل
نشوان والكأس فى كفيه نشوان
ترى تعود الليالى والهوى معنا
يا غربة الكاس ما للكاس ندمان

ولم تطلب أم كلثوم كعادتها من الشاعر تغيير أية كلمة من كلمات هذه القصيدة!. وهذا الأمر يترك فى داخلنا علامة استفهام؟!.. لذلك فإن قصيدة ياصحبة الراح».. تعد فعلاً من القصائد القليلة التى لم تغير فيها سيدة القصيدة العربية أية كلمة!.

* * *

ومن نفس الأوبريت وفى العام نفسه غنت أم كلثوم القصيدة الرابعة لطاهر أبو فاشا.. وفيها تقول:

لغيرك ما مدت يدا
وغيرك لا يفيض ندى
وليس يضيق بابك بى
فكيف ترد من قصدا
وركنك لم يزل صمدا
فكيف تزود من وردا
ولطفك يا خفى اللطف
إن عادى الزمان عدا
على قلبى وضعت يدا
ونحوك قد مدت يدا
سرى ليلى بغير هدى
ولا أدرى لأى مدى
يطاردنى الأسى أبداً
ويرعانى الجوى أبدا
نهارى والهجير لظى
وليلى والظلام ردى
فوا أكبداً إذا أضحى
وإن أمسى فوا أكبدا
وليس سواك لى سند
فقدت الأهل والسندا

ومن قبل أن أرجع لديوان طاهر أبو فاشا للوقوف على رأى أم كلثوم من هذه القصيدة التى نشرها تحت عنوان: «لغيرك ما مددت يدا».

ظننت أن سيدة القصيدة العربية لم تجر أية تغيرات عل هذه القصيدة.. مثل القصيدة السابقة.. ولكننى حين رجعت إلى الديوان الذى نشر به طاهر أبو فاشا قصائد أوبريت رابعة العدوية، وخاصة قصيدته المنوه عنها آنفا اكتشفت أن أم كلثوم مارست أسلوبها نفسه السابق فى إجراء العديد من التعديلات والتى كان من أهمها إهمال بيتين من قلب هذه القصيدة وهما اللذان قال فيهما الشاعر:

وينشر فى الهوى روحاً ... ويطوينى الهوى جسداً
وأطوى البيد طاوية ... كأنى فى الفضاء صدى

ولا نعرف السبب الذى دفع بأم كلثوم لإجراء هذا التعديل الكبير فى هذه القصيدة مع أن هذين البيتين يكملان المعنى الذى قصده الشاعر، حين أخذ يتحدث فى صفاء نفس عن وسائله فى التقرب إلى الله رب العالمين.

وعلى فكرة فإن هذه القصيدة وضع ألحانها الموسيقار كمال الطويل.. وبذلك أصبح مشاركاً أصيلاً فى وضع ألحان أم كلثوم سواء الدينية أو الوطنية.. إذ لم يسعده حظه فى تلحين أغنية عاطفية لأم كلثوم!.

* * *

وفى خطوة ذكية من سيدة القصيدة العربية فيما يخص شاعرنا طاهر أبو فاشا.

فقد أشركت أكثر من ملحن.. لوضع الموسيقى لكلمات هذا الشاعر الكبير.. وهذه المرة اختارت الموسيقار محمد الموجى لوضع ألحان قصيدتين من قصائد أوبريت رابعة العدوية».. الأولى قصيدة «أوقدوا الشموس» والتى قالت فيها أم كلثوم:

كورس: أوقدوا الشموس ... انقروا الدفوف
موكب العروس ... فى السما يطوف
والمنى قطوف ... انقروا الدفوف

رابعة: [صوت أم كلثوم]

الرضا والنور ... والصبايا الحور
والهوى يدور

آن للغريب أن يرى حماه
يومه القريب شاطئ الحياة
والمنى قطوف في السما تطوف
انقروا الدفوف
طاف بالسلام طائف السلام
يوقظ النيام
عهده الوثيق واحة النجاة
أول الطريق هو منتهاه
والمنى قطوف في السما تطوف
انقروا الدفوف

وفى ديوان طاهر أبو فاشا نشرت هذه القصيدة تحت عنوان: «عروس السماء».. ودون التقسيم الذى ارتضاه الملحن.. سواء على لسان الكورس أو رابعة العدوية .. وكذلك لاحظنا أن سجل أغنيات أم كلثوم الذى نشر به هذه القصيدة المغناة قد أهمل أحد مقاطع هذه القصيدة.. وإن كنت على يقين من أن أم كلثوم قد شدت وبهذا المقطع ضمن مقاطع هذه القصيدة..

وعلى أية حال فقد أثرت نشر المقطع المنوه عنه وبذلك يكتمل نشر القصيدة التى ألفها طاهر أبو فاشا ونشرها فى ديوانه المنوه عنه.

وكلمات هذا المقطع تقول:

يا حبيب الروح تائه مجروح
كله جروح
لاذ بالباب شوقه دعاه
والرضا رحاب يشمل الصفاة
والمنى قطوف في السما تطوف
انقروا الدفوف

وأما القصيدة الثانية والتى لحنها محمد الموجى من أوبريت «رابعة العدوية» فهى. التى قالت فيها أم كلثوم تحت عنوان «حانة الأقدار».

سألت عن الحب أهل الهوى سقاة الدموع ندامى الجوى

فقالوا حنانك من شجوه ومن جده بك أو لهوه
ومن كدر الليل أو صفوه سل الطير إن شئت عن شدوه
ففى شدوه همسات الهوى وبرح الحنين وشرح الجوى
ولما طوانى الدجى والجوى لقيت الهوى وعرفت الهوى
ففى حانة الليل خمارهُ وتلك النجميات سماره
وهمس النسائم أسراره وتحت خيام الدجى ناره
وفى كل شىء يلوح الهوى ولكن لمن ذاق طعم الهوى

والغريب أننا حين رجعنا إلى الديوان المنشور فيه هذه القصيدة وجدنا تغييراً كبيراً أدخلته أم كلثوم على هذه القصيدة.. ومن أهم هذه التغييرات أن كوكب الشرق أهملت أربعة أبيات كتبها طاهر أبو فاشا فى بداية هذه القصيدة والتى يقول فيها:

حانة الأقدار عربدت فيها لياليها
ودار النور والهوى صاحى
هذه الأزهار كيف نسقيها وساقيها
بها مخمور كيف يا صاح!

ليس هذا فقط.. بل إن أم كلثوم قد أهملت المقطع قبل الأخير من ذات القصيدة والتى يقول فيها طاهر أبو فاشا:

ورحت إلى الطير أشكو الهوى وأسأله سر ذاك الجوى
فقال حنانك من جمره ومن صحو ساقيه أو سكره
ومن نهيه فيك أو أمره سلى الليل إن شئت عن سره
ففى الليل يُبعث أهل الهوى وفى الليل يكمن سر الجوى

* * *

ويبدو أن وجود الشاعر طاهر أبو فاشا فى الجيش فى فترة عام ١٩٥٩ كان دافعاً جديداً لتعامل أم كلثوم مع كلمات جديدة من أشعاره.. إذ اختارت سيدة القصيدة العربية قصيدة سادسة من قصائده ولكنها هذه المرة كانت قصيدة وطنية وكان عنوانها أيضا: «الجيش» !. حيث قالت أم كلثوم من خلال كلماتها:

مشى المجد فى يومه المرتقب وأشرق فى عيده ما غرب
فقر حى جيشك جيش العرب حمى الزمار وجيش السلام
سلام سلام سلام سلام

بنيناه من مجدنا الغابر   وصغناه من دمنا الثائر

أعز من الروح والناظر

طليعة ثورتنا الظافرة   وقوة قوتها القاهرة

فيحمى السلام ويرعى الزمام   سلام على الجيش فى يومه

وفى كل يوم عليه السلام

تعطر واديك أمجاده   ونخطر باليمن أعياده

ونحمى العروبة أجناده

إذا جرد السيف من جردا   أداروا عليه كئوس الردى

وردوه يعثر فى ظلمه   وقد لبث الصبح وجه الظلام

سلام على الجيش فى يومه

وفى كل يوم عليه السلام

سلام سلام سلام

سلوا عين جالوت عن أمسه   سلوا أرض سيناء عن بأسه

إذا صرح الهول عن نفسه   وكبر للموت من كبرا

ونادى إلى الله أسد الشرى   كذلك جيشك فى عزمه

دماء حلال وأرض حرام   سلام على الجيش فى يومه

وفى كل يوم عليه السلام

سلام سلام سلام

ومما لاحظناه من تغييرات أجرتها أم كلثوم بالاشتراك مع الملحن رياض السنباطى على هذه القصيدة.. تكرارها لكلمة «سلام سلام سلام».. بعد كل مقطع بدلا من البيت الذى استخدمه الشاعر لنفس الغرض والذى يقول فيه:

مشى المجد فى يومه المرتقب!.

* * *

ووفقا لمنهجنا السابق الذى يقوم فى الأساس على تناول الشعر والشاعر.. فقد بقى لنا من هذا الحديث.. حديث آخر عن طاهر أبو فاشا.. لما له من أهمية فى استكمالنا لدائرة المعرفة فوق هذه الأوراق.

لقد حفل كتابه «الأعمال الكاملة» الذى صدر من بعد رحيله بالشىء الكثير عن حياة شاعرنا المتميز. ومما جاء فى مقدمة هذا الكتاب: أنه ولد فى مدينة دمياط فى عام ١٩٠٨ وتخرج فى كلية دار العلوم عام ١٩٤٠ ثم توفى فى ١٢ مايو على ١٩٨٩.

وترك لنا طاهر أبو فاشا ستة دواوين من الشعر هى: صورة الشباب ـ الأشواك ـ الفتيارة السارية ـ راهب الليل ـ الليالى ـ دموع لا تجف، كما أصدر الشاعر دواوينه الثلاثة الأولى فى أعوام ١٩٢٨ و ١٩٣٢ و ١٩٣٨ وفيها تشعر كما يقول خليل جبران عنه فى مقدمة ديوانه «الأشواك»: أنه شاعر بلاريب مجدد من طراز الذين لا يعوزهم قوة الديباجة وجمال العبارة».

وبعد صدور هذه الدواوين الثلاثة جذبته الإذاعة فوقف نفسه عليها واستنفد نشاطه وطاقته الإبداعية فى التأليف لها، وبالتالى انصرف عن قول الشعر إلا بين الحين والحين.. حينما كانت تفرض عليه التجربة الشعرية نفسها.

وقد استمر طاهر أبو فاشا يقدم للإذاعة إنتاجه الأدبى الذى تمثل فى البرامج التمثيلية والغنائية وكان على رأسها «ألف ليلة وليلة» ـ وألف يوم ويوم[١].

(١) عبدالعليم عيسى ـ ديوان طاهر أبو فاشا الأعمال الكاملة ـ عام ١٩٩٢.

١٠ كامل الشناوى

وقصيدة واحدة فقط!

هذا الرأى الذى سوف ندلى به حالاً. نقوله على مسئوليتى الخاصة. وعلى المتضررين اللجوء إلى شياطين الشعر!. فقد حرصت أم كلثوم على أن تتعامل مع كلمات الشاعر الراحل كامل الشناوى.. خاصة الوطنية منها.. تحت ضغطين.. الأول كان مصدره أخيه الصغير مأمون الشناوى الذى أبدع لأم كلثوم مجموعة من الأغنيات العاطفية صاحبة الصيت العالى.. والمصدر الثانى: هو مصطفى أمين.. صديق كامل الشناوى وأحد الذين عاشوا تجربته مع الشعر والصحافة والحب والرحيل، وكانت أم كلثوم لا تؤخر كلمة واحدة أو طلب لمصفى أمين.. أحد أصدقائها المقربون!.

ففى عام ١٩٦٤ غنت سيدة القصيدة العربية رائعة كامل الشناوى «على باب مصر».. والتى تعد من القصائد الوطنية الجميلة.. التى تحمل فى كلماتها معان عظيمة وسامية.. تستحق التأمل والدراسة..

وتقول كلمات هذه القصيدة:

على باب مصر تدق الأكف ويعلو الضجيج

رياح تثور جبال تدور بحار تهيج

وكل تساؤل فى دهشة وكل تساؤل فى هلفة

أين.. ومن.. وكيف.. إذن

أمعجزة ما لها من أنبياء

أدورة أرض بغير فضاء

وتمضى الكواكب بالقادمين من كل لون وكل مجال

فمن عصر مينا إلى عصر عمرو ومن عصر عمرو لعصر جمال

وكيف تحقق ما كان وهما ... ومن ذا الذى يا ترى حققه

وكيف تحرر من أسره ... سجين الزمان من أطلقه

لقد شاد بالأمس أهرامه ... بأيد مسخرة موثقة

وهـا هـو يـبـنـى بـحـريـة | دعـائـم آمـالـه المـشـرقـة
بـسـد مـنـيـع عجـيـب الـبـنـاء | يـبـث الـرخـاء ويـوحـى الـثـقـة
فـأزراق أبـنـائـه حـرة | وحـريـة آرائـه المـطـلـقـة
ولـيـس لـهـم سـيـد أو مـسـود | فـكـل سـواد بـلا تـفـرقـة
أمـعـجـزة مـالـهـا مـن أنـبـيـاء | أدورة أرض بـغـيـر فـضـاء
وصاح مـن الـشـعـب صوت طـلـيـق | قـوى أبـى عـمـيـق عـريـق

يقول: أنا الشعب والمعجزة

أنـا الـشـعـب لا شـىء قـد أعـجـزه | وكـل الـذى قـالـه أنجـزه
فـمـن أرضـى الحـرة الـصـامـدة | صـنـعـت حـضـاراتـنـا الخـالـدة
بـقـومـيـتـى واشـتـراكـيـتـى | بـنـبـض الـعـروبـة فـى إمـتـى
أنـا الشـعـب لا أعرف المـتـسـحـيـلا | ولا أرتـضـى بـالخـلـود بـديـلا
بـلادى مـفـتـوحـة كـالـسـمـاء | تـضـم الصـديـق وتمـحـو الدخـيـلا
أنا الـشـعـب.. شعب العلا والـنـضال | أحـب الـسـلام أخـوض الـقـتـال
ومـنـى الحـقـيـقـة ومـنـى الخـيـال | وعـنـدى الجـمـال وعـنـدى جـمـال

* * *

وواضح من خلال قراءة متأنية لهذه القصيدة أن كامل الشناوى قد كتبها فى ظروف سياسية معينة، وقد ارتبطت هى الأخرى إلى حد بعيد بالخط الاشتراكى الذى كان قد اتخذه جمال عبد الناصر منذ أوائل الستينيات!.

والغريب فيما لاحظناه أن كامل الشناوى قد طعم هذه القصيدة بكلمات صريحة عن جمال عبدالناصر!. وعن جهوده عربيا ومحلياً!، وكذلك كانت أم كلثوم قد تغنت بهذه القصيدة قبل رحيل شاعرنا بأقل من عام واحد!!

وبالرجوع إلى الديوان الوحيد الذى نشر به كامل الشناوى كل قصائده العاطفية وغير العاطفية والذى صدر تحت عنوان «لا تكذبى» عثرنا على هذه القصيدة بعنوان «أنا الشعب».. وليس بالعنوان الذى اختارته أم كلثوم وهو «على باب مصر».

وكذلك لاحظنا وجود تغييرات جوهرية كثيرة أدخلتها أم كلثوم والموسيقار محمد عبدالوهاب على هذه القصيدة.. سواء من حيث الحذف أو التعديل والتبديل ويتضح ذلك مما يأتى:

فقد بدلت أم كلثوم مكان كلمتى «جبال تدور» حيث وضعتهما فى مكان كلمتى «رياح تثور»!. إذا اختار الشاعر الكلمتين الأوليتين حيث افتتح بهما شطر بيته الأول.. بينما عكستهما أم كلثوم حين غنت القصيدة!.

بل واستغنت أم كلثوم عن بعض الأبيات التى قال فيها كامل الشناوى بعد البيتين الأول والثانى:

ونصغى ونصغى!!..

فتسمع بين الضجيج سؤالاً وأى سؤال

وتسمح همهمة كالجواب وتسرع همهمة كالسؤال

وكذلك غيرت فى البيت الذى قالت فيه:

وكل تساؤل فى دهشة   وكل تساؤل فى لهفة

أين ومن وكيف إذن!.

كما حذفت أم كلثوم أبياتاً أخرى من هذه القصيدة. وهى التى قال فيها الشاعر:

نعم.. كيف أصبح هذا الجلال	بأقصى مداه
حقيبة شعب	غزاه الطغاة وأى طغاه

***

هذا عن المقطع الأول مما غنته أم كلثوم.. سواء بعد الحذف أو قبله.. وأما بالنسبة للمقطع الثانى.. فقد استغنت فيه أم كلثوم كذلك عن أبيات بعينها.. كتبها كامل الشناوى وهى التى يقول فيها:

وجاء الغزاة جميع الغزاة	فأبدوا خشوعاً وأحنوا الجباة
وتلمع بين الجموع وجوها	يرف عليها حنان الإله
ففيها المنكر والعبقرى	وفيها التقاة وفيها الهداة
فموسى تشق عصاه الزحام	وذلك عيسى عليه السلام
وهذا محمد خير الأنام	أمعجزة ما لما أنبياء

أدورة أرض بغير فضاء

ثم عادت أم كلثوم لتصل ما انقطع من كلمات كامل الشناوى فيما شدت به.. عندما بدأت هذا المقطع بقولها:

وكيف تحقق ما كان وهماً ومن ذا الذى ياترى حققه؟!

مع أنها أغلقت من وسط هذه الأبيات وفق التسلسل الذى اختاره الشاعر بيت قال فيه كامل الشناوى:

على ظهرة بصمات السياط وأحشاؤة بالطوى مرهقة

كما استبدلت كلمة «بنيت» .. فى البيت الذى تقول فيه:

فمن أرضى الحرة الصامدة صنعت حضاراتنا الخالدة

واختارت بدلا منها كلمة «صنعت» !. كما هو مبين فى البيت السابق.

وحتى فى هذا المقطع استغنت أم كلثوم عن بيتين هما اللذين قال فيهما كامل الشناوى:

أنا الشعب، شعب الذرى والقمم

زرعت النخيل، صنعت الهرم

رفعت المآذن فوق القباب

بنيت المداخن تعلو السحاب

والملاحظة المهمة والواجب الإشارة إليها.. هنا أن أم كلثوم وموسيقارنا الكبير محمد عبدالوهاب قد نجحا نجاحاً باهراً فيما أدخلوه من اختصارات فى أبيات هذه القصيدة.. إذ اختاروا أهم ما فيها.. سواء من حيث المعنى أو الأداء!. ولقد ثبت لنا هذه الملاحظة كحقيقة.. عندما أعدنا قراءة القصيدة وفق ما تغنت به أم كلثوم.. فلم نشعر بأية تغيرات.. وقد أخلت بالقصيدة أو بنائها، وتلك هى العبقرية سواء فى الأداء أو فى التلحين.

* * *

وكامل الشناوى صاحب هذه القصيدة.. هو بالفعل حدوة مصرية بانت ملامحها واضحة فى عدة مجالات سواء أدبية أو صحيفة أو فكرية وكانت نشأته الدينية الأولى لاشك وراء كل ذلك. إذ أراد والده بعدما ألحقه بالأزهر أن يسير على دربه حتى يصبح مثله قاضيا شرعياً، ولكن خاب ظن ذلك الوالد.. فقد تحول كامل الشناوى من الزى الأزهرى إلى زى آخر تماماً، قذف به فى قلب شارع عماد الدين ومن بعده إلى شارع الصحافة.

وتلك لمحات سريعة عن حياة هذا الشاعر العبقرى.. وقد حفلت بها كتب كثيرة. ومما

كتب فى هذا الشأن قول المؤرخ لمعى المطيعى فى سلسلة مقالاته الرائعة «هذا الرجل من مصر»..: أنه يدعى مصطفى كامل الشناوى بن سيد سيد أحمد الشناوى. ولد فى يوم الاثنين ٧ ديسمبر عام ١٩٠٨ فى قرية «نوسة البحر» مركز «آجا» بالدقهلية.. وجاء مولده عقب رحيل الزعيم مصطفى كامل فأسماه والده مصطفى كامل. كما كان بديناً ولم تكن بدانته مصدر تعاسة له وإنما استطاع أن يجعلها مصدراً للمرح.

ولما كان والده قاضيا شرعياً لمحكمة مركز «أجا». أدخل ابنه كامل الأزهر، لكنه لم يستمر فيه سوى خمس سنوات، اتجه بعدها إلى دار الكتب يجعل منها جامعة له يطالع فيها مختلف فروع المعرفة.

ولما كان يجيد اللغة العربية عمل مصححاً فى عدة جرائد بدءاً من عام ١٩٣٠، ثم عمل محرراً بجريدة الأهرام فى عام ١٩٣٥.. وكان آنذاك يكتب فى صحف الاثنين والمصور وآخر ساعة التى رأس تحريرها فى عام ١٩٤٣..

وكذلك انتخب عضوا فى مجلس النواب عام ١٩٤٥.. وانتقل إلى أخبار اليوم فى عام ١٩٤٥ ومنهما إلى الجريدة المسائية فى عام ١٩٤٩.. ثم عاد إلى جريدة الأهرام رئيسا لقسم الأخبار فى عام ١٩٥٠. كما تولى رئاسة تحرير جريدتى الجمهورية والأخبار..

وتوفى فى يوم الثلاثاء ٣ نوفمبر فى عام ١٩٦٥. اشتهر بين زملائه بأنه كان أخر ظرفاء عصره لتميزه بالنكته الضاحكة والقفشات والمقالب الصحفية.

١١ محمد الأسمر

قصيدة للجامعة العربية

تعتبر قصيدة «زهر الربيع» لشاعرنا الكبير محمد الأسمر والتى شدت بها كوكب الشرق أم كلثوم.. من القصائد التاريخية.. أو بمعنى أخر من قصائد الشعر العربى التى ارتبطت بحدث هام من أحداث العرب التاريخية، إذ شدت بها أم كلثوم أمام أول تجمع عربى للزعماء.. سواء من الملوك أو من غيرهم من الذين حضروا توقيع ميثاق جامعة الدول العربية فى عام ١٩٤٥ .

ولقد أرادت سيدة القصيدة العربية بهذا الاختيار أن تبرهن لكل الأمة العربية على أنها أصبحت مثل جامعتهم العربية السياسية، جامعة أخرى فنية وكانت أم كلثوم بذلك أول فنانة فى تاريخنا الحديث.. تشارك فى صنع حدث سياسى مهم.. مثل إنشاء جامعة الدول العربية.

وكذلك أصبح شاعرنا محمد الأسمر من هؤلاء الشعراء الذين لعبت كلمات قصائدهم الدور الرائد فى لم شمل الأمة العربية.. منذ أكثر من خمسين عاماً!. ليس على مستوى المناسبات القومية فقط.. بل وفى التغنى بأمجاد هذه الأمة وبيان أصول حضارتها عبر التاريخ.

ولقد سبق الحديث من جانبنا سواء عبر هذه الأوراق أو غيرها من أوراق كتبنا السابقة عن هذا الدور الوطنى الكبير الذى لعبته أم كلثوم على المستويين الوطنى والعربى.. لذلك فهى ليست بحاجة إلى المزيد.. وكتابنا «تاريخ مصر يكتبه أهل الفن» فيه الشيء الكثير عن مواقف هذه الفنانة العظيمة ومواقف غيرها من فنانى مصر والعرب.. خاصة من أحداث تاريخنا الوطنى والقومى.

* * *

وأما عن كلمات قصيدة «زهر الربيع» لأم كلثوم.. فتقول التفاصيل المنقولة عن كتاب الأعمال الغنائية الكاملة لأم كلثوم.. أن ما شدت به سيدة القصيدة العربية هى الكلمات التالية:

زهرى الربيع يرى أم سادة نُجُب	وروضة أينعت أم حفلة عجب؟!
تجمع الشرق فيها مؤتلف	كالعقد يلمع فيه الدر الذهب
كفاه أن يد الله تنظمه	وأنه أمل للشرق مرتقب
بنى العروبة هذا النصر كعبتنا	وليس فيه من الحجاج مغترب
عجبت للنيل يطفى كل ذى لهب	يكاد من نفحات الشوق يلتهب
حياكم وهو جذلان وقال لكم	إن العروبة فيما بيننا نسب
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم	فصافحوها تصافح نفسها العرب.

***

وعلى الرغم من حساسية المناسبة القومية التى شدت من أجلها أم كلثوم هذه القصيدة إلا أنها والملحن الكبير زكريا أحمد.. لم يخشيا أى تغيير أو تعديل قد أدخلاه على القصيدة!.

ولسوف نتعجب حين نعرف أن هذا التغيير قد شمل كلمات تخص إلى حد بعيد الملك فاروق. الذى كان حاضراً هذا الحفل.. بل وكان يقام أيضا داخل قصر عابدين مقر حكمه.

فقد استبدلت أم كلثوم كلمة «الفاروق» فى البيت الثالث.. واختارت بدلاً منها كلمة «الله».. حيث كتب الشاعر محمد الأسمر الشطر الأول من هذا البيت هكذا.

كفاه أن يد الفاروق تنظمه(١).

ليس هذا فقط.. بل إن أم كلثوم حذفت بيتا بكامل كلماته من هذه القصيدة وفيه حديث صريح عن الملك فاروق أيضا!.

إذ قال فيه الشاعر:

هو السماء وفاروق به قمر	وأنتم فى السماء السبعة الشهُب

وهذا يعنى أن كوكب الشرق.. قد شدت فقط بسبعة أبيات من هذة القصيدة.. مع أن عدد أبياتها فى الديوان المنوه عنه ثمانية أبيات! ولم تكتف أم كلثوم بهذه التغييرات.. بل أضافت إليها.. تغييراً آخر فى عنوان القصيدة.. من «فرحة الشرق» إلى «زهر الربيع»! وتلك سمة دائمة لاحظناها فى كل ما تغنت به أم كلثوم من قصائد سواء من الشعر القديم أو الحديث!.

(١) ديوان محمد الأسمر ـ الصادر عام ١٩٥١ .

ولقد ذكر لنا الشاعر المناسبة التى ألف فيها هذه القصيدة عندما قال فى مقدمة صغيرة كتبها أعلى قصيدة «فرحة الشرق» : «حينما وقع مندوبو الأمم العربية الميثاق العربى وكان ذلك سنة ١٩٤٥ أقيمت لهذه المناسبة حفلة كبرى بسراى عابدين، وقد شرف هذه الحفلة جلالة الملك فاروق.. والقصيدة الآتية المعروفة باسم «فرحة الشرق» نظمت لتحية ممثلى العروبة وقد غنتها فى هذه الحفلة الآنسة أم كلثوم ولحنها الأستاذ زكريا أحمد، والذى اقترح على الشاعر نظمها هو المغفور له صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى، وهو الذى اقترح أن يكون آخرها بيت حافظ بك إبراهيم المذكور فى آخر القطعة»[(١)].

***

ومما لاحظناه كذلك.. أن هذا الديوان.. قد اشتمل على بيان طيب لسيرة حياة هذا الشاعر.. وقد جاء فيه: ولد الشاعر محمد الأسمر فى مدينة دمياط فى يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر عام ١٩٠٠.. وقد كتب عن ميلاده صديقه قاسم مظهر يقول: «تحت سماء دمياط الساحرة وعلى أرضها الصافية الجمال، ولد الشاعر النابغ محمد الأسمر، وقد استمد من جمال بلدته وخضرتها دماثة الخلق ووداعة النفس وطيبة القلب».

التحق الشاعر فى طفولته بمكتب من المكاتب الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم بدمياط لكنه لم يلبث به إلا قليلا، ثم التحق وهو فى الثامنة من عمره تقريبا بإحدى المدارس الأهلية بالمدينة، وكان من العلوم التى يتلقاها فى هذه المدرسة القرآن الكريم حيث حفظ نصفه، وكذلك بعض المحفوظات الأدبية شعراً ونثراً والنحو والإملاء والحساب.

وكانت هذه المدرسة تعد من يتخرج منها ليكون كاتبا حسابيا بإحدى المحلات التجارية، وتخرج محمد الأسمر من هذه المدرسة فى عام ١٩١٤ وزاول التدريس بها شهوراً ثم قام بعمل كتابى فى إحدى المحلات التجارية برأس البر مدة المصيف ـ ثم عاود بعد ذلك ممارسة مهنة التدريس بالمدارس الأهلية إلى جانب مزاولة الكتابة الحسابية بالشركات التجارية.

بعد ذلك التحق بمعهد دمياط الدينى طالبا فى عام ١٩١٥.. بعدها التحق بمدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة فى عام ١٩٢٠، وظل بها ثلاث سنوات ومن بعدها التحق

(١) المصدر السابق.

شاعرنا الأسمر بالأزهر الشريف الذى تخرج منه فى عام ١٩٣٠ ، وظل يعمل حتى عين أمينا للمحفوظات بالمعاهد الدينية، كما وكلت إليه مشيخة الأزهر لتنظيمها.. ثم عين معاونا بمكتبة الأزهر ثم أمينا لهذه المكتبة.

وقد انتدب وهو أمين مكتبة الأزهر للعمل بوزارة الداخلية فى قسم مراجعة الكتب، كما اختير مرتين عضوا فى لجنة النصوص بالإذاعة، وفى عام ١٩٥٦ اختير عضواً بلجنة الشعر الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب.

وتقول سيرة حياة محمد الأسمر أن الصحف المصرية كانت تنشر له إبداعاته فى الشعر وهو لا يزال طالبا بالسنة الثانية بمعهد دمياط الدينى ثم تتابعت ذلك إشراقاته فى الشعر فألف العديد من القصائد سواء الدينية أو الوطنية، وقد خلف وراءه عدة أعمال كان من أهمها ديوانين.. الأول هو «تغريدات الصباح» وهو أول مجموعة شعرية وكتب مقدمة هذه المجموعة أنطون باشا الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام.. ثم «ديوان الأسمر» الذى صدر على ١٩٥٠ .. وكذلك له كتاب فى النثر بعنوان «مع المجتمع».

١٢ الشيخ عبدالله الشبراوي

وحقك أنت المنى والطلب

فى السيرة الذاتية للشيخ الأمام عبدالله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر لاحظنا اهتمام المؤرخين بحياته كشاعر أكثر منه كشيخ للجامع الأزهر!! الأمر الذى يجعلك تشعر بأن هذا الشيخ الامام كان يولى اهتماماً كبيراً بالشعر وبالأدب، أكثر من اهتمامه بالعمل فى مشيخة الأزهر..

بل وأكثر من ذلك كان الشيخ الشبراوى يكتب أشعاراً عاطفية فى غاية الرقة، مما جعل الكثيرون من مطربى أهل زمانه يقبلون على التغنى بكلمات أشعاره! حتى شهدت السنوات الأولى للقرن العشرين تواجداً كبيراً للشيخ الشبراوى داخل مقاهى ومسارح الأزبكية.. وذلك من خلال ما كان يكتبه من أشعار يتغنى بها كبار المطربين آنذاك.

والدليل على ذلك أن سيدة القصيدة العربية أم كلثوم قد اختارت قصيدة من أروع ما كتب الشيخ الإمام وأروع ما غنت فى بداية مشوار حياتها الفنية بدءاً من عام ١٩٢٥! وهى قصيدة «وحقك أنت المنى والطلب»، التى اختارها أيضا الشيخ أبو العلا محمد من قبل لكى يلحنها ويغنيها بصوته!.

ومما قيل فى شأن الشيخ عبدالله الشبراوى الإمام السابع للجامع الأزهر.. بخصوص حبه للأدب وكتابة الأشعار لكبار المطربين فى عصره.. ما ذكره الأديب والمؤرخ محمد سيد كيلانى حين قال: «لقد شب على حب الموسيقى والغناء فكان ينظم المقطوعات الغنائية الرقيقة ويتغنى بها.. وأقبل المغنون عليه يلتمسون منه الأغانى العاطفية فأجاب رغبتهم.. فانتشرت أغانيه بين العامة والخاصة وأرباب الفن وأولاد البلد».

وأما بالنسبة لعلاقته بأم كلثوم.. فقد بدأت فى عام ١٩٢٦ .. حين شدت بكلمات قصيدته الرائعة «وحقك أنت المنى والطلب» والتى قالت فيها بألحان الشيخ أبو العلا محمد:

وحقك أنت المنى والطلب ... وأنت المراد وأنت الأرب

ولى فيك يا هاجرى صبوة ... تحير فى وصفها كل صب

أبيت أسامر نجم السما ... إذ لاح فى الدجى أو غرب

وأعرض عن عازل فى هواك ... إذا غمر يا منيتى أو عتب

أمولاى بالله رفقا بمن ... إليك بذل الغرام انتسب

ويا هاجرى بعد ذاك الرضا ... بحقك قل لى لهذا سبب

فإنى حسيبك من ذا الجفا ... ويا سيدى أنت أهل الحسب

متى يا جميل المحيا أرى ... رضاك ويذهب هذا الغضب

فإنى محب كما قد عهدت ... ولكن حبك شىء عجب

ومثلك ما ينبغى أن يصد ... ويهجر صبا له قد أحب

أشاهد فيك الجمال البديع ... فيأخذنى عند ذاك الطرب

ويعجبنى منك حسن القوام ... ولين الكلام وفرط الأدب

وحسبك أنك أنت المليح ... الكريم الجدود العريق النسب

أما والذى زان منك الجبين ... وأودع فى اللحظ نبت العنب

وأنبت فى الخد روض الجمال ... ولكن سقاه بماء اللهب

لإن جدت أو جرت أنت المراد ... ومالى سواك مليح يحب

ويقول كتاب «النصوص الكاملة لجميع أغانى أم كلثوم» الصادر عن اللجنة الموسيقية العليا.. أن سيدة القصيدة العربية قد تغنت بهذه الكلمات فى عام ١٩٢٨ كما سُجلت فى العام نفسه على أسطوانة جرامفون.

* * *

وكعادتنا فيما سبق وسلكناه مع كل ما تغنت به أم كلثوم رجعنا فوراً للديوان والذى نشرت به هذه القصيدة.. وبصعوبة بالغة عثرنا على ديوان الشيخ عبدالله الشبراوى بدار الكتب المصرية ـ وهو مطبوع فى عام ١٩٢٢ .. وكتبه العالم العلامة الحبر الفهامة الشيخ عبدالله ابن محمد الشبراوى كما جاء فى الغلاف الأول للديوان المشار إليه وذلك تحت حرف الباء الموحدة، وقد سبقها تحت هذا الحرف قصيدة قالها أثناء زيارته لقبر الرسول ﷺ..

والشاعر عبدالله الشبراوى قال ذلك بنفسه حين قدم هذه القصيدة: «قال أطال الله بقاءه وقلت أيضا متوسلاً به ﷺ حين حججت ووجهتى قبره الشريف سنة إحدى وثلاثين ومائة ألف»، وفى مقدمة القصيدة التى غنتها أم كلثوم والتى نشرت بالديوان المنوه عنه ـ كتب الشبراوى يقول: «وقال آدام الله العلا وقلت أيضا متغزلاً..».

ومما لاحظناه حين الرجوع لأصل هذه القصيدة وفقا لما هو موجود فى الديوان المشار إليه. أن أم كلثوم قد التزمت إلى حد بعيد بكل كلمات هذه القصيدة بلا أدنى تغيير.. وإن كانت قد استغنت عن بيت واحد فقط.. وهو الذى قال فيه الشاعر.

أشاع العزول بأنى سلوت وحقك يا سيدى قد كذب

وقد غنت أم كلثوم ستة عشرة بيتا من أصل سبعة عشرة. ولا نعرف سببا واضحاً لإهمال أم كلثوم للبيت السابع.. وكذلك لا نعرف سبباً واحداً لعدم لجوئها لتغيير بعض كلمات هذه القصيدة؟!!. مع أن بالقصيدة كلمات صعبة.. وغير مفهومة..

وربما إقبال الشيخ أبو العلا محمد أستاذها الأول آنذاك على التغنى بهذه الكلمات بدون تحريف.. كان هو السبب الأول والرئيسى وراء عدم إجرائها أية تعديلات.. وما يؤكد لدينا ذلك.. هو أن ملحن هذه القصيدة هو الشيخ أبو العلا نفسه.

* * *

هذا عن القصيدة.. فماذا عن الشاعر؟! إن الكلمات القادمة حتما سوف تلقى بعض الأضواء المبهرة على حياة هذا الشاعر الذى تولى يوما ما مشيخة الجامع الأزهر. وكان ترتيبه بين من تولى هذه المشيخة رقم سبعة، واسمه بالكامل الشيخ عبدالله بن محمد ابن عامر الشبراوى وهو لذلك يعد أحد الثلاثة الكبار الذين تولوا مشيخة الأزهر.

ولد الشبراوى فى مدينة القاهرة فى عام ١٠٩١هـ ـ ١٦٨٠م.. وجاء فى كتاب «شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر» أن الشيخ الشبراوى كانت له مكانة علمية وأدبية عند الحكام والعلماء، وقد سجل أحداث عصره نثراً وشعراً، وكان كذلك من أعلام مذهب الشافعية. وترك مؤلفات كثيرة يدور معظم موضوعاتها حول الأدب والبلاغة والنحو.. كما أنه له أشعار كثيرة قالها فى مدح الأشراف ولا سيما سيدنا الحسين رضى الله عنه.. توفى الشيخ الشبراوى فى عام ١١٧١هـ..

ويقول بعض المؤرخين إن هذا الشاعر الكبير استطاع أن يعيش حياة خاصة فى فترة الشباب داخل الأماكن التى كانت ترخر آنذاك بالفنون ـ مثل حديقة الأزبكية وحدائق الروضة. وقد استهوته الموسيقى والغناء، مما ساعد كثيراً فى اقترابه من عالم الفن والأدب.

وفى كتاب «تاريخ الأزهر فى ألف عام». كتبت الأديبة سنية قراعة.. عن الشاعر الشبراوى تقول إنه من مواليد عام ١٦٨٠م كان قد تلقى تعليقه الأولى حتى فى رحاب الأزهر.. كما كان يجالس كبار العلماء فى عصره وأخذ عن معظمهم. كما تتلمذ بشكل خاص على يد الشيخين الجليلين.. القلينى والفيومى.. وكانت هوايته اقتناء الكتب النفيسة..

وأضافت سنية قراعة صاحبة كتاب تاريخ الأزهر. أن الشيخ عبدالله الشبراوى.. ومن بعد رحيله قد خلف وراءه كثير من الآثار فى مختلف العلوم من أهمها: كتابه «مفاتيح الألطاف فى مدائح الأشراف» وهو ديوان شعر.. وشرح الصدور فى غزوة بدر، وعنوان البيان ونسيان الأذهان فى البلاغة[١].

(١) تاريخ الأزهر فى ألف عام ـ سنية قراعة.

١٣ محمد مصطفى الماحى

قصيدة لم ينشرها فى ديوانه!

فى حوار طال وتشعب فى أكثر من اتجاه عن هؤلاء الشعراء الذين يضطرون لكتابة إحدى قصائدهم لأجل مناسبة بعينها .. أكد الشاعر أحمد سويلم أن هناك العشرات من الشعراء سواء من مصر أو من غيرها من الذين ينفعلون ببعض الأحداث الوطنية أو القومية فيكتبون معبرين عنها.. وقد تكون هذه القصائد فى تصورهم لا ترقى لمستوى النشر فى الدواوين، لإحساسهم بأن كلمات هذه القصائد تحمل بين طياتها معانى وقتية وانفعالات تزول بزوال الحدث نفسه!.

وكذلك اكتشفنا هذا الأمر بوضوح أكثر فى مجال القصائد المغناة! إذ خصص صنف من الشعراء من الذين يكتبون بعض قصائدهم لكى يتغنى بها المطربون فى مناسبات بعينها من دون نشرها فى ديوان.

ولقد سبق لنا أن قابلنا هذه القضية مع أكثر من شاعر من الذين تعاملت معهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم سواء من الشعراء المصريين أو من غيرهم. ورغم ما عانيناه من جراء الحصول على هذه الدواوين للبحث فيها عن هذه القصيدة أو تلك..، إلا اننا فعلاً كنا نفاجئ بهذه الحقيقة الصعبة وكنا نستسلم لذلك ونكتب القصيدة المعنية والتى تغنت بها أم كلثوم من دون الإشارة إلى ما أصابها من تبديل وتعديل.. حتى جاء حديثنا مع الشاعر أحمد سويلم الذى أكد لنا هذه النظرية، وبالتالى استراح الضمير.

وهذه المرة أيضا فاجأنا الشاعر الكبير محمد مصطفى الماحى الذى لم ينشر القصيدة التى غنتها أم كلثوم من كلماته فى عام ١٩٥٦ تحت عنوان: «الفجر الجديد».. فى ديوانه المنشور بعنوان «ديوان الماحى» والمطبوع فى عامى ١٩٥٧، وبالتالى بات علينا أن نتوقف فقط أمام نص القصيدة المعنية من دون الإشارة إلى ما أصابها من تعديلات، وربما كذلك لم يصبها ذلك التعديل، الذى تعودت على إدخاله أم كلثوم مع أغلب من تعاملت معهم من الشعراء.

ويبدو أن أم كلثوم لم تسجل هذه القصيدة على أسطوانة ولا غنتها فى حفل عام.

وإنما وكما هو واضح من مدلول كلماتها أنها قد تغنت بها بمناسبة العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ .. وفيها ألفاظ عديدة ذكرها الشاعر متغنياً بالزعيم جمال عبدالناصر..

وتقول كلمات هذه القصيدة.

من أطلع الفجر الجديد | على ربى تلك الربوع الناضرة

فى القاهرة فى كل أوطان الشعوب الثائرة

هو صانع التاريخ فى أيامنا | هو مشرق الآمال فى أحلامنا

هذه خطاه على الطريق تقودنا

لم تعطنا الدنيا سواه | ولا نريد لها سواه

شدت يداه لنا الصباح | من الدجى سلمت يداه

يا مصر يا وطن العروبة يا منار الثائرين

يا مهد كل حضارة يا دار كل الخالدين

فجر الحقيقة أطلقيه وقبليه وعانقيه

وخذى فتاك إلى حماك إلى علاك وسائليه

كيف استفاق الدهر ينشر فى حمى كفيك شعره

كيف التقى الوطن الكبير بوحدة أنسته بعده

كيف استطاع فتاك أن يلقى بقلب الظلم رعده

وفتاك عبدالناصر يطلب الكفاح الظافر

لم تعطنا الدنيا سواه | ولا نريد لها سواه

شدت يداه لنا الصباح | من الدجى سلمت يداه

***

وحسناً فعل شاعرنا الكبير محمد مصطفى الماحى.. عندما رفض أن يضم ديوانه الجميل هذه القصيدة التى يبدو من ظاهر كلماتها أنها كتبت خصيصاً لمناسبة بعينها.. فى إطار ما كانت تقدم عليه أم كلثوم لاسترضاء عبدالناصر فى فترة تثبيت الوجود مع الثورة.

ولسوف يمر علينا وكما سبق وأشرنا فى أكثر من مكان.. أنها قد طلبت ذات الطلب من شاعرنا الكبير بيرم التونسي ـ والذى كتب لها أغنية «يا جمال يا مثال الوطنية» ، ولذلك فإن أى تعديل سوف تطلبه أم كلثوم وملحن هذه القصيدة الموسيقار رياض السنباطى سوف ينفذه الماحى فوراً!. وإلا !!.

* * *

وبطبيعة الحال.. ورغم ريادة محمد مصطفى الماحى فى مجال شعر الفصحى.. إلا أنه لم يكن ليوجد بيننا فوق هذه الأوراق لولا كتابته هذه القصيدة لأم كلثوم وذلك وفقًا لما ارتضيناه من منهج سابق وقد طبقناه مع جميع شعراء أم كلثوم.. عندما كنا نختتم هذا الحديث بقبس من السيرة الذاتية..

فقد ولد شاعرنا محمد مصطفى الماحى فى مدينة دمياط فى عام ١٨٩٥ .. وتلقى تعليمه فى مدارسها، ثم عُين رغم حداثة سنة بعد اجتياز إحدى المسابقات بوظيفة فى دواوين الأوقاف.. وظل يرقى بهذه الوظيفة حتى نال من خلالها العديد من المهام، وقد عين بعدها مراقباً عاماً بوزارة الأوقاف كما اختارته حكومة العراق فى عام ١٩٣٧ لتنظيم الأوقاف بها، بناء على ترشيح من الحكومة المصرية.

وفى ميدان الأدب اختير الماحى وكيلاً لرابطة الأدب العربى فى عام ١٩٣٣ .. بعدها أصدر ديوانه الأول فى عام ١٩٣٤ .. وهناك من المؤرخين ومن النقاد من الذين يرون أن الماحى تأثر كثيراً فى أشعاره بالمتبنى وأبى العلاء وابن زيدون والبهاء زهير.. هذا وقد طبع ديوانه والذى شمل كل إنتاجه فى عام ١٩٥٧ عن دار الفكر العربى.

١٤ أحمد فتحى

شاعر الكرنك

عندما بدأنا أولى محاولاتنا للبحث عن معلومات تدل إلى عالم الشاعر الكبير أحمد فتحى.. أخذت أسمع الكثير من الحكايات عن هذا الشاعر الذى مات وحيداً فى أحد فنادق القاهرة بعدما عذبه الشعر والحب والحياة!.

وكانت أولى الخيوط البيضاء التى دلتنى إلى عالم هذا الشاعر الكبير قصيدته «الكرنك» والتى شدى بها الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب... حتى أننى كثيراً ما سمعت عنه مقترنا بقصيدته الكرنك، وقد صار من يومها «شاعر الكرنك»!.

وبعد طول بحث عثرت على هذا الشاعر وعلى كلمات رأيتها خير مفتاح له ولشخصيته ولأشعاره العذبة..

ولقد ارتبطت هذه المحاولات بقصيدته الجميلة «قصة الأمس» التى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٥٨، من تلحين الموسيقار الكبير رياض السنباطى.

إن لأحمد فتحى كما لغيره من الشعراء الكبار قصصاً وحكايات مع سيدة القصيدة العربية أم كلثوم.. سوف نتوقف عند بعضها، خاصة ما ارتبط بقصيدة «قصة الأمس»، وذلك من بعد أن نعيش مع الكلمات نفسها.. ونبحث عن التغييرات التى أدخلتها أم كلثوم على هذه القصيدة إن وجدت!.

* * *

مع إشراقات شهر فبراير من عام ١٩٥٨.. نقلت الاذاعة حفلاً كبيراً لأم كلثوم تغنت فيها بقصيدة «قصة الأمس». والتى تقول كلماتها:

أنا لن أعود إليك ... مهما استرحمت دقات قلبى
أنت الذى بدأ الملامة ... والصدود وخان حبى
فإذا دعوت اليوم ... قلبى للتصافى لن يلبى
كنت لى أيام كان الحب لى ... أمل الدنيا ودنيا أملى

حين غنيتك لحن الغزل | بين أفراح الغرام الأول
وكنت عينى، وعلى نورها | لاحت أزاهير الصبا والفتون
وكنت روحى، هام فى سرها | قلبى ولم تدرك مداه الظنون
وعدتنى أن لا يكون الهوى | ما بيننا إلا الرضا والصفاء
وقلت لى إن عذاب النوى | بشرى توافيتا بقرب اللقاء
ثم أخلفت وعوداً | طاب فيها خاطرى
هل توسمت جديداً | فى غرام ناضر؟

فغرامى راح ياطول ضراعاتى إليك

وانشغالى فى ليالى السهد والوجد عليه

كان عندى وليس بعدك عندى | نعمة من تصوراتى ووجدى
يا ترى ما تقول روحك بعدى | فى ابتعادى وكبريائى وزهدى
عش كما تهوى قريبا أو بعيداً | حسب أيامى جراحا ونواحا ووعودا
ولياليى ضياعا وحجودا | ولقاء ووداعاً يترك القلب وحيداً
يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى | وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعى

يا لذكراك التى عاشت بها روحى على الوهم سنينا

ذهبت من خاطرى إلا صدى يعتادنى حينا فحينا

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدى | وعيونى الليل يخبو نورها فى دمى
وجراح مشعلات نارها فى | وأمانى حسان رقصت فى معبدى
وجراح مشعلات نارها فى مرقدى | وسحابات خيال غائم كالأبد

أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبى

أنت الذى بدأ الملالة والصدود وخان حبى

فإذا دعوت اليوم قلبى للتصافى لن يلبى

* * *

وبالرجوع إلى الأوراق التى نشرت بها هذه القصيدة خاصة إلى كتاب «اعترافات شاعر الكرنك» .. وجدنا نوعاً من التطابق فيما تغنت به أم كلثوم وكلمات القصيدة التى

كتبها الشاعر الراحل أحمد فتحى إلا فى بعض الألفاظ التى غيرتها أم كلثوم والملحن رياض السنباطى..

وعلى سبيل المثال ففى البيت الذى غنته أم كلثوم والتى تقول فيه:

فغرامى راح يا طول ضراعاتى إليه

كان فى أصل ما كتبه أحمد فتحى:

فغرامى راح يا طول غرامى إليه

وقد غيرت أم كلثوم بذلك كلمة «ضراعاتى» بدلاً من كلمة «غرامى».

وفى البيت الذى تقول فيه أم كلثوم:

وليالى ضياعاً وجحوداً ولقاء ووداعاً يترك القلب وحيداً

كان فى الأصل:

وليالى ضياعاً، وجحوداً وعناء يترك القلب وحيداً

حيث استبدلت أم كلثوم كلمة «عناء» التى كتبها الشاعر بكلمتى «ولقاء ووداعاً»!.

وبخلاف ذلك لاحظنا أن أم كلثوم قد كررت الأبيات الأولى التى قال فيها الشاعر:

أنا لن أعود إليك مهما

استرحمت دقات قلبى

أنت الذى بدأ الملالة

والصدود وخان حبى

فإذا دعوت اليوم قلبى

للتصافى لن يلبى

وهذه الأبيات لم يكررها الشاعر فى نهاية قصيدته كما فعلت أم كلثوم حين تغنت بها.

* * *

هذا عن القصيدة.. فماذا عن الشاعر وعن ظروف اختيار أم كلثوم لكى تغنيها فى عام ١٩٥٨.. بعدما أخذ أحمد فتحى يراسل أم كلثوم بقصائده الجديدة منذ أن تغنى

بقصائده الموسيقار محمد عبد الوهاب، من قبل هذا التاريخ بسنوات على حد قول الشاعر الراحل صالح جودت!؟!.

ومما يقال بشأن هذه القصيدة أيضا.. أن أم كلثوم قد اختارتها بعدما نشرها أحمد فتحى فى جريدة الأهرام.. وهذا القول يؤكده أيضا صالح جودت فى كتابه عن «شاعر الكرنك» حيث حكى لنا تفاصيل لقائه مع أم كلثوم بعدما خذله عبدالوهاب بعد أنشودة الكرنك، عندما رفض أن يغنى له قصيدة «البحيرة»، فاتجه يومئذ إلى أم كلثوم ينتقم بها من عبدالوهاب، وبعث إليها بأكثر من قصيدة[١].

ويضيف صالح جودت: ولكن أم كلثوم خذلته هى الأخرى فى ذلك العهد، عهد الشباب الأول.. ثم ها هى ذى تعود فى أيامه الأخيرة فتغنى له هذه القصيدة العذبة.

ويسترد شاعرنا كل ما فقد من أمل ويحسب أن القدر قد ابتسم له بعد طول عبوس، ويبعث إلى أم كلثوم بقصيدة أخرى فلا تستجيب له هذه المرة، فيعاود الكرة مع عبدالوهاب، ولكن أبواب عبدالوهاب تقف صماء أمام طلبه.

أما نصيبه المادى من هذه الأغنية فلا يزيد على خمسين جنيها، ينفقها فى غمضة عين، ويعود إلى حانته ليغرق همه فى الكأس، ويستسلم لموجة قاتلة من اليأس.

ويؤكد صالح جودت أن أم كلثوم قد شدت بقصيدة «قصة الأمس». قبل رحيل صاحبها بسنتين فقط.. إذ توفاه الله فى عام ١٩٦٠! وكان آنذاك يقيم فى غرفته بأحد فنادق القاهرة.. عندما أحس أنه متعب مكدود، ويحاول أن يظفر بأحد من أصدقائه الأطباء فلا يجد منهم أحداً.

ويصبح صباح حزين.. ففى الساعة العاشرة من الصباح يصل الطبيب فيجد أن رحمة الله بشاعرنا قد سبقته فى ساعة مجهولة من الليل. ليلة الرابع من يوليه عام ١٩٦٠.

***

ولقصيدة «قصة الأمس» فى حياة صاحبها قصة أيضا.. عاشها من قبل أن تفصح عنها أم كلثوم.. وقد دون طرفاً من هذه القصة الأديب محمد محمود رضوان فى كتابه

---

(١) شاعر الكرنك ـ أحمد فتحى حياته وشعره ـ صالح جودت ـ كتاب الهلال.

الباب الثانى :

شعـراء العاميـة

•• تمهيد :

شعراء لأم كلثوم
من نوع آخر!

•• الفصل الأول:

شعراء من الهواة

•• الفصل الثانى

شعراء محترفون

الفصل الأول :
شعراء من الهواة

١. كامل الخلعى

٢. بديع خيرى

٣. مصطفى نجيب

٤. حسين حلمى المانسترلى

٥. على شكرى

٦. حسين والى

٧. يحيى محمد

٨. عبد الرحمن فياض

•• تمهيد :

شعراء لأم كلثوم من نوع آخر

أنا على يقين من أن كلمة «نوع» التى اخترناها ضمن عنوان هذا التمهيد قد تثير البعض.. لاعتقادهم بأنها كلمة لا تناسب أبداً مقام الشعراء الرفيع! وذلك لكثرة استخدامها فى مجال التمييز بين الأشياء الجامدة!، وإصرارى على استخدامها فى هذا المقام رغم هذا الخلاف هو للتمييز بين نوعين من الشعر ومن الشعراء.. الأول النوع الفصيح والثانى النوع العامى!. إذا أصبح لدينا الآن فريقين أو نوعين من هؤلاء الشعراء.. نوع أو فريق من شعراء الكلام العربى الفصيح، ونوع ثان من شعراء الألفاظ العامية التى تنطلق فى آفاق كل بلد من البلدان العربية.. وكأنما هى لغة بذاتها!.

***

ولقد سبق لنا القول بأن سيدة القصيدة العربية أم كلثوم كان لها السبق وكذلك الشرف فى التعامل مع هذين النوعين أو هذين الفريقين. وبما أننا قد تناولنا فى الباب السابق كل ما يتعلق بالحديث عن أم كلثوم وشعراء الفصحى، فقد بقى لنا من الحديث ذاته كلام كثير على جانب كبير من الأهمية. عن علاقة أم كلثوم بالشعر العامى، وكذلك الوقوف على عدد هؤلاء الشعراء الذين تعاملت معهم على مدى أكثر من نصف قرن.

وما نود أن ننوه عنه ونراه أيضا على جانب كبير من الأهمية، أن طريقة التناول ومنهجنا فى الباب الأول حتما سوف يتغير عند الحديث المفصل عن شعراء العامية فى هذاالبابالجديد..

فقد تناولنا فى الباب الأول وبالحديث المفصل القصيدة أو القصائد التى تغنت بها أم كلثوم.. سواء من حيث التعديلات التى كانت تجريها على هذه القصائد.. أو من حيث ماكتبه الشاعر فى ديوانه.

ولقد بينا وفق هذا المنهج طريقة التناول سواءمن حيث الاختلاف أو الاتفاق بين الشاعر وبين أم كلثوم.. وقد ساعدنا كثيراً على ذلك وجود القصائد الأصلية لهؤلاء الشعراء مكتوبة داخل أوراق دواوينهم، مما مكننا من الرجوع إليها ومضاهاتها بما كانت تغنيه أم كلثوم!.

أما بالنسبة لحديث هذا الباب.. فقد وجدنا من الصعوبة تطبيق المنهج السابق.. إذ لاحظنا، وهى ملاحظة تستحق الدراسة والتعليق، أن معظم.. بل وربما كل شعراء العامية الذين أطلقوا على أنفسهم خطأ.. «شعراء الأغانى».. لم يعبأوا بنشر ما كانوا يكتبونه سواء لأم كلثوم أو لغيرها فى دواوين منشورة، أو مطبوعة!!.

وهذه الظاهرة لم تفرق بين شاعر عامية محترف أو هاوٍ، وعدم وجود مثل هذه الدواوين المطبوعة.. صعب من مهمة اكتشافنا لأهم التعديلات التى أجرتها أم كلثوم على هذه الأغنيات، اللهم بعض القصائد التى كانت تنشر فى الصحف ويتحدث مؤلفوها عن أهم ما تم تعديله من كلمات بناء على طلب أم كلثوم، وهى على قلتها قد أثبتت أن أم كلثوم كانت تمد يد التغيير إلى هذه الأغنيات مثلها فى ذلك مثل القصائد الفصيحة!.

* * *

كذلك مما لاحظناه فى مجال شعراء العامية.. أن هناك شاعراً واحداً وشاعرين على الأكثر قد كتبا لأم كلثوم أكثر من عشرين أغنية، وهذا الكم الكبير أيضا سوف يجعلنا نعزف عن نشر هذه الاغنيات إلا من أشهرها.. مثلما كنا نفعل ذلك من قبل ومع قصائد الفصحى.

هذه الملاحظة كانت واضحة للغاية فى مجال شعراء العامية المحترفين خاصة من أمثال أحمد رامى وبيرم التونسى وعبد الوهاب محمد ومرسى جميل عزيز.

وأما بالنسبة للشعراء الهواة.. فهم من الذين كتبوا لأم كلثوم أغنية واحدة أو أغنيتين أو أكثر ولذلك فسوف يكون لهؤلاء نصيب كبير من النشر خاصة لتلك الأغنيات التى كتبوها لأم كلثوم .. مع تعريف بهؤلاء الشعراء.. شأنهم فى ذلك شأن غيرهم سواء من شعراء الفصحى أو شعراء العامية المحترفين.

ولسوف نتعجب حين نعرف أن رائدا مسرحياً مثل بديع خيرى قد كتب لأم كلثوم وكذلك الملحن المشهور كامل الخلعى.. والسياسى مصطفى نجيب والد الفنان سليمان نجيب.. وآخرين.

الفصل الأول :
شعراء من الهواة

١. كامل الخلعى

٢. بديع خيرى

٣. مصطفى نجيب

٤. حسين حلمى المانسترلى

٥. على شكرى

٦. حسين والى

٧. يحيى محمد

٨. عبد الرحمن فياض

١ كامل الخلعي

وثلاثة أدوار غنائية من تأليفه!

كنا حين تحدثنا من قبل عن ألوان الغناء التى احترفتها أم كلثوم على مدى رحلتها الفنية الطويلة.. ذكرنا أن سيدة القصيدة العربية إنما نجحت نجاحاً باهراً فى إتقان ألوان بعينها .. مثل القصائد والأغنيات والمولونوج والأوبرا!.

وفى هذه المرة سوف نتحدث عن لون جديد احترفته أم كلثوم ولا قى عند جمهورها استحساناً كبيراً. وهو الذى أطلق عليه النقاد من أهل الموسيقى اسم «الدور الغنائى»!.

ولقد ذا ع صيت سيدة القصيدة العربية فى هذا النوع من ألوان الغناء خلال فترة الثلاثينيات من القرن الماضى، حتى أصبحت تنافس زعماء هذا اللون من فنون الأغنية من الذين طوروه على مدى أعوام طويلة!.

ومما لا حظناه فى هذا السياق «أن معظم الذين كتبوا الأدوار الغنائية لام كلثوم كانوا من الشعراء الهواة!. وعلى رأسهم الموسيقى المشهور كامل الخلعى!!. الذى كان فى هذه الفترة أحد أعمدة هذا الفن تأليفاً وتلحيناً!!.

ولما كنا قد أشرنا من قبل إلى صور الغناء وألوانه الذى أتقنه أم كلثوم مثل القصيدة والمونولوج والأوبرا.. فإننا هذه المرة سوف تلقى بعض الأضواء المبهرة على الدور الغنائى من حيث تاريخه وتطوره. والسبب الرئيس وراء ذلك هو كامل الخلعى نفسه.. الذى كتب لأم كلثوم ثلاثة أدوار.. هى من أشهر أدوارها على الإطلاق..

ولقد عثرنا على كلام جميل وهام.. عن الدور الغنائى ونشأته وتاريخه فيما سجله الناقد الفنى الراحل كمال النجمى الذى قال عن الدور:

«إن كلمة» الدور فى الغناء ليست من اختراع المسلوب ـ (يقصد الشيخ محمد عبدالرحيم المسلوب أحد رواد الغناء والموسيقى فى بداية القرن التاسع عشر) ـ وأيضا ليست من اختراع معاصريه، فإننا نجدها فى كتاب الأغانى للأصفهانى الذى تم تأليفه قبل ألف سنة.. ونجدها فى الكتب التى جاءت بعد كتاب الأغانى على امتداد الدولة العباسية

خلال مئات السنين، ومن أشهرها كتاب عنوانه: «الأدوار فى معرفة النغم والأدوار» لصفى الدين عبد المؤمن البغدادى الأموى الذى كان مطرب الخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس ـ ثم استدعاه هولاكو بعد استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨م وأمره بالغناء فى حضرته..

ومن العجب أن هذا الطاغية الرهيب قد استولى الطرب ـ عليه حين غناه صفى الدين دوراً من تلك الأدوار ـ ويقال إنه غُشى عليه طرباً فظنوه قد نام ولم يجرؤ أحد على إيقاظه، إلا أن الأدوار التى ذكرها صفى الدين فى كتابه لا تعنى الأدوار بمعناها الذى نعرفه الان..».

ثم يضيف كمال النجمى عن الموضوع ذاته قوله: «وكان الشيخ محمد المسلوب هو الذى مهد طريق «الدور» لزملائه الملحنين والمطربين قبل مائة عام وتلقفه منه عبده الحامولى فغناه ونسج على منواله ثم تقدم محمد عثمان إلى هذا الشكل الفنى الجديد فزاد فيه كثيراً حتى استكمله واستبحر فى صناعته وفق مقامات وإيقاعات لم تكن مطروقة فى أيامه وقد توسع محمد عثمان فى «الدور» وأضاف إليه حتى اعتبره الناس المخترع الحقيقى لهذا الفن الغنائى»[1].

* * *

وأعود مكرراً إلى القول بأنه على الرغم من أن ملحن أهم الأدوار التى تغنت بها أم كلثوم فى أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين هو الفنان دواد حسنى، إلا أن أكثر من كتبوا فى هذا النوع من ألوان الغناء شعراً هو الملحن كامل الخلعى!!، والذى فضلت أم كلثوم كلماته على ألحانه.. وتلك قضية مهمة تستحق المزيد من البحث والدراسة لبيان أسبابها..

ففى عام ١٩٣١ غنت سيدة القصيدة العربية أم كلثوم أولى أغنياتها للشاعر الموسيقار كامل الخلعى وهى التى تقول فيها:

حسن طبع اللى فتنى	علم القلب الغرام
والجمال اللى أسرنى	لو تشوفه يا سلام
الهلال فى طلعته	والغزال فى خفته

(١) ثراث الفناء العربى.. بين الموصلى وزرياب وأم كلثوم وعبدالوهاب تأليف: كمال النجمى.

والنسيم فى رقته قال وعزالى نلوم
بالناس حرام
العزول بالعين شايفنى أشكى وجدى والهيام
ياعزولى روح ودعنى إيه يفيد كتر الملام
ياريت تشوف ماجرالى والله ما دقت النوم ده ليالى
ده الحبيب من يوم هجرنى حرم على العين المنام

هذا الدور من ألحان داود حسنى .. وسجلته أم كلثوم على أسطوانة جرامفون فى عام ١٩٣١ ثم توالت بعد ذلك أغنيات أم كلثوم لكامل الخلعى وقد غنت له فى العام نفسه أغنيتين أخريتين هما:

الأولى بعنوان: «كنت خالى»: وتقول كلماتها:

كنت خالى لاحبيب يهجر ولافى الحب لايم
إيه جرالى فى الغرام قلبى صبح من العشق هايم
كنت أضحك ع اللى يبكى من غرامه والا بشكى
دى العيون أصل شبكى للنجوم الهوى والبدر حاكم
من لهيبى فى انتظار أمرك وفين إنجاز عهودك
ياحبيبى مش حرام بعد الصفا تخلف وعودك
إفتكر ليلة وصالك وأنت سايق لى دلالك
أيوه زكى عن جمالك رق لى واعطف داحسن الود دايم

والأغنية أو الدور الثانى الذى غنته أم كلثوم لكامل الخلعى كان من ألحان داود حسنى أيضاً وتقول كلماته، وهو بعنوان: «قلبى عرف».

قلبى عرف معنى الأشواق لما الحبيب لاف بالعزول
والوجد حرمنى المنام والليل مع العاشق بطول
فى شرع مين اعشق جميل للغير يميل
لكن ده وعدى والسلام
قلبى عليه والله عجيب بعد الصفا إزاى يهون

***

هذا ويحتل الموسيقار كامل الخلعى مساحة كبيرة من كتابات المؤرخين الذين يضعونه فى مقام متقدم داخل صفوف ملحنى أوائل القرن العشرين.. إضافة إلى كونه شاعراً ومؤلفاً موسيقياً كبيراً، كما حفلت هذه الكتابات بعديد من اللقطات الحيوية عن حياته العملية، وكذلك حياته من حيث الميلاد أو الرحيل.. كما ضم كتابه الهام «الموسيقى الشرقية» ملخصاً لترجمة حياته... وقد كتابها صديقه وتلميذه الفاضل عبد الله أفندى كامل..

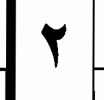
وأخص ماجاء فى هذه الترجمة أن كامل أفندى الخلعى قد ولد فى مدينة الإسكندرية فى عام ١٢٩٦هـ. ١٨٧٩ م .. وكان والده ضابطاً بالجيش المصرى، ثم جاء به إلى القاهرة فألحقه بإحدى المدارس الأميرية لاستكمال تعليمه..

كما جاء فى «كتاب الموسيقى الشرقية» والغناء العربى» تفصيل أكثر عن حياة كامل الخلعى حيث ذكر المؤلف قسطندى رزق فى الجزء الثالث من هذا الكتاب أن المرحوم محمد كامل الخلعى بن سليمان الخلعى الدمنهورى ولد بالإسكندرية عام ١٢٩٦ هـ .. وجاء به والده وهو صبى إلى مصر حيث أدخله إحدى المدارس الأميرية..ومن آثاره الفنية كتابان فى الموسيقى وضعهما بنفقة أدريس بك راغب..

ثم أضاف المؤرخون على ذلك بقولهم: لقد أحب كامل الخلعى الموسيقى واهتم بتلقى أصولها وحفظ الموشحات ثم تتلمذ على يد أحمد أبو خليل القبانى الدمشقى ولازمه فى رحلاته إلى الشام .. تزود بالمعرفة وكان على علم بإصول الشعر وبحوره وأوزانه ، كما يعد من «أوائل الذين طالبوا بالحفاظ على تراثنا الموسيقى العربى عن طريق التدوين .

ولقد نبغ إلى جانب ذلك فى تلحين الموشحات وأسهم كذلك فى نهضة المسرح الغنائى. وسافر إلى إيطاليا لاستكمال ثقافته الموسيقية.. وتوفى الخلعى فى عام ١٩٣٨ .

ومن أشهر من كتب عن كامل الخلعى الأديب والمفكر الراحل توفيق الحكيم.. حيث تعرف عليه لأول مرة فى عام ١٩٢٣ عندما كلفت فرقة عكاشة كامل الخلعى بتلحين أوبريت «خاتم سليمان» تأليف توفيق الحكيم.



بديع خيرى

هوده يخلص من الله؟!

يحتل الشاعر والمؤلف المسرحى الشهير بديع خيرى قائمة الشعراء الهواة من الذين ارتبطوا بأشعارهم بسيدة القصيدة العربية أم كلثوم!، ومع ذلك فإننا لا نعرف بالضبط كيف تم هذا التعارف بينهما.. ولا يذكر أسباب ذلك التعارف.. حتى بديع خيرى نفسه لم يذكر لنا ذلك، ولا تصدى لبيان هذا الأمر غيره من الذين انشغلوا بسيرة حياته وفنه وإنتاجه المسرحى والشعرى!.

ورغم ذلك فهناك العديد من الشواهد ومن الأسباب أيضا.. التى دفعت أم كلثوم لاختيار إحدى أغنيات أو أدوار بديع خيرى لكى تغنيها فى عام ١٩٣١ ومن تلحين الشيخ زكريا أحمد، وأولى هذه الشواهد والدوافع تعامل كبار المطربين آنذاك مع بديع خيرى مثل منيرة المهدية وصالح عبداخى وعبداللطيف البنا وآخرين..

أضف إلى ذلك انتشار أزجاله وأشعاره على المستوى الشعبى.. خاصة أثناء اندلاع ثورة ١٩١٩، عندما أخذ الناس فى الشوارع يرددون كلمات أغنياته التى كان يلحنها له الشيخ سيد درويش!.

وقد يكون السبب الرئيسى وراء هذا الاختيار خاصة بالنسبة لأم كلثوم.. هو الملحن الشيخ زكريا أحمد.. الذى أراد أن يتعامل مع الشاعر الذى لحن أغنياته ومسرحياته الغنائية من قبل فنان الشعب سيد درويش.

ولقد جاء هذا الاختيار مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بنوعية الكلمات التى أتقنها بديع خيرى من قبل وأقبل عليها الملحنون من غير زكريا أحمد!.

ولسوف نلاحظ ذلك بوضوح حين نشير إلى الأغنية التى سجلتها أم كلثوم لبديع خيرى.. كما سوف يلاحظ ذلك أيضا كل المهتمين بتراث هؤلاء الأوائل من الفنانين المصريين من الذين ظهروا مع بداية القرن الماضى.. سواء من حيث تشابه الكلمات أو الجمل اللحنية!.

ولن نغفل إلى جانب ذلك.. دافعا قوياً آخر يتمثل فى شخصية بديع خيرى نفسه الذى

بدأ حياته شاعراً متألقاً.. عاصر كلاً من أحمد شوقى وحافظ إبراهيم.. وأراد أن يسير فى ركابهما الأدبى، لولا اتجاهه نحو الزجل.. واشتهاره فى هذا الميدان.. حتى بات ينشر أزجاله وأشعاره فى معظم صحف هذه الأيام!.

ولسوف نتبين ذلك أكثر حين نتطرق لحديث السيرة الذاتية من بعد استعراض كلمات الأغنية التى غنتها أم كلثوم لبديع خيرى!.

* * *

ففى عام ١٩٣١ ومن تلحين الشيخ زكريا أحمد غنت كوكب الشرق أغنية بعنوان: «هو ده يخلص من الله» ... من كلمات بديع خيرى، وسجلتها على أسطوانة أو ديوان فى العام نفسه..

وتقول كلمات هذه الأغنية التى انقسمت إلى قسمين.. إلى مذهب ودور..

••المذهب

هو ده يخلص من الله — القوى يذل الضعيف
حتى يبخل بالمطلة — شىء ولو دون الطفيف
ليه داكله — مين يقول له
إتهدى — وخليك لطيف!

••الدور

قلبى كل ما تقوى ناره — وأنت فيه يتخاف عليك
حد يحرق بس داره — أوعى تجنيها بايديك

لين شويه مش على
كن على روحك رنيف

صون حلاوتك — من شقاوتك
واتهدى وخليك لطيف

***

ومما يثير الانتباه.. أن هذه الأغنية أو هذا الدور الذى ألفه بديع خيرى لأم كلثوم ولحنه

زكريا أحمد.. قد حفل باهتمام بالغ من جانب النقاد والمؤرخين الذين اعتبروه من أعظم الأدوار التى غنتها أم كلثوم.. وكذلك من أعظم ما لحنه زكريا أحمد، حيث كتب عنه بالتفصيل المؤرخ الفنى الراحل كمال النجمى.. فى كتابه «تراث الغناء العربى». وذلك عند حديثه عن زكريا أحمد وأدواره التسعة..

ومما قاله فى هذا السياق: «كان أول دور لحنه زكريا أحمد لأم كلثوم هو دور «هو دايخلص من الله» مقام زنجران، تأليف بديع خيرى.. وجاء بعد طقطوقة «إللى حبك ياهناه» عام ١٩٣١ وأحدث صدى واسعاً عند المستمعين، وهو أعظم دور لحنه زكريا أحمد ويتفوق فيه من ناحية الصناعة اللحنية على دور الزنجران الذى اشتهر به سيد درويش «فى شرع مين»!.

وأضاف كمال النجمى على قوله السابق: «أن هذا الدور قمة غنائية، وقد أبرز إمكانات أم كلثوم كمطربة أدوار عظيمة المقدرة إلى جانب كونها مطربة جميع الألوان الغنائية الأخرى. وقد جمعت أم كلثوم فى أداء هذا الدور بين جزالة الأداء المأثور عن المطربين الرجال فى أداء الأدوار، وآخرهم صالح عبدالحى، وبين عذوبة الأداء الكلثومى التى لا تجاريها عذوبة أخرى فى الأداء.. ويمكن القول بأن هذا الدور كان باكورة إبداع زكريا أحمد فى تلحين الأدوار، وهو فى الوقت نفسه أعظم أدواره على الإطلاق، فضلاً عن كونه من أعظم الأدوار فى تاريخ الغناء الحديث»[١].

وكذلك كتبت المؤرخة الموسيقية الدكتورة رتيبة الحفنى عن هذا الدور أو هذه الأغنية الشىء الكثير. فى كتابها الهام «أم كلثوم». ومما قالته فى هذا الشأن قولها: كان فن الدور يوشك أن يطوى أوراقه ويودع الدنيا عندما بدأ زكريا أحمد فى تلحين الأدوار لأم كلثوم، وذلك بداية من عام ١٩٣١.. وهو دور «هو دا يخلص من الله» من تأليف بديع خيرى، وكان زكريا أحمد يحاول تطوير فن الدور، بينما فن الدور يغادر ساحة الغناء المعاصر..

ويبدو أن زكريا أحمد لحن هذا الدور بناء على رغبة أم كلثوم لتعلقها بهذا اللون من الغناء.. فزكريا لم يلحن أدواراً لغيرها من المطربين والمطربات باستثناء دور غنته ليلى مراد،

(١) ثراث الغناء العربى.. بين الموصلى وزرياب وأم كلثوم وعبدالوهاب تأليف: كمال النجمى.

ودور آخر غناه عزيز عثمان وثمة دور ثالث غناه زكريا بصوته. وهذه الأدوار الثلاثة جاءت في الحقبة نفسها التي لحن فيها زكريا أدواره لأم كلثوم»[1].

* * *

هذا عن الدور وأهميته. في تاريخي الغناء المصرى الحديث، وتاريخ حياة أم كلثوم الفنية.. فماذا عن مؤلفه الشاعر بديع خيرى..؟!

إن هناك العشرات من الكتب التي حفلت بالشيء الكثير عن حياة هذا الأديب متعدد المواهب.. وعلى رأسها مذكرات بديع خيرى نفسه.. والتي نقل عنها العديد من المؤرخين لقطات حيوية متعددة خاصة بحياته ومشواره الأدبي.. منذ مولده وحتى يوم رحيله..

ويقول بديع خيرى عن تاريخ حياته: «أنا ابن شارع المغربلين في صميم حي الدرب الأحمر وهو واحد من أعرق أحياء عاصمتنا الشعبية.. ولدت في ١٨ أغسطس ١٨٩٣ لأب كان يشتغل مدير الحسابات في دائرة الوالدة باشا أم الخديو إسماعيل.. بدأت الدراسة بالكتاب ثم في مدرسة أم عباس الابتدائية ثم مدرسة الحلمية الثانوية وأخيراً المعلمين العليا»[2].

* * *

وبعد رحيل بديع خيرى في عام ١٩٦٦.. حفلت العديد من الصحف والمجلات بلقطات حيوية عن قصة حياته.. وقد اقتطفوها من أحاديثه الصحيفة ومما خلفه وراءه من أوراق سجلها في كتابه عن ذكريات طفولته.

ومما جاء في هذه الصحف والمجلات خاصة عن يوم مولده.. أنه ولد بعد صلاة فجر يومي ١٨ أغسطس على ١٨٩٣ بشارع المغربلين بالدرب الأحمر.. والتحق بمدرسة أم عباس الإبتدائية في الصليبية ناحية القلعة ثم مدرسة الإلهامية الثانوية بالحلمية الجديدة.

وبعد أن حصل منها على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة المعلمين العليا.. التي تخرج منها وعمره ٢١ عاماً.. والتي من بعدها عين مدرساً للغة الإنجليزية والجغرافية بمدرسة رفاعة الطهطاوي في طهطا.

---

(١) أم كلثوم ـ د.رتيبة الحفني ـ دار الشروق.

(٢) مذكرات بديع خيرى..

وكان بديع خيرى متفوقاً على زملائه أثناء الدراسة خاصة فى مادة اللغة العربية. وقد جاء ذات يوم بالمدرسة بقصيدة من نظمه نشرها فى مجلة «المؤيد». ومن يومها أخذ يبعث بقصائده إلى مختلف المجلات والصحف.

وبعد ٣ سنوات من ممارسته مهنة التدريس كتب أول مونولوج للمنولوجست «فاطمة قدرى».. وتقاضى عنه أجراً. كما أخذ يكتب الشعر والأغانى لمجموعة من مطربى هذه الأيام.

ورغم أن بديع خيرى كان شاعراً مجداً فقد أحب التمثيل فذهب إلى جورج أبيض ليعمل معه فى فرقته.. إلا أنه فشل فى لجنة الامتحان ومن بعدها اتجه للكتابة للمسرح..

وفى لقطة حيوية من حوار أجرته معه إحدى المجلات الإسبوعية قال فيه عن بداية حبه للشعر ودوره آنذاك فى مجال الأغانى.. «إننى شاعر منسى، فقد بدأت أقرض الشعر منذ عام ١٩١٠، وكان شعرى يحتل مكاناً بارزاً فى صحف «المؤيد» ـ «المقطم» ـ «الأفكار». ثم بدأت أنظم الزجل وقد أفردت لى جريدة «الكشكول» باباً أسبوعياً سمته «على تختة السياسة، وكانت أزجالى كلها سياسية انتقادية ثم بدأت أؤلف للشيخ سلامة حجازى وغيره من المطربين».

٣ مصطفى نجيب

موال من تلحين القصبجى

.. ويدخل الشاعر مصطفى نجيب، والد كل من الفنان سليمان نجيب والإذاعى المشهور حسنى نجيب .. دائرة الضوء مرة أخرى عندما اختارت له سيدة القصيدة العربية أم كلثوم دوراً غنائياً أو موالاً من تأليفه لكى يلحنه الملحن الكبير محمد القصبجى وتغنيه بصوتها!

هذا الموال نُشر تحت عنوان: «الليل أهول طال» .. وذكره كتاب جامع ماغنته أم كلثوم والسابق الإشارة إليه من قبل.

ونحن نؤكد هنا إن هذا الشاعر قد دخل دائرة الضوء من جديد بعد أن تغنت أم كلثوم بكلمات هذا الموال.. ذلك لأنه من المعروف أن مصطفى بك نجيب كان موظفاً كبيراً بوزارة الداخلية .. وظل بهذا المنصب حتى يوم رحيله..

أضف إلي ذلك أنه كان شاعراً كبيراً أيضاً، وله عدة قصائد وإغنيات كثيرة، ولكن للأسف لم تُنشر فى دواوين، وبالتالى ضاعت داخل حناجر من تغنوا بها من غير المطربين المشاهير!.

ولهذا الشاعر سيرة ذاتية طيبة سوف نلتقى بها من خلال أسطر نكتبها من بعد التعرف على كلمات هذا الموال الذى غنته أم كلثوم من ألحان القصبجى فى عام ١٩٣١ .. بل وسجلته على أسطوانة أو ديوان.

وتقول كلمات هذا الموال:

الليل أهو طال وعرف الجرح ميعاده
وجف دمعى وجفنى من دمى عاده
لهفى على القلب لى ذلة وأوعاده
لانار أقول نار ولاهى من الفؤاد تبرح
وإن باح بشكواه لازاره ولاعاده

ولحسن حظ الشاعر مصطفى نجيب.. وحسن حظنا نحن أيضاً .. أننا عثرنا على كلمات هذا الموال فى كتاب صدر بعنوان :«الموسيقى الشرقية والغناء العربى» من تأليف قسطندى رزق.. وهو من إصدارات عام ١٩٣٠ ..

ولقد لاحظنا حين الرجوع إلى أصل كلمات هذا الموال الذى نشر بالكتاب المنوه عنه أن أم كلثوم قد غيرت أيضاً فى بعض الكلمات منها كلمات البيت الثانى ..إذا اختارت أم كلثوم «لهفى» بدلاً من كلمة «عجبى» التى اختارها المؤلف !، وكذلك فى الشطر نفسه غيرت كلمة «فى حبه » إلى كلمة «لى ذلة »!.

وأما فى الشطر الثانى من هذا البيت فقد غيرت أم كلثوم كلمات أدت إلى تغيير معنى هذا الشطر من البيت.. إذ كتبه المؤلف كالتالى :

لا نار أقول نار وهيا فى الفؤاد تبرح

بينما غنته أم كلثوم كالتالى :

لانار أقول نار ولاهى من الفؤاد تبرح

ويقول صاحب كتاب الموسيقى الشرقية فى سطور قليلة عن مصطفى نجيب: و«لمصطفى بك نجيب موالان ودور ومقال فى الفونوغراف وقصيدة عامرة فى هبوط النيل، ومما يؤسف له أنه لو احتفظ بما كتبه ونظمه لأمكنه أن يجمعه فى ديوان قائم بذاته، وهو من أمراء الشعر ومن أكابر الكتاب.. توفى بالإسكندرية فى ٨ أكتوبر عام ١٩٠٢»(١).

ويشير صاحب هذا الكتاب أيضاً إلى أن الشاعر مصطفى نجيب له عدة مقالات صحفية كان يكتبها بصفة دائمة فى مجلة الضياء التى كان يصدرها الشيخ اليازجى فى أوائل القرن العشرين ، كما أورد لنا فى هذا الكتاب أيضاً نصاً لقصيدة كتبها الشاعرمصطفى وكيل إدارة الداخلية فى الحكومة المصرية .. وهى بعنوان «هبوط النيل».

---

(١) الموسيقى الشرقية والغناء العربى - قسطندى رزق.

٤ حسين حلمي المانسترلي

وألف أغنية!

لم أكن أتصور أبداً وحتى من قبل الإعداد لهذه الأوراق .. أننى سوف أكتشف شخصية أدبية بهذا الثراء الفنى والانتاج الأدبى الغزير، والحكاية ببساطة أن كتاب «أغنيات أم كلثوم» قد ذكر أن الشاعر حسين حلمى المانسترلى كتب لسيدة القصيدة العربية أغنيتين أو طقطوقتين لحنهما كل من محمد القصبجى وزكريا أحمد خلال فترة الثلاثينيات من القرن الماضى .

ولذلك فقد حسبت هذا الشاعر الكبير فى عداد الشعراء الهواة من الذين كتبوا لأم كلثوم !، وذلك وفقاً لما كتبه من أغنيات قليلة.. وكدت أغير من مكانه فوق هذه الأوراق ..وأنقله على الفور إلى خانة أو فصل الشعراء المحترفين من الذين تعاملت مع كلماتهم أم كلثوم !، لولا إحساسى بأن هذا الانتقال المفاجئ سوف يخل بالترتيب النهائى الذى ارتضيته منذ البداية لهذه الأوراق وما بها من فصول !.

ذلك لأننى قد حصلت على المعلومات الهامة عن هذا الشاعر الكبير فى وقت متأخر.. وقد تزامن مع ترتيب هذه الأوراق فى شكلها النهائى!

ولذلك أرانى أقدم العذر مشفوعاً بالتسرع، وأرجو أن يقبله كل القراء، وعلى رأسهم بطبيعة الحال السيدة حورية المانسترلى ابنة الشاعر الكبير والتى كان لها الفضل الأول والأخير فى لفت أنظارى وأنظار الآخرين لدور والدها الشاعر الكبير فى حياتنا الأدبية والفنية على السواء..

وعلى أية حال فإن قيمة حسين حلمى المانسترلى كشاعر وأديب كبير .. لن يقلل من قدرها وجوده بين هذه الأوراق .. فى خانة الشعراء الهواة من الذين كتبوا أغنية أو أغنيتين لأم كلثوم!. إذ تبين لنا أن عدد ماكتبه حسين حلمى المانسترلى لكل المطربين فى زمانه .. وحتى قبيل وفاته فى عام ١٩٦٥ ، قد وصل إلى ما يقرب من ألف أغنية، وجميعها مسجلة على أسطوانات بأصوات عشرات المطربين المصريين وعلى رأسهم طبعاً أم كلثوم!.

كما أن لهذه الأغنيات أصولاً مكتوبة بخط يده وتحتفظ بها السيدة حورية ابنته فى أرشيفها الخاص.

ولسوف نوضح ذلك بجلاء حين الحديث بإسهاب عن سيرة حياته ، بعد ما نفرغ من الحديث عن إنتاجه الشعرى والذى تغنت به أم كلثوم.

***

ففى عام ١٩٣١ ومن ألحان الموسيقار محمد القصبجى غنت أم كلثوم أولى إغنياتها للشاعر حسين حلمى المانسترلى بعنوان : «تبعينى ليه كان ذنبى إيه» .. وقد سجلتها أم كلثوم على اسطوانة أو ديوان فى العام نفسه .. وأطلق عليها النقاد اسم «طقطوقة» ..

وهى التى تقول فى كلماتها:

تبيعينى ليه كان ذنبى إيه — مين للفؤاد يبقى يواسيه

تبيعينى ليه

فين العهود - فين الوداد — إيه بس قصدك م العناد

يرضيكى تعذيب الفؤاد — وحياة عيونك ترحميه

يعنى حلال وإلا حرام — الهجر منك والخصام

هو اللى يرميه الغرام — يهون عليكى تعذيبه

ياما اشتكى قلبى هواه — ياما بكيت وياما قلت آه

ياما سرحت وعقلى تاه — عاشق وبدك تقتليه

حبيتى نار قلبى الحزين — وسمعتى نوحى وأنين

فضلت طول عمرى أمين — وأنا العليل إللى تداويه

***

وفى العام نفسه كررت سيدة القصيدة العربية التجربة مرة أخرى مع كلمات جديدة للشاعر حسين حلمى المانسترلى، وهى طقطوقة من ألحان الموسيقار زكريا أحمد بعنوان :«غصبن عنى» .. ومسجلة كذلك فى العام نفسه على أسطوانة أو ديوان.

وتقول كلمات هذه الأغنية:

الليل بطول ويكيدنى — والفجر آسى بيضنينى

وبلبل الصبح يزيدنى — أنينه من جنسى أنبنى

يبقى يغنى والدمع بيفيض — من عينى غصبن عنى

صبرت قلبى اللى شبكنى — وقلت مهلاً ياجفونى

الحب مارضيش يطاوعنى — والشوق غلب قلبى وعينى

خيب ظنى

وررجعت للنوح يواسينى غصبن عنى
ليه ياغرامى بتألمنى وتهرب النوم من عينى
عملت إيه بتعذبى وتسينى للنار تكوينى
ليه تأسرنى
وأسى من سهد جفونى غصبن عنى
مين اللى يقدر ينصفنى غير الحبيب اللى ضنانى
يبعد شجونى ويرجمنى ويشفى قلبى اللى رمانى
كان يسعدنى
والدمع يبعد عن عينى غصبن عنى

***

وفى لقاء تكرر مرتين عبر الأثير ـ جاء صوت السيدة حورية المانسترلى والذى عرفنى بها المؤرخ الموسيقى محمود كامل ـ يحمل إلينا الكثير من المعلومات التى كنا نجهلها .. أو على الأقل كان يجهلها قطاع كبير من الجيل الجديد، وكما سوف تمر علينا بعد قليل ، هى معلومات تكمل لنا دائرة المعرفة عمن كانت تختار أم كلثوم كلماتهم لكى تشدو بها من ألحان كبار الملحنين.

ومن أولى المعلومات التى حرصت على الحصول عليها بهذا الشأن.. معرفة الشىء الكثير عن الميلاد والنشأةوطبيعة العمل، وما ذكرته السيدة حورية المانسترلى فى هذا السياق قولها إن والدها الشاعر والأديب حسين حلمى المانسترلى من مواليد مدينة القاهرة فى ٢٧ فبراير فى عام ١٨٩٨ ، وقد تعلم فى مدارسها ..كما تقلب فى العديد من الوظائف حيث كان يعمل رئيساً للحسابات بوزارة المعارف ثم انتقل مشرفاً أو مراقباً للتربية الدينية والأدبية بالوزارة ذاتها. وقد ظل بهذا العمل حتى تفرغ لكتابة الشعر والأدب، وفى الفترة ذاتها عين المدير الفنى لشركة أو ديون للأسطوانات..وكان هذا المنصب حلقة الاتصال بينه وبين العديد من مطربى عصره من الذين تعرفوا عليه كشاعر، وبالتالى فقد أخذوا يتغنون بكلماته، وكان على رأس هؤلاء كل من أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب، وليلى مراد واخرين.

توفى حسين حلمى المانسترلى فى عام ١٩٦٢ وبالضبط فى ٥ نوفمبر من العام نفسه، وقد ترك وراءه ثروة أدبية كبيرة.. تمثلت فى أكثر من عشرة الآف أسطوانة من أشعاره ومن ألحان كبار رجال الموسيقى فى عصره .. كما كتب سيناريو وحواراً وقصة وأغنية لاكثرمن فيلم سينمائى.. فقد كتب قصة وسيناريو وأغانى فيلم «سلمى» فى عام ١٩٣٣ ، وليلى بنت الصحراء وفيلم «وراء الستار» وغيره من الأفلام الاستعراضية ، كما كتب بعض المسرحيات والأوبريتات الغنائية المشهورة.

٥

حسن صبحى

طقاطيق لها تاريخ

أصبح من الأمور المتعارف عليها، بعد ما أثبتها الزمن فى سجلاته .. أن الفن له ثلاثة أركان، أو هو أشبه بالمثلث ذات الأضلاع الثلاثة.. ضلع يمثله المؤلف.. وهو القاعدة والثانى يمثله المطرب أوالمؤدى، أما الثالث فهو الملحن أو المخرج.

ومما لاحظناه خلال رحلتنا عبر هذه الأوراق، خاصة بالنسبة لسيدة القصيدة العربية أم كلثوم، أن العديد من الذين كتبوا لها القصائد سواء من شعراء الفصحى أو شعراء العامية، لم يكونوا معروفين بالقدر الكافى شأنهم فى ذلك شأن من تعاملت معهم من بعض الملحنين .

وللأسف فإن العيب ليس فى هؤلاء الشعراء.. بل فى الذين أهملوا سير حياتهم إما عمداً أوكسلاً ! ولقد مثلت لنا هذه القضية صعوبة بالغة .. إذ أن قوام هذه الأوراق هوالتعريف بالشاعر صاحب الكلمات التى تغنت بها أم كلثوم .. من منطلق بيان هذه الأضلاع الثلاثة السابق الإشارة إليها، فليس من المعقول ونحن نكتب عن شعراء أم كلثوم.. أن نفسح المجال لحديث المطرب والملحن من دون المؤلف.

ونحمد الله أن هذه القضية قد تمكنا من التغلب عليها بنسبة كبيرة.. وكان دائمًا دليلاً إلى هؤلاء الشعراء ، وسير حياتهم.. الأرشيف ووثائق دار الكتب وما كتبه بعض المؤرخين عن هؤلاء .

وأما النسبة الباقية القليلة والتى لم تسعفنا المعلومات بشأنها .. فقد أصابتنا الحيرة بخصوصها، وقبلنا رغماً عنا الحديث عما كتبوه من أشعار مع بيان بسيط عن حياتهم، على أمل أن نعثر هنا أو هناك على المزيد..

والشاعر الزجال الكبير حسن صبحى يأتى فى طليعة هذه النسبة .. فعلى الرغم من أنه كتب أعذب الكلمات التى شدت بها أم كلثوم فى فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، إلا أن المعلومات المتوفرة عنه قليلة للغاية.. وكل ما توصلنا إليه أن المؤرخ الفنى

كمال النجمى أشار فى أحد كتبه إلى أن الشاعر حسن صبحى، إنما هو زجال عاش فى أوائل الثلاثينات .

وأضاف المؤرخ الموسيقى محمود كامل أن حسن صبحى كان من أصدقاء الملحن زكريا أحمد، ومن شلته الخاصة .. ورغم عذوبة كلماته إلا أن أحداً لم يحفل بالحديث عن سيرة حياته!

ولقد رأينا من العيب ونحن نؤرخ لشعراء أم كلثوم ألا نسوق ما تغنت به من كلمات رقيقة وجميلة . مع أننا كنا نتمنى ـ ولا نزال ـ العثور على معلومات خاصة عن حسن صبحى حتى تكتمل فكرتنا التى بدأناها سوياً منذ بداية هذا المشوار وفوق هذه الأوراق.

***

ومن أجمل ما غنت أم كلثوم من طقاطيق.. أغنية «جمالك ربنا يزيده» والتى لا يزال صداها واسعًا، لدى آذان المستمعين والذين يزيدون يوماً بعد يوم ، هذه الأغنية لحنها الشيخ زكريا أحمد فى عام ١٩٣١ وسجلتها أم كلثوم على اسطوانة أوديون..

وتقول كلماتها:

جمالك ربنا يزيده ... ده ملك منظمه سيده
هواك يا حلو نسانى ... وداد أهلى وخلانى
وصبحت رهين أمرك ... ماليش غيرك حبيب تانى
وقلبى داب وإيه بإيده

تشوف القلب لك مايل ... بيتدلل ويتمايل
وكادنى ربنا يكيده

أدنت بقدرة القادر ... سبيت الروح بسحر العين
وخدت العقل يا قادر ... ومش عارف طريقه فين
وإمتى بس حتعيده

***

وفى العام نفسه كتب الشاعر حسن صبحى الطقطوقة الثانية لأم كلثوم ولحنها كذلك الموسيقار زكريا أحمد .. وتقول كلماتها:

ليه عزيز دمعى تذله — كل ساعة بين يديك
بعد صبر العمر كله — وانشغال قلبى عليك

مش حرام والله حرام

شوف دلالك زى كيفك — دى الحلاوة فى الدلال
بس خلى العين تشوفك — يوم وتفرح بالجمال
ليه تكايدنى وطيفك — حرم الجفن المنام
أعمل إيه والحب ساكن — مهجتى والوجد زاد
والغرام عادل ولكن — حكم قاسى ع الفؤاد
كل ده والقلب صابر — وانت هاجر يا سلام

مش حرام والله حرام

الغرام آمر وناهى — حتى فى أحلام شبابى
حلم يفرحنى خيالك — فيه وحلم يزيد عذابى
وانت ساهى وعنى لاهى — حتى ما تبعت سلام

مش حرام والله حرام

***

وفى عام ١٩٣٢ لحن زكريا أحمد للشاعر حسن صبحى طقطوقة جديدة بعنوان «العزول فايق ورايق» وغنتها أم كلثوم، كما سجلتها فى العام نفسه على أسطوانة أوديون ..

وتقول كلماتها:

العزول فايق ورايق — عمره ما داق الغرام
قلبه ما بيرحمش عاشق — بس شاطر فى الملام
قلبى لو مال يوم لغيرك — يبقى عن جسمى غريب
العزول فايق ورايق — عمره ما داق الغرام
قلبه ما بيرحمش عاشق — بس شاطر فى الملام
قلبى لو مال يوم لغيرك — يبقى عن جسمى غريب
وانت لو تسأل ضميرك — ما تلاقيش غيرى حبيب
حب مغرم وانت عارف — فيك متيم وانت شايف

بس خايف م الكلام

فى هواك شفت العجايب | آه يا نارى من هواك
عقلى فيك حاضر وغايب | والفؤاد والروح فداك
بس قوللى إيه رأيته | فى الفؤاد اللى كويته

بعد تيهك والخصام

جرح قلبى والعواطف | كل ده محسوب عليك
يمكن الأيام تصادف | واشكى حالى بين إيديك
ليه تعاند بس هاود | واترك العزال وكابد

يبقى حبك ع المرام

***

ويبدو أن أعمال الزجال حسن صبحى قد لاقت إقبالاً لدى جماهير أم كلثوم .. بدليل إصرار زكريا أحمد صديق الشاعر على التعامل مع كلمات جديدة يكتبها .. فلحن له أغنية جديدة فى عام ١٩٣٢ تحت عنوان «أكون سعيد لو شفتك» .. والتى تقول كلماتها:

أكون سعيد لو شفتك يوم | بعد الغياب
وأهنى قلبى بعد اللوم | وانسى العتاب

وأكون سعيد

من حسن حظى فى العشاق | حبيبتك انت الروح بالروح
لو تنصف قلبى المشتاق | يرتاح ضميرى انسى النوح

وأكون سعيد

وحياة جمالك لو مريت | سلم على بلحظ العين
لاوهب لك العمر إن حبيت | ومهجتى والروح الاتنين

وأكون سعيد

أبات وحيد والفكر بعيد | بناجى طيفك طول الليل
وكل ما بتزيد وتعيد | تيهك بزيد الشوق والميل

وأكون سعيد

***

وبعد مرور أكثر من أربع سنوات على تعامل كل من أم كلثوم وزكريا أحمد مع كلمات الزجال حسن صبحي.. عاودا التعامل معه حين اختارت سيدة القصيدة العربية آخر ما غنته للشاعر حسن صبحي في عام ١٩٣٧ لكي يلحنها أيضاً زكريا أحمد وهي أغنية أو دور «آه يا سلام».

والذي تقول كلماتها:

آه يا سلام زاد وجدي آه	والصبر طال من غير أمل
كوى الهيام قلبي وضناه	واللي كواه عنه انشغل
إمتى الجميل يصنع جميل	وافرح واقول حبي عدل
حبيت يا قلبي وايه رأيت	غير الأسية والهوان
وبتشكي ليه لما انكويت	ياما نهيتك من زمان

***

ولسنا في حاجة إلى أن نكرر أننا لم نعثر على معلومات شافية وافية عن الزجال حسن صبحي.. إلا بالقدر الذي تناولناه من قبل .. ولسوف نحاول حتى من بعد إصدار هذا الكتاب مواصلة الجهود لكشف النقاب عن حياة هذا الشاعر الذي تغنت أم كلثوم بكلماته من ألحان الشيخ زكريا أحمد . وحتماً سوف نحصل على معلومات تقودنا لحياة هذا الشاعر وتفاصيلها، وكذلك عن جهوده الأدبية في مجال الأغنية.

٦ يحيى محمد

٣ أدوار من ألحان الشيخ زكريا

أصبح لدينا قناعة خاصة أن الشاعرالزجال يحيى محمد كان بالفعل من أصدقاء الشيخ زكريا أحمد وفق ما قاله لنا المؤرخ الموسيقى محمود كامل .. والدليل أنه قد اختار له ثلاثة أدوار لحنها لكى تغنيها أم كلثوم، مع وجود خلاف فى الأزمنة التى شهدت غناء أم كلثوم لهذه الأدوار..

ولقد تراوحت سنوات هذه الأغنيات ما بين عام ١٩٣١ وعلى ١٩٣٩ !! وعلى الرغم من ذلك فقد عجزت حيلتنا فى العثور على معلومات شافية وكافية عن هذا الشاعر الزجال إلا بعض أسطر قليلة ذكرها المؤرخ الفنى كمال النجمى فى أحد كتبه.

ولم تنفع جهودنا التى بذلناها من أجل المزيد سواء داخل دار الكتب أو داخل أرشيف الصحف، وما جعلنا نستسلم لهذه الأسطر القليلة هو كلمات هذه الأدوار وهذه الأغنيات الثلاث التى كتبها يحيى محمد .. والتى تدل دلالة واضحة على تمكنه من الشعر والزجل والأغنية.

ففى عام ١٩٣١ تغنت أم كلثوم بكلمات أولى أدوار هذا الشاعر المجهول بعنوان: «ياقلبى كان مالك» .. وهى من ألحان الشيخ زكريا أحمد.

وتقول فيها أم كلثوم:

يا قلبى كان مالك ومال الغرام	ما كنت عنه فى غنى من زمان
إن كان صحيح جه الغرام ع المرام	أعشق وحب وميل وشوف إيه كمان
وإن كان غرام أوهام وذل وخصام	خليك بعيد عنه وعيش فى أمان
ياما الغرام يا قلبى لوع كتير	غيرك وشافوا المرفيه والعذاب
عايز تعيش العمر كله أسير	وتكون ضحية للملام والعتاب
إن كان غرام أوهام وذل وخصام	خليك بعيد عنه وعيش فى أمان

وقد سجلت أم كلثوم هذه الأغنية على أسطوانة أو ديوان فى عام ١٩٣١ .

***

وبعد هذا التاريخ بخمس سنوات غنت أم كلثوم للشاعر يحيى محمد الدور الثانى وهو بعنوان «إمتى الهوى» .. ذلك الدور الذى ذكره الأديب الروائى نجيب محفوظ فى إحدى رواياته المشهورة نظراً لتأثير هذا الدور على المستمعين ونجاح الملحن زكريا أحمد فى وضع ألحان جديدة له.

ومما يقال فى هذا السياق.. أن الشاعر يحيى محمد كان قد نشر هذا الزجل فى إحدى الصحف وقرأته أم كلثوم فطلبت من الملحن زكريا أحد أن يضع له لحناً مناسباً.. لكى تغنيه .. وبالفعل تم ذلك فى عام ١٩٣٦.

ويشير المؤرخ كمال النجمى إلى أن هذا الدور «إمتى الهوى» قد دخل التاريخ عبر مقالات بعض الأدباء، ومنهم نجيب محفوظ الذى أشار إليه فى رواية «خان الخليلى» عندما وصف فى سياق هذه الرواية «قعدة» فى حى الحسين تحدث فيها الأصدقاء عن الغناء.

وتقول كلمات هذا الدور الذى شدت به أم كلثوم فى عام ١٩٣٦ :

إمتى الهوى يجى سوا	وأرتاح ولو فى العمر يوم
ياناس أنا قلبى أنكوى	وعنيه ما بيهواها نوم
فى شرع مين يامنصفين	العمر كله لوم فى لوم
ليه ياترى حيرتنى	يادى الهوى بلاعبتك
أيه يعنى لو ريحتنى	وعملت غيرى لعبتك
وتميل عليه وتقول له ليه	طاوعتنى ماهى غلطتك

***

وفى أواخر عام ١٩٣٨ كتب الشاعر يحيى محمد زجلاً مطلعه «ماكنش ظنى فى الغرام» .. ونشره أيضاً فى إحدى المجلات، وقرأه زكريا أحمد فأعجبه وعرضه على أم كلثوم وقال لها إنه يصلح دوراً غنائياً وهكذا شرع زكريا أحمد فى تلحينه ليكون أخر دور تغنيه أم كلثوم فى عام ١٩٣٩ (١).

وتقول كلمات هذا الدور:

---

(١) تراث الغناء العربى - مصدر سابق.

ماكانش ظنى فى الغرام إنه هوان

وإن الجمال يضحك ويلعب بالعقول

أبكى وتفرح ليه كده حبى بهان

هو أنت عايز غير دموعى لك رسول

قلبى أسير .. لكن كتير.. على الضمير

إنك تشوف دمعى وتضحك للعزول

ياريت فؤادى من زمان تاب عن هواك

ياما نهيته وكان يقول عندى أمل

صدق وعودك وانتظر أيام صفاك

ده شىء محال هو الجمال عمره عدل

اشكى لمين .. وأحكى لمين .. يامنصفين

قلبى أسير .. لكن كتير.. على الضمير

إنك تشوف دمعى وتضحك للعزول

وقد سجلت أم كلثوم هذا الدور أيضاً على اسطوانات شركة أو ديون فى العام نفسه.

***

وينضم شاعرنا يحيى محمد.. إلى زميله الشاعر حسن صبحى.. فى عدم وجود معلومات كافية عن حياته الخاصة أو الأدبية.. وبالتالى سينطبق عليه ما سوف نطبقه على زميله.. عندما نعيد البحث عن معلومات عنهما.. تفيد هذه الأوراق .. وتفيد كل الباحثين..مع التأكيد على أن جهودنا لن تنقطع بخصوص هذا الأمر أو هذه المهمة حتى من بعد إصدار هذا الكتاب.

٧ حسين وعبدالرحمن وعلى

٣ أدوار مختلفة

وكان علينا استكمالاً لهذه الرحلة الشاقة سواء مع حنجرة أم كلثوم أو وسط الأوراق الصفراء. ضرورة الوقوف على بقية أسماء الشعراء والزجالين من الهواة من الذين كتبوا كلماتهم الجميلة والعذبة لسيدة القصيدة العربية .

ولما كنا قد لاقينا فى عملنا هذا الشيء الكثير من الصعوبة فيما يخص الحصول على معلومات بشأن شعراء أم كلثوم من الهواة خاصة هؤلاء الثلاثة حسين والى وعبدالرحمن فياض وعلى شكرى ، فلقد رأينا الاكتفاء بنشر نصوص ما تغنت به أم كلثوم لهؤلاء الشعراء تاركين مهمة كتابة معلومات عن هؤلاء الثلاثة لغيرنا من الذين إذا ما صادفهم الحظ عثروا على معلومات عن سيرة حياتهم..ونحن نشك فى ذلك.

لكننا لانقطع الأمل..ونظن أن نشر هذه النصوص سوف يسهم كثيراً فى إكمال دائرة شعراء أم كلثوم خاصة من طائفة الهواة!

ومما هو واضح من قراءة تواريخ غناء أم كلثوم لقصائد هؤلاء الزجالين الثلاثة.. أنها تعرفت أولاً على كلمات الشاعر الزجال حسين والى؛حيث غنت له دور بعنوان : روحى روحك .. فى عام ١٩٣١ من ألحان داود حسنى.. وقد سجلته أم كلثوم فى العام نفسه على أسطوانة جرامفون ..

وتقول كلمات هذا الدور:

كل ما يزداد رضا قلبك على
كل ما يخاف قلبى من نار الآسية

واللى شاف نور الغرام
يخشى ناره

والهوى كاس المرام
فيه مراره

طمن القلب اللى
زاد وجده على

يا حبيبى يكفى طول بعادك
الحياة فكر وسهاد من غير ودادك

إرحم الولهان فى حبك
من شجونه

واحبى آماله بقربك
من عيونه

تبقى طول العمر أيام هنية

***

وأثناء قراءاتى المتعددة لكتاب وقع مصادفة فى يدى.. عن حياة الشيخ عبدالعزيز جاويش.. عرفت أن حسين والى .. زجال أم كلثوم كان من خريجى مدرسة دار العلوم العليا..وقد عاصره الشيخ جاويش عندما التحقا سويا بإحدى جامعات لندن فى أوائل القرن الماضى! وقلت فى نفس ربما يكون حسين والى هذا هو المقصود بكتابة الزجل لأم كلثوم، وحتى لو لم يكن هوالشخص المعنى، فقد نوهنا عنه هنا .. بما توافر لدينا من معلومات. نراها قليلة وشحيحة للغاية!

وفى العام نفسه غنت أم كلثوم أغنية أخرى للزجال حسين والى.. وهى التى تقول فيها من ألحان داود حسنى أيضاً:

روحى وروحك فى امتزاج … فى الحب من قبل الوجود
كاس الفراق مالوش علاج … والعشق من طبعه الوعود
قالوا الحياة فيها ابتهاج … والحب فيه سعد السعود
لكن حياة فيها العذاب … والوصل فيه لو كان يعود
قلبى يميل ليه للجمال … والعشق من عذبه العذاب
إن مال له خله نال وصال … وإن مل ليه يرعى العتاب
حال الحياة ده طيف خيال … فيه مراد حلو الشراب
لو يصبر العاشق ينول … والصبر مفتاح كل باب

***

وفى عام ١٩٣٦ .. غنت أم كلثوم دور «مين اللى قال إن القمر» للشاعر الزجال عبدالرحمن فياض ومن تلحين الشيخ زكريا أحمد..

وتقول كلمات هذا الدور:

مين اللى قال إن القمر … يشبه لمحبوب الفؤاد
حسن القمر يوم والحبيب … حسنه دواما فى ازدياد
إمتى أنول وصله وأقول … راح العزول مالوش أثر
الحب من طبعه الدلال … أما القمر دا طبعه السكون
والكون ينور بالقمر … أما الحبيب نورا العيون
إمتى أنول وصله وأقول … راح العزول مالوش أثر

***

وتختتم أم كلثوم سنوات غنائها للأدوار والطقاطيق بدءاً من أواخر عام ١٩٣٨ ومطلع عام ١٩٣٩ .. وذلك وفق تأكيد العديد من مؤرخى الفن الذين رصدوا النشاط الفنى لكوكب الشرق خلال هذه الفترة.. وكان من نصيب هذا الختام وكما سبق وذكرنا الزجال يحيى محمد الذى كتب لها دوراً بعنوان : «ماكانش ظنى فى الغرام..» وكذلك الزجال على شكرى الذى كتب لها طقطوقة بعنوان« ينوبك إيه من تعذيبى» ..وكانت من ألحان الموسيقار الكبير محمد القصبجى.

وتقول كلمات هذه الطقطوقة:

ينوبك إيه من تعذيبى ودمع عينى — حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
ياما شكيت من طول النوح — سهرت الليالى يانور العين
ياما بكيت ياحبيب الروح — لكن أجيب الصبر منين
عليل ضناه قلبه المجروح — حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
خايف يطول هجرك فىّ — وأعيش غريب عنك وحدى
وتفرح العذال فىّ — ياريت تشوف اليوم وجدى
حبيب ضناه قلبه المجروح — حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
أبات أفكر فى منامى — وأقول يعود عطفك تانى
ما لقيت ياروحى غير أوهامى — ولاسمير غير ألحانى
عليل ضناه قلبه المجروح — حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ
تعالى هنى فؤادى اليوم — واعطف على قلبى الحيران
وخلى عينى تشوف النوم — وأرحمنى من كتر الأحزان
عليل ضناه قلبه المجروح — حرام عليك ليه ياحبيبى حن علىّ

***

ومما ذكره كتاب أغنيات أم كلثوم فى الهامش أن هذه الطقطوقة غنتها أم كلثوم يوم ٥ يناير عام ١٩٣٨ .. ولم تسجلها على أسطوانات.

الفصل الثانى :

شعراء محترفون

١ - أحمد رامى

٢ - بيرم التونسى

٣ - صلاح چاهين

٤ - مأمون الشناوى

٥ - أحمد شفيق كامل

٦ - عبدالفتاح مصطفى

٧ - عبدالوهاب محمد

٨ - مرسى جميل عزيز

٩ - عبد المنعم السباعى

١ أحمد رامى

شاعر الحب والشباب

على الرغم من أن شاعر الحب والشباب أحمد رامى كما أطلق عليه ذلك النقاد والمؤرخون.. يعتبر فى قائمة الشعراء المحترفين من الذين كتبوا أغانى لأم كلثوم بالعامية المصرية. إلا أن بداية تعامله مع سيدة القصيدة العربية فى عام ١٩٢٤ .. كان مع شعر الفصحى!!، وهذه ملاحظة على جانب كبير من الأهمية ومع ذلك لم يلتفت إليها أحد غيرنا، وبالتالى لم يعرها أحداً من الباحثين انتباهه الحسى أو البحثى.

لقد غنت أم كلثوم أولى قصائد أحمد رامى، وهو متغيب عن مصرحين كان فى بعثة فى فرنسا!، وهى بعنوان: «الصب تفضحه عيونه» من تلحين الشيخ أبو العلا محمد، وقد امتلأت الكتب والدراسات التى تناولت علاقة أم كلثوم بأحمد رامى بالحديث عن هذه القصيدة وعن بداية التعارف بين هذين العملاقين، وكذلك تناولها بالحديث أحمد رامى نفسه فى معظم أحاديثه الصحفية وكتاباته الخاصة.

وعلى الرغم من أننا اخترنا الشاعر أحمد رامى كعمدة الشعراء الذين تعاملت معهم أم كلثوم فى مجال شعر العامية .. فهو لم يفقد هذه الصفة عندما كتب لها أيضاً بعض القصائد الفصيحة، ولذلك فسوف نسوق كلمات قصيدة «الصب تفضحه عيونه».. ومن بعدها نستكمل حديث الشاعر المحترف أحمد رامى فى مجال الأغنية العامية، هذا الحديث الذى سوف يتطرق إلى نواح كثيرة وأسرار معروفة وغير معروفة عن علاقة أم كلثوم بهذا الشاعر الكبير وبدايات تعارف هذين العملاقين الكبيرين.

***

وتقول كلمات أول قصيدة تغنت بها سيدة القصيدة العربية للشاعر أحمد رامى وموظف دار الكتب آنذاك:

الصب تفضحه عيونه ... وتنم عن وجد شئونه
إنا تكتمنا الهوى ... والداء أقتله دفينه
يهتاجنا نوح الحمام ... وكم يحركنا أنينه
وتحمل القُبل النسيم ... فهل يؤديها أمينة
قست القلوب فهل ... لقلبك ياحبيبى من يلينه
فتريح قلباً مدنفاً ... أسوان لاتغنى شجونه
مرت عليه الذكريا ... ت فطال للماضى حنينه
وأنا نجيك والذى ... يقيك من ودى هتونه
وبى الذى بك ياترى ... سرى وسرك من يصونه؟!

***

وكما سبق وأشرنا فإن هذه القصيدة قد غنتها أم كلثوم فى عام ١٩٢٤ وهى من ألحان الشيخ أبو العلا محمد .. وسجلتها كوكب الشرق على أسطوانة جرامفون فى العام نفسه، ثم تحول أحمد رامى من بعد كتابتها وكتابة قصائد قليلة أخرى إلى العامية.

وتشير الدكتورة نعمات فؤاد إلى أن سبب تحول أحمد رامى بعد كتابة هذه القصائد لأم كلثوم من الشعر الفصيح إلى الأغانى العامية ، هو أم كلثوم نفسها والتى أقنعته بالانتقال من الشعر إلى الزجل..

وفى تعليق لطيف للكاتبة فيما يخص ما ذكره رامى نفسه عن هذا التحول قالت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد : «ولا أحسب أن أم كلثوم فى ذلك الوقت كانت قادرة على إقناع شاعر بتحول فني..ولكن المسألة فى تقديرى أن رامى وجد فيها صوتا واعدا وتذكر أن شوقى أمير الشعراء ألف الأغانى العامية وقبله إسماعيل صبرى. والأغنية جناح يطير بشهرة أصاحبها فاندفع بوحى من تفكيره وعاطفته الوليدة معها فى طريق الزجل، ولعل نفسه حدثته أن عبدالوهاب مغنى شوقى فلتكن هذه الفتاة ذات الصوت الجميل مغنيته - أى مغنية كلماته »(١).

***

وقد نظن أن الشاعر أحمد رامى قد قبل بسهولة التحول من شعر الفصحى إلى العامية وفق ما طلبت منه ذلك أم كلثوم .. بل بالعكس حيث أخذ سلطان القصيدة يسيطر

(١) أم كلثوم وعصر من الفن. د. نعمات أحمد فؤاد - مصدر سابق.

عليه فترة من الزمن وربما وصلت إلى عامين، بدليل أنه قدم لأم كلثوم ـ وحتى من بعد أن طلبت منه التحول فى عام ١٩٢٤ من القصائد الفصيحة إلى العامية ـ قصيدتين بالفصحى ..الأولى غنتها فى عام ١٩٢٥ بعنوان «إن حالى فى هواها عجب» .. من ألحان محمد القصبجى، وسجلتها على أسطوانة جرامفون فى العام نفسه.

وقد أشارت إلى ذلك أم كلثوم نفسها فى أوراقها الخاصة حين ذكرت، «... فلما عدت من مصيف رأس البر اتصلت به - أى بأحمد رامى - وقلت له إن الجمهور يجب أن ينتقل من الأغانى المسفة التى يسمعها إلى القصائد والشعر العظيم على مراحل . فقال رامى : لكنى أعددت لك قصيدة «إن حالى فى هواها عجب» .. قلت بعد أن قرأت كلماتها: تبدو فى كلماتها سهلة.. سوف أغنيها، ولكن أفضل أن تستعمل فى كلمات الأغانى ما هو سهل ومتداول .. ما يمكن أن يفهمه الناس دون عناء.. فقال باحتجاج : هو هو الذى يسمعه الناس الآن.. فقلت : أنا أريد خطوة أبعد، خطوة أوسع.. أريد لغة مثل لغة الصحف يفهمها الناس، فلا هى إسفاف.. ولا ألغاز..»

***

ولقد تصورت سيدةالقصيدة العربية أنها حققت بهذا القول أغراضها بشأن تحول رامى من الشعر الفصيح إلى العامية - ولكن سرعان ماخاب هذا التصور إذ كان شيطان الشعر الفصيح لايزال راكبا فوق قلب وعقل أحمد رامى ـ فقدم لها قصيدة ثالثة لكى تغنيها.. وقبلتها رغماً عنها، وهى القصيدة التى لحنها الشيخ أبو العلا محمد فى عام ١٩٢٦ بعنوان «أقصر فؤادى» كما قدم لها قصيدة رابعة بعنوان: «يقظة القلب» من تلحين الموسيقار محمد القصبجى وفى العام نفسه.

***

ونظراً لحالة الإعجاب المبكرة التى استولت على شاعرية أحمد رامى تجاه الآنسة أم كلثوم التى لم ترفض له كلمات قصائده.. رغم أنهاكانت عكس رغبتها!.. فقد استجاب لتلك الرغبة أخيراً وتحول تماماً إلى كاتب إغنية باللهجة العامية.. فقدم لها أول ما قدم مونولوجاً بعنوان «خايف يكون حبك» .. من تلحين الدكتور أحمد صبرى النجريدى.

وتقول كلمات هذا المونولوج أو هذه الأغنية:

خايف يكون حبك فى شفقة على
وأنت اللى فى الدنيا ضى عينى
شفت إنى مغرم بهواك ولا بسلاك
راضى بجفاك وبرضاك خالص النية
صعبت ياروحى عليك وده يرضيك
مادام حياتى فى أيديك حن على
أنا اللى عارف مقدارك وطايق نارك
وراضى غلبك ومرارك رقى شوية.

***

ومنذ أن كتب رامى هذه الكلمات العذبة التى ربما أراد أن يفتح من خلالها طريقاً طويلاً يعبر منه قلبه إلى قلب أم كلثوم ، ظل شيطان الشعر العامى مسيطراً عليه حتى كتب لأم كلثوم أكثر من مائة أغنية ما بين عاطفية ووطنية، وكان بين حين وآخر يكتب بعض القصائد بالفصحى.. خاصة فى المناسبات الوطنية، وأغنيات بعض الأفلام وفق ما يقتضيه السيناريو وشخصية الممثل !. وقد بلغ عدد هذه القصائد جميعها حوالى ست عشرة قصيدة ما بين نشيد ومناسبة وطنية ورثاء.

ولو جمعنا ما كتبه أحمد رامى لأم كلثوم على مدى رحلة حياته الطويلة والتى استغرقت أكثر من خمسن عاماً.. سواء بالفصحى أو بالعامية سوف نجده يصل إلى ١٣٥ أغنية مابين مونولوج ودور وقصيدة وإغنية.. وقد تصدى لوضع الألحان لهذا الكم الكبيرمن الأغنيات تقريبا كل ملحنى أم كلثوم بدءاً من الشيخ أبو العلا محمد وحتى محمد الموجى وسيد مكاوى مروراً بالشيخ محمد القصبجى وزكريا أحمد وداود حسنى ورياض السنباطى ومحمد عبدالوهاب.

***

وإذ كنا قد ذكرنا من قبل كلمات أولى القصائد التى تغنت بها سيدة القصيدة العربية من تأليف أحمد رامى.. وكذلك كلمات أولى أغنياته بالعامية . فقد رأينا من الضرورى الإشارة إلى كلمات آخر ما غنت أم كلثوم لأحمد رامى.

ففى عام١٩٧٢ وبالضبط فى الحفل الذى أذيع فى أوائل شهر إبريل من العام نفسه.. غنت أم كلثوم لأحمد رامى أغنيته المشهورة «يامسهرنى» . من تلحين الموسيقار الراحل سيد مكاوى..وكانت تلك أول وآخر أغنية يلحنها سيد مكاوى لكوكب الشرق ، كما كانت هذه الأغنية ذاتها من بين أخر ما غنت أم كلثوم قبيل رحيلها فى عام ١٩٧٥ ، حيث دخلت قبل هذه الفترة بأيام قليلة فى غيبوبة دائمة انتهت برحليها.

وتقول كلمات الأغنية:

ماخطرتش على بالك يوم تسأل عنى   وعنيه مجا فيها النوم يامسهرنى
وأنا قلبى بيسألنى أيه غير أحواله   ويقول لى بأه ماخطرتش على باله
إمال غلاوة حبك فين   وفين حنان قلبه علىّ
وفين حلاوة قربك فين   فين الوداد والحنية
ياناسينى وأنت على بالى   وخيالك مايفارق عينى
ريحنى وأعطف على حالى   وأرحمنى من كتر ظنونى
لاعينى بيهواها النوم   ولابخطر على بالك يوم

إسأل عنى يامسهرنى

إسأل عن اللى يقضى الليل   بين الأمل وبين الذكرى
يصبر قلب المشغول   ويقول لى نتقابل بكره
وبكره يفوت وبعده يفوت   ولاكلمة ولامرسال
وهو العمر فيه كام يوم   وأنا بُعدك علىّ طال
ياناسينى وأنت على بالى   وخيالك ما يفارق عينى
ريحنى وأعطف على حالى   وأرحمنى من كثر ظنونى
لاعينىّ بيهواها النوم   ولابأخطر على بالك يوم

إسأل عنى يامسهرنى

يامسهر النوم فى عينى   سهرت أفكارى وياك
الصبر مش بايديه   والشوق واخدنى فى بحر هواك
أقول لروحى وأنا ذنبى إيه   يقول لى قلبى حلمك عليه
مسيره بكره يعطف علينا   ونبقى نعرف هجرنا ليه
ياناسينى وأنت على بالى   وخيالك ما يفارق عينى
ريحنى وأعطف على حالى   وارحمنى من كتر ظنونى
لاعينىّ بيهواها النوم   ولابخطر على بالك يوم

تعالى .. خلى نسيم الليل | على جناح الشوق يسرى
الهجر طال والصبر قليل | والعمر أيامه بتجرى

طالت الأيام .. تعال لى قوام

دنا عندى كلام بدى أقوله لك | ومفيش أيام ولا فى الأحلام
ياناسينى وأنت على بالى | إرحمنى من قسوة قلبك
ريحنى واعطف على حالى | خلينى أتهنى بقربك
وأنا عينى بيهواها النوم | ولا أشكى ولاأقول لك يوم

إسأل عنى ياسهرنى

***

هذا عن الشعر والكلمات العذبة .. ورحلة أحمد رامى مع صوت أم كلثوم على مدى خمسين عاماً. فماذا عن سيرة حياة الشاعر نفسه؟!.. إن هناك بالفعل عشرات من الكتب ومن الموضوعات الصحفية التى تحدثت وباستفاضة عن رحلة شاعرنا أحمد رامى فى الحياة منذ ميلاده وحتى يوم رحيله..ونحن هنا نقتبس من سيرته بعض لمحاتها ... لأجل أن تكتمل لدينا ولديكم الفائدة المرجوة.

فقد ولد الشاعر أحمد رامى حسن عثمان الكرتيلى، وهذا اسمه بالكامل وفق الأوراق الرسمية، فى شهر أغسطس من عام ١٨٩٢ ، فى مدينة القاهرة.

وإن كان المؤرخ والناقد الراحل محمد السيد شوشة قد أشار إلى أن يوم ميلاد أحمد رامى كان مجهولاً . وقيل فى ذلك أنه ولد فى أحد أيام شهر أغسطس من عام ١٨٩٨ !.

عاش أحمد رامى فترة طفولته وصباه بحى الناصرية بالسيدة زينب... وترجع أصوله إلى إحدى مدن اليونان حيث إن جده لأبيه هو الأميرالاى حسن عثمان الكرتيلى نسبة إلى جزيرة كريت اليونانية، وكان يعمل ضابطاً بالجيش العثمانى، وجاء إلى مصر مع عائلته فى عهد الخديوى إسماعيل.. أماجده لأمه السيدة فاطمة فهو الشيخ محمد الغزولى الذى كان يشغل منصب رئيس السجلات بالمحكمة الشرعية.

أما والد الشاعرأحمد رامى الذى كان يعمل ضابطاً طبيباً فهو الدكتور محمد رامى الذى تخرج من كلية الطب بعد ميلاد ابنه بعامين !. واسم أحمد رامى اسم مركب كما أن اسم أبيه أيضاً اسم مركب!.

نال أحمد رامى الشهادة الابتدائية فى عام ١٩٠٧ ، وهو فى سن الخامسة عشرة، ثم

التحق بعدها بالمدرسة الخديوية الثانوية، وحصل منها على شهادة البكالوريا فى عام ١٩١١ .. وكان من المقرر وفق ميوله أن يلتحق بمدرسة الحقوق إلا أنه عدل عن هذه الرغبة والتحق بمدرسةالمعلمين التى تخرج منها فى عام ١٩١٤ .. وبعدها التحق بالعمل مدرساً للترجمة بمدرسة المنيرة الابتدائية.. ، وفى عام ١٩٢١ اختير للعمل فى وظيفة مساعد أمين مكتبة بمدرسة المعلمين العليا ، كما أختير للسفر فى بعثة علمية فى عام ١٩٢٣ لمدة عامين فى فرنسا.، ومن هناك عاد حاملاً دبلومين عاليين الأول فى فن تنسيق الوثائق والمكتبات من جامعة السربون والثانى فى اللغةالفارسية.

ارتبط الشاعر أحمد رامى منذ شبابه بالشعر الذى أجاد تأليفه منذ الصغر وأخذ ينشر هذه القصائد فى الصحف والمجلات.. مما لفت إليه أنظار المغنين فى عصره فكانوا يقبلون على الشدو بكلماته. حتى أن إحدى قصائده المنشورة بالصحف آنذاك كانت بداية تعارفه على أم كلثوم.. ولقد ظل أحمد رامى يكتب الشعر بالفصحى والعامية حتى أخريات حياته.

٢ محمود بيرم التونسى

الشاعر الذى يكتب فى السياسة !

كانت أم كلثوم تعيش دائما فى قلب الأحداث.. رغم انشغالها بأمور الفن والألحان .. وهى لم تنفصل أبداً فى يوم من الأيام عن هذه الأحداث أو متابعة تفاصيلها والوقوف على نتائجها.

ليس هذا فقط.. بل وكانت سيدة القصيدة العربية تتابع أيضاً نشاط بعض السياسيين وبعض الأدباء من الذين أوقفوا كلماتهم لأجل الكفاح ضد الملك وضد الإنجليز.

وكان محمود بيرم التونسى على رأس هؤلاء الأدباء من الذين أشعلوا نار الوطنية وحماس الشعب من خلال ماكان ينشره من أزجال فى الصحف والمجلات. الأمر الذى أدى به فى النهاية إلى مصير النفى والخروج من مصرمغضوباً عليه/ .

ولم تكن أم كلثوم بعيدة عن ذلك الحماس المنقطع النظير الذى زرعه بيرم التونسى داخل الصدور بماكان يكتبه وينشره من حين إلى حين ..وقد أخذت تعد نفسها لاستقبال كلمات هذا الثائر لكى تغنيها ..وتخرج من صوتها بالألحان..

ومما يحكى فى هذا السياق.. أن سيدة القصيدةالعربية هى التى سعت للقاء بيرم التونسى والتعامل مع كلماته . فقد طلبت فى يوم من الأيام من ملحنها المفضل آنذاك الشيخ زكريا أحمد وصديق بيرم التونسى فى الوقت نفسه أن يعرفها على ذلك الشاعر الذى كان يكتب فى السياسة !.

وبالفعل التقت أم كلثوم مع بيرم فى عام ١٩٤١ .. حيث أخذ يكتب لها الأغنيات العاطفية والوطنية، بل وشارك كذلك فى كتابة كل ماغنته فى فيلميها «سلامة» الذى مثلته فى عام ١٩٤٤ «وفاطمة» الذى مثلته فى عام ١٩٤٧ ، وقد وصل عدد ماكتبه بيرم التونسى لأم كلثوم طوال فترة تعاملهما حوالى ٣٢ أغنية.

***

وفى تصور الدكتورة رتيبة الحفنى أن سبب لجوء أم كلثوم لبيرم التونسى خاصة خلال

فترة الحرب العالمية الثانية ليكتب لها أغنياتها ..هو أن أم كلثوم الذكية أدركت أن نهوض رامى بالعبء وحده مهمة صعبة.. وأنها لابد من أن تواكب التطور، وتتجة بأغانيها إلى كلمات شعبية إلى حد ما .. تساير الزمن وتعجب الجمهور. ولم يكن أمامها إلا الزجل.. وفى الحرب العالمية الثانية حينما أثرت الطبقة الشعبية من التجارة، تطلعت هذه الطبقة بحكم الثراء إلى حضور حفلات أم كلثوم، فوجدت أم كلثوم أن هذه العقلية لايناسبها إلاكلمات الزجل.. وشخصية بيرم التونسى، فأقبلت على فارس هذا الميدان وغنت له العديد من الأغانى فى الفترة مابين عامى ١٩٤٢ ، ١٩٥٠ أى سنوات الحرب وما تلاها.[١]

وعلى فكرة فإننى أسجل هنا معارضتى الشديدة لما قالته سابقاً الدكتورة رتيبة.. ذلك لأن بيرم التونسى .. ! قد أُعجب بكلماته أغنياء الحرب من الفقراء ومن غيرهم ، كماكتب كلمات - وهذا ليس تحيزاً - فيها نغمة العاطفة والوطنية أعلى بكثير مما كتبه أحمد رامى، بل وكان بيرم فوق ذلك أكثر تأثراً بالأحداث الوطنية والسياسية.. والتى عبر عنها خير تعبيرمن خلال ماكتبه من أغان عديدة..

***

ومن المصادفات العجيبة أن بيرم التونسى بدأ حياته الأدبية شاعراً للفصحى تماماً مثله فى ذلك مثل أحمد رامى، وإن لم تغن له أم كلثوم هذه القصائد ، وكتابنا عن «بيرم وشوقى» فيه الكثير عن هذه البدايات.

وعلى أية حال فقد أصبح كل ما يعنينا من حياة بيرم الأدبية.. خاصة فوق هذه الأوراق هو مشاركته فى كتابة اغنيات لسيدة القصيدة العربية.

هذه المشاركة التى بدأت بناء على رغبة أم كلثوم فى عام ١٩٤١ ، وبواسطة ملحنها المفضل آنذاك زكريا أحمد.

وقد كتب بيرم التونسى لأم كلثوم فى هذا العام وحده أغنيتين الأولى بعنوان : «أنا وأنت» والثانية بعنوان «إيه أسمى الحب» .

وكانت هاتان الأغنيتان بداية تعامل طويل مع أم كلثوم دام حتى من بعد رحيل بيرم التونسى نفسه وامتد إلى عام ١٩٧٢ .

---

(١) أم كلثوم - رتيبة الحفنى - مصدر سابق

وأما بالنسبة لكلمات الأغنية الأولى.. فقد قال فيهامحمود بيرم التونسى:

أنا وانت... أنا وأنت

أنا وأنت

كل من يعشق ياعذابه ... فى الهوى ترميه مقاديره
وانقضى المكتوب ولانابه ... غير عذاب يخطر فى ضميره
صبح وبات متألم شاكى ... ويبات ويصبح حيران باكى
واللى نال عهده والزمان ... ساعده وانكتب سعده

أنا وأنت

كل من يعشق بأسراره ... من أساه وجواه وجروحه
إن صبر يصبر على ناره ... وأن بكى يبكى على روحه
لا الدمع يطفى النار فى ضلوعه ... ولا الأمل ناله بدموعه
اللى فى حبه نالها ... واتمنى وانتشى وغنى

أنا وأنت

قول لى أنا وأنت وأنا أقول لك ... تانى أنا وأنت وأكمل لك
الغرام غنوة أنغامها ... بس أنا وأنت نفهمها
إللى سمع يسمع على قده ... واللى فهم يفهم على قصده

واللى أنشأها   واللى غناها   وفق معناها

أنا وأنت

لما أنا وانت غنينا ... غنت الدنيا حوالينا
والنغم من بدعه وحسنه ... أسكر البلبل على غصنه
والغرام جنة وقصورها ... لى أنا وأنت وزهورها
إللى يسقيها واللى يرويها ... واللى يجنيها.. أنا وأنت

ولقد لحن هذه الأغنية الموسيقار الشيخ زكريا أحمد. كما وضع أيضاً ألحان الأغنية الثانيةوالتى شدت بها أم كلثوم بعنوان «إيه أسمى الحب» والتى تقول كلماتها:

إيه أسمى الحب أناما أعرفش ... دا باينه شىء ما يتوصفشى
ناس يقولوا الحب دايجنن ... كل قاسى القلب ويطمن
ويقولوا لنا ناس دايجنن ... وكلام الاتنين مايكدبشى

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

وقالوا لنا الحب دا بلوة ... تسرقنا سكرته الحلوة

ودواء الصبر يا السلوى وعلى الاتنين أنا ما أقدرشى
إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش
إيه أقول والحب دا يحير من ساعة لساعة يتغير
أهو مرة صبر بيمرر وأهو مرة حلو أنا ماأنكرشى
إيه أسمى الحب ما أعرفش
إيه أقول عالحب ياأخوانا اللى بيقولوا عليه جنه
ما فتحنا بابها ودخلنا ولقينا شوء ولا بيلومشى
إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش
إيه أقول عالحب آه يانى اللى تشعل نارة فى ثوانى
قد إيه لوعنى وكوانى على عينى وبرضه أنا مابتوبشى
إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش
ما أقدرش أقول قولوا أنتم اللى داق الحب مين منكم
وفرحكم وألا حزنكم أحتار أنا وألا أنا ما احترشى
إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

***

وبعد هاتين الأغنيتين التى قدمهما بيرم التونسى لأم كلثوم.. ولحنهما زكريا أحمد تواصل اللقاء والتعاون بين هؤلاء الفرسان الثلاثة.. فأخرجوا لنا روائع الكلمات وأعذب الألحان ، ومما هو ملاحظ فى سياق الحديث عن هذا التعاون الفنى.. أن محمود بيرم التونسى كان دائماً مايحرص على تقديم أكثر من عمل فنى لأم كلثوم فى العام الواحد.. وكذلك كان كثيراً ما يجتهد فى إخراج هذه الأعمال فى أحسن صورها اللحنية الموسيقار الراحل زكريا أحمد الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى تهذيب النفوس والأذواق بكلمات هذا الزجال والشاعر العبقرى.

ولقد سبق لنا القول بأن بيرم التونسى لم يوقف إنتاجه فى مجال الأغنية مع أم كلثوم على نوع معين .. بل كتب لها سيناريو وأغانى فيلمين غنائيين ..وكان الموسيقار زكريا أحمد يحرص هو الاخر على تلحين هذه الأعمال الفنية بما يليق بمستوى كلماتها .

***

وفى أحد التصريحات الصحفية لأم كلثوم ذكرت أن الشيخ زكريا أحمد قد استأثر

وحده بتلحين كلمات بيرم التونسى. إلا فى الفترة التى دب فيها الخلاف بين أم كلثوم وزكريا أحمد ، لكننا وبالعودة إلى سجل أغنيات أم كلثوم اكتشفنا أن رياض السنباطى قد لحن هو الآخر لأم كلثوم من كلمات بيرم التونسى العديد من الأغنيات والتى كان آخرها أغنية «القلب يعشق كل جميل» . والتى شدت بها أم كلثوم بعد سنوات من رحيل بيرم التونسى.

ولأجل أن نذكر كل المتابعين معنا فوق هذه الأوراق .. بقيمة ماكتبه بيرم التونسى لأم كلثوم، ومدى أهمية هذه الكلمات فى عالم الشعر والموسيقى، كان علينا ضرورة أن نستعرض بعض عناوين هذه الأغنيات وتواريخ ظهورها من خلال صوت أم كلثوم!

فقد كتب بيرم التونسى أغنيات «الأمل» فى عام ١٩٤٦ ولحنها الشيخ زكريا أحمد..«والأولة فى الغرام» فى عام ١٩٤٤ و«الحب كده» من تلحين رياض السنباطى و«الورد جميل » فى عام ١٩٤٦ و«أنا فى أنتظارك» فى عام ١٩٤٣ و«أهل الهوى» من تلحين زكريا أحمد أيضاً فى عام ١٩٤٤ وأغنية «آه من لقاك» فى عام ١٩٤٣ .

ومما لاحظناه فى سياق هذاالحديث أن موسم عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ قد شهد قمة التألق فنياً سواء لأم كلثوم أو لبيرم أو لزكريا أحمد.. وحتى من بعد رحيل بيرم التونسى حرصت أم كلثوم على تقديم أعماله الغنائية والتى كان آخرها وكما ذكرنا من قبل أغنية «القلب يعشق كل جميل» والتى غنتها أم كلثوم فى موسم عام ١٩٧٢ وهى من تلحين الموسيقار رياض السنباطى .

ولاننسى أن ننوه هنا أيضاً إلى أن بيرم التونسى قد أحرز موقعاً متقدماً من الاهتمام خاصة فى مجال الأغنية الوطنية.. وبشكل خاص فى فترة ما بعد ثورة ١٩٥٢ .. ويكفيه شرفاً أنه يرجع إليه الفضل فى الترويج لأسماء الرؤساء فى أغانى المطربين والمطربات، بعد ما استطاع أن يجعل من اسم جمال عبدالناصر أغنية فوق الشفاة يرددها الناس فى كل مكان!، كما اعتمدت عليه أم كلثوم وبشكل خاص فى التقرب لزعماء ما بعد الثورة من خلال ماكان يكتبه عنهم وعن إنجازاتهم سواء بالشكل المباشر أو غير المباشر!.

***

وإذاكنا من قبل قد نوهنا عن أولى الأغنيات التى كتبها بيرم لأم كلثوم، وحرصنا على

كتابة نصوصها.. فها نحن نحقق الخطوة نفسها مع آخر ما غنته أم كلثوم لهذا الشاعر الزجال الكبير، وهى أغنية «دعانى لبيته» والتى تقول كلماتها:

القلب يعشق كل جميل ... ويا ما شفت جمال يا عين
واللى صدق فى الحب. قليل ... وأن دام يدوم يوم ولا يومين
واللى هويته .. اليوم ... دايم وصاله دوم
لا يعاتب اللى يتوب ... ولا فى طبعه اللوم
واحد مفيش غيره ... ملا الوجود نوره
دعانى........لبيته ... لحد باب .. بيته
ولما تجلالى ... بالدمع ناجيته

***

كنت أبتعد عنه ... وكان يناديني
ويقول مسيرك يوم ... تخضع لى .. وتجينى
طاوعنى .. يا عبدى ... طاوعنى أنا .. وحدى
أنا اللى أعطيتك ... من غير ما تتكلم
وأنا اللى علمتك ... من غير ما تتعلم
واللى هديته إليك ... لو تحسبه بإيديك

تشوف جمايلى عليك

من كل شىء .. أعظم ... سلم لنا ... تسلم
دعانى لبيته ... لحد باب بيته
ولما تجلالى ... بالدمع ناجيته

***

مكة وفيها جبال النور ... طالة على البيت المعمور
دخلنا باب السلام ... غمر قلوبنا السلام

بعفو رب غفور

فوقنا حمام الحمى ... عدد نجوم السما
طاير علينا يطوف ... إلوف تتابع إلوف

طاير يهنى الضيوف ... بالعفو والمرحمة
واللى نظم سيره ... واحد مفيش غيره
دعانى لبيته ... لحد باب بيته

ولما تجلالى | بالدمع ناجيته

***

جينا على روضة | هالة من الجنة
فيها الأحبة تنول | كل اللى تتمنى
فيها نور على نور | وكاس محبة يدور

واللى شرب ... غنى

وملايكة الرحمن | كانت لنا .. ندمان
بالصفح والغفران | جايه تبشرنا
ياريت حبايبنا | ينولوا ما نلنا
يارب توعدهم | يارب وأقبلنا
دعانى لبيته | لحد باب بيته
ولما تجلالى | بالدمع ناجيته

ويبدو أن هذه الأغنية كان قد كتبها بيرم التونسى فى عام ١٩٤٦ .. وظلت فى مخيلة أم كلثوم لأكثر من عشرين عاماً.. خاصة بعدما سمعت ذلك اللحن الشجى الذى كان قد وضعها لها الموسيقار زكريا أحمد.. وغناها بصوته فى العام نفسه ١٩٤٦ ..

كما يبدو من توقيت الشدو بها أن أم كلثوم سيدة القصيدة العربية أرادت أن تختتم حياتها الفنية بمناجاة الله سبحانه وتعالى، وهذه الأغنية مسجلة على أسطوانة صوت القاهرة فى عام ١٩٧٢ .. وهى من ألحان الموسيقار رياض السنباطى.

***

ولسنا فى حاجة إلى أن نؤكد لكم أن صاحب الذكرى الزجال والشاعر بيرم التونسى .. قد حفلت بسيرة حياته العديد من الكتب والمقالات التى نقلت أحداثها إما مما سجله هو بنفسه فى مناسبات عديدة وإما على سبيل الاجتهادات العلمية والنقدية.

وها نحن هنا سوف نعيد نشر ما قيل عن بعض لمحات من سيرة حياة بيرم التونسى الذى غادر دنيانا فى ٥ يناير من عام ١٩٦١ ، وكان قد وصل إلى هذه الدنيا فى عام ١٨٩٣ !.

ويقول بيرم عن يوم ميلاده:«أنا من مواليد عام ١٨٩٣ ، ومسقط رأسى مدينة الإسكندرية.. أما المنزل الذى ولدت فيه فيقع فى الميناء الشرقى خلف مسجد البوصيرى» .

ويضيف : «جئت إلى الدنيا، ثم جاءت من بعدى أخت واحدة انتقلت بسرعة إلى رحمة الله» .

دخل بيرم التونسى ككل أطفال عصره كتاب الشيخ «جاد الله» بمنطقة رأس التين بالإسكندرية، ولم يستمر به إلا أشهر قليلة بسبب قسوة هذا الشيخ المعمم، وحرصاً من والده على استمراره فى مشوار التعليم أرسله إلى مسجد الشيخ المرسى أبى العباس حيث كان هناك معهداً دينى يتردد عليه غالبية أبناء تجار هذا الحى ..

بعدها التحق بيرم بالمدرسة الابتدائية وهو فى سن السابعة، ولكنه لم يستمر فى مراحل التعليم .. وأخذ يثقف نفسه بنفسه.

وهو يقول عن ذلك :«وبعد سنتين من التحاقى بالمدرسة فوجئت بموت أبى وكان أول شىء فعلته بعد موته أننى امتنعت عن الذهاب إلى المدرسة ، وكنت قد أجدت القراءة والكتابة».

***

واصل بيرم التونسى حياة الضياع والصعلكة من بعد موت أبيه فأخذ يعمل فى التجارة.. ولم ينس أبداً أن يثقف نفسه بعد ما اكتشف ميله الشديد للأدب خاصة قول الشعر، ومنذ بداية مشواره داخل حياتنا الأدبية اصطدام بيرم بالأوضاع السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة خاصة فى أيام حكم الملك فؤاد، مماعرضه للنفى خارج مصر لأكثر من مرة.

ولقد صهرته هذه التجارب وجعلت منه شاعراً استخدم كلماته فى الدفاع عن حقوق وطنه، وفى عام ١٩٣٨ استقر بيرم نهائياً فى مصر بعد رحلة نفى استمرت عشرات السنين قضاها بين ربوع فرنسا!، وبالتالى أخذ يعد نفسه لاستعادة مكانته الأدبية خاصة فى مجال الزجل كما التفت إلى أعماله خاصة الغنائية لمعظم مطربى وملحنى عصره .. وأخذ يكتب الزجل، والشعر وينشره فى الصحف والمجلات التى كان يعمل بها.. حتى أن صحيفة الأهرام.. نشرت له قصيدة فى صدر صفحاتها الأولى.. وكان لها الفضل الأكبر فى حصوله على العفو الملكى وإعادة حياة الاستقرار له فى مصر.

كما ترك لنا بيرم التونسى ثروة أدبية كبيرة سواء فى مجال الزجل أو القصة أو المقالات الصحفية أو المقامات الأدبية .. وكما سبق وذكرنا فقد تناول غيرنا من الدارسين والباحثين بالحديث المفصل هذا التراث.. وما ذكرناه كان مجرد لمحة خاطفة تناسب مقام وجوده فوق هذه الأوراق.

٣ صلاح جاهين

شاعر الوطنية والثورة!

أثبتت الوقائع والأحداث.. أن شاعرنا صلاح جاهين والذى اشتهر بكونه رسام كاريكاتير وممثلاً أكثرمن كونه شاعراً، يعتبرمن شعراء المناسبات الوطنية .. سواء بالنسبة لأم كلثوم أو بالنسبة لزميلها عبدالحليم حافظ .. حيث تأثر صلاح جاهين كثيراً بفترة يوليو عام ١٩٥٢ ، وكذلك ما تلاها من أحداث سياسية وعسكرية ساخنة امتدت حتى عام ١٩٥٦ !.

كما نستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن صلاح جاهين وكلماته الوطنية الحماسية ، قد صادفت هوى فى نفس سيدة القصيدة العربية التى كانت تبحث فى فترة الخمسينيات خاصة بعد ثورة يوليو عن طوق نجاة من الغرق فى بحر النسيان؛ خاصة بعد ما ظهر من نوايا لبعض رموز العهد السياسى الجديد باعتبارها من مخلفات العصر الملكى الواجب التخلص منه !، وبذلك انضم صلاح جاهين إلى زميله بيرم التونسى فى حمل لواء الدعوة والدعاية لنظام الثورة ، وتأكيد ذاتية ووجود أم كلثوم داخل الأحداث الجديدة!.

وهذا ليس معناه انتقاصاً من شاعرية صلاح جاهين ..بل بالعكس فقد ظهرت تلك المقدرة على صياغة كلمات شعبية خفيفة.. عبرت فى حينها عما كان يعانيه الناس فى الشوارع ، خاصة من الطبقات الفقيرة والمتواضعة!

وإذا كان بيرم التونسى قد اخترع فكرة الاحتفال بأسماء الرؤساء والزعماء فى أغنيات المطربين.. وأولهم أم كلثوم .. فإن الفضل فى استمرارية هذا الاختراع يرجع أساسا إلى عبقرية صلاح جاهين، وامتلاكه ناصية الكلمات الوطنية والحماسية شديدة التأثير على الجماهير!.

ولسوف يتأكد هذا المعنى فى النفوس وفى العقول المتابعة لناعبر هذه الأوراق،عندما نتوقف سويا أمام المحطات الوطنية التى ألهبت خيال صلاح جاهين وأخرجت من داخله هذه المعانى الوطنية والحماسية غير المسبوقة.

***

وكما هو واضح من خلال كلمات صلاح چاهين.. فإنه كان يتقن دغدغة المشاعر والأحاسيس.. خاصة فى المناسبات الوطنية الحاسمة.. وقد برز دوره فنياً وأدبياً فى مرحلة من أخطر مراحل حياة ثورة يوليو . بل وحياة مصر كلها عندما تعرضت البلاد لغزو عسكرى ثلاثى فى عام ١٩٥٦ ..

ولم يتوقف كفاحه بالكلمات عند حدود حنجرة أم كلثوم .. بل شارك هووزميله الملحن كمال الطويل فى بعث صوت وطنى جديد هو المطرب عبد الحليم حافظ الذى كان هو الاخر وفى الفترة نفسها يبحث عن مكان أو مكانة فنية تساهم فى تثبيت وجوده داخل دائرة الفن!.

***

وجاء موعد أول تعامل فنى مع صلاح چاهين .. حين طلبت أم كلثوم أن تغنى له نشيد «والله زمان يا سلاحى» والذى وضع ألحانه كمال الطويل ، وهو النشيد الذى غنته سيدة القصيدة العربية فى يوليو عام ١٩٥٦ .. ثم سجلته على أسطوانة صوت القاهرة. كما اتخذت منه الثورة نشيداً وطنياً لمصر خلال الفترة نفسها، وقد ظل هذا النشيد قابعاً فوق شفاه كل المصريين سواء فى المناسات أو فى غيرالمناسبات حتى مشارف عام ١٩٧١ ..حين تم تغييره بنشيد وطنى آخر هو «بلادى .. بلادى».

ويقول صلاح چاهين فى هذا النشيد:

والله زمان ياسلاحى | اشتقت لك فى كفاحى
انطق وقول أنا صاحى | ياحرب والله زمان
والله زمان ع الجنود | زاحفه بنرعد رعود
حالفه تروح لمر نعود | إلا بنصر الزمان
همّوا وضمّوا الصفوف | شيلوا الحياة ع الكفوف
ياما العدو راح يشوف | منكم فى نار الميدان

يامجد يامجدنا
ياللى اتبنيت عندنا
بشقانا وبكدنا
عمرك ماتبقى هوان

الشعب بيزحف زى النور | الشعب جبال الشعب بحور
بركان غضبان بركان بيفور | زلزال بيشق لهم فى القبور

***

ولقد اتضح لنا من خلال الاطلاع على أوراق ديوان صلاح چاهين أن هذا النشيد أجريت عليه بعض التعديلات .. كماحذفت منه بعض الأبيات.. وهى الأبيات التى يقول فيها صلاح چاهين وجاءت فى نهاية النشيد:

لجل السلام والأمل والحياة   شيلنا السلاح ورعانا الإله

نناضل.......نناضل

نناضل بعزم وإيمان

أقسم بوحدة بلادى   وبثورتى وجهادى

ما يعود على الأرض عادى   ما يسود غير الإنسان

***

وفى نفس توقيت اختيار أم كلثوم لكلمات النشيد الأول لصلاح چاهين.. كلفت الموسيقار رياض السنباطى لكى يلحن لها نشيد «الله معك» من تأليف صلاح چاهين أيضاً، وكان مواكباً تقريبا لأحداث عام ١٩٥٦ نفسها، وما صاحبها من اعتداءات بربرية على مصر فى ذلك الوقت، هذا النشيد غنته أم كلثوم فى عام ١٩٥٦ وكذلك سجلته على أسطوانة صوت القاهرة فى التوقيت نفسه.

وتقول كلمات هذا النشيدة:

راجعين بقوة السلاح   راجعين نحرر الحمى

راجعين كما رجع الصباح   من بعد ليلة مظلمة

جيش العروبة يابطل الله معك   ماأعظمك ما أروعك ما أشجعك

مأساة فلسطين تدفعك نحو الحدود   حول لها الألام بارود فى مدفعك

الله معك وكل حر شريف غيور   وياك وجنبك فى لهيب المعركة

والنصر لك مهما العدو ساق الغرور   ومهما ساق المسكنة وألا اشتكى

غاصب لعين   فى كل دين

ودى فلسطين العرب

فى كل خطوة معتدين   الأرض تتفجر غضب

يغضب نسيم البحر والأمواج تثور   ياشعب مصر يا منصور

الله معك

***

وتأثرا بأحداث تأميم قناة السويس ونجاح المصريين فى إدارة القناة بعد انسحاب الموظفين الأجانب.. انفعل صلاح چاهين بهذا الحدث الهام.. فكتب أغنية اسمها «زفة» وغنتها أم كلثوم فى عام ١٩٥٧ تحت عوان «محلاك يامصرى».

وعن انفعال صلاح چاهين بهذا الحدث الوطنى الكبير كتب الأديب أحمد زيادة يقول: «وبعد هذا التغنى بعظمة المصريين، ومباهاة الأجانب بهم، يتحول الغناء للرجال السمر الشاربين من النيل الذين جاهدوا حتى ظفروا بالنصر، وفرضوا صور مصر على أحداث الدنيا وأجبروا كل البشر على تحيتهم فى أى ميناء، وتستلهم الفرحة أحداث الماضى وما يحمله من جراح لم يمسحها إلا النصر، وتمكن المصريين من حقهم فى إدارة شريان الحياة بين السويس وبورسعيد، واستقبالهم لكل العابرين من شرق الدنيا وغربها، هذه الزفةوهذه الفرحة صاغها صلاح چاهين فى كلمات بسيطة تشربتها روح كل مصرى وتغنت بها» (١).

وعندما عزمت سيدة القصيد العربية على التغنى بهذه الأغنية كلفت الموسيقار محمد الموجى لكى يضع لحناً مناسباً لها.. وخرجت الأغنية معبرة فى وقتها عن فرحة شعبية غامرة.. بسبب رحيل الأجانب ونجاح المصريين فى إدارة قناة السويس.

وتقول كلما هذه الأغنية:

محلات يامصرى وأنت ع الدفة والنصرة عاملة لى القنال زفة
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة شاورولهم وغنو لهم وقولوا لهم
ريسنا قال ما فيش محال راح الدخيل وابن البلد كفى
حيوا الرجال السمر فوق السفينة حيوا اللى جاهدوا عشان يفرح وادينا
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة شاورو لهم وغنولهم وقولوا لهم
ريسنا قال ما فيش محال راح الدخيل وابن البلد كفى

***

أنا قلبى فاكر لسه مين اللى جرحه ولولا يوم النصر ما اتلم جرحه
شفت القنال فى أيدين رجال من بلادى رفرف عليهم قلبى من كتر فرحه
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة شاورولهم وغنولهم وقولوا لهم
ريسنا قال ما فيش محال راح الدخيل وابن البلد كفى

***

(١) صلاح چاهين - ١٩٣٠ - ١٩٨٦ تأليف أحمد زيادة.

حبايبنا شرق وغرب جايين بلادنا | والورد والياسمين هدية ولادنا
ونسيمنا بالأحضان مقابل راياتهم | وقنالنا يحكى لهم حكاية جهادنا
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة | شاورو لهم وغنولهم وقولوا له
ربنا قال ما فيش محال | راح الدخيل وابن البلد كفى

وبالرجوع إلى ديوان صلاح چاهين الذى نشر به هذه الأغنية اكتشفنا وجود عدة تغيرات أدخلتها أم كلثوم والملحن محمد الموجى على كلمات هذه الأغنية .. ومن أهم هذه التغيرات .. أن أم كلثوم اختارت كلمة «يا أهل مصر» . فى البيت الذى قالت فيه:

يا أهل مصر تعالوا على الضفة | شاورولهم وغنولهم وقولوا لهم

وذلك بدلاً من كلمتى «يا ولاد بلدنا» .. التى كان قد كتبها صلاح چاهين فى الأغنية نفسها. كما أسقطت أم كلثوم من هذه الأغنية بيتاً قال فيه صلاح چاهين:

نظرت لنا الدنيا وشافت عملهم | مدحت بكل لسان على كل مينا

وفى البيت الذى قالت فيه أم كلثوم:

حبايبنا شرق وغرب جايين بلادنا | والورد والياسمين هدية ولادنا

غيرت فيه كلمة «هدية ولادنا» بدلاً من كلمة «هدية بلادنا»

***

والشاعر صلاح چاهين وكما سبق القول .. هو مجموعة مواهب كانت تتحرك فوق الأرض ..وتسير حيث كان يمشى.. ويكفينا هنا أن نسوق للتدليل على ذلك ما قاله الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب حين عرف برحيل صلاح چاهين . حيث قال :«لم نفقد صلاح چاهين، بل فقدنا بموته ٢٠ فناناً، ومنهم الرسام والشاعر والساخر والزجال والقصص والممثل والسيناريست».

***

ولد صلاح چاهين فى ٢٥ ديسمبر من عام ١٩٣٠ فى محافظة سوهاج، وتلقى علوم الابتدائية فى مدرسة أسيوط ثم درس فى قنا، قبل أن يتوجه بشكل نهائى إلى الرسم والشعر. وصلاح چاهين اسمه وفق الإجماع محمد صلاح الدين حلمى الشهير بصلاح چاهين ، وقد اختار اسم چاهين لأنه اسم جد من أجداده، وهو حفيد الصحفى الثائر أحمد حلمى.

وعندما انتهى صلاح چاهين من دراسته الثانوية ألحقه والده بكلية الحقوق لكى يتخرج

ويعمل فى سلك القضاء مثل والده المستشار بمحكمة الاستئناف، إلا أن صلاح چاهين لم يطق دراسة القانون فالتحق بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة ،ومع ضغط الأسرة عاد صلاح من جديد إلى كلية الحقوق ليرضى رغبة والده، وفيها وصل إلى السنة الثالثة، ومع ذلك تركها ليعود من جديد إلى كلية الفنون الجميلة،واشتغل بالرسم فى الصحف والمجلات ثم سافر إلى السعودية وعمل هناك فى جريدة الرياض ثم عاد إلى القاهرة ليعمل رساماً للكاريكاتير فى مجلة القاهرة، وكانت هذه الخطوة هى بداية تعامله مع الصحافة سواء على مستوى فن الكاريكتير أو فن الشعر والزجل.

بدأ مشوار صلاح چاهين مع الشعر فى عام ١٩٥٥ بقصيدة نشرها بعنوان «الشاى واللبن» ثم واصل رحلته الشعرية التى أثمرت عن ستة دواوين، كان أخرها الرباعيات، وشارك صلاح چاهين إلى جانب ذلك فى كتابة عشرات الأغنيات خاصةالوطنية لكبار المطربين بخلاف أم كلثوم.

كما ساهم فى كتابة سيناريوهات والتمثيل فى أربعة أفلام سينمائية وكذلك عدة مسرحيات وأوبريتات غنائية.. كان من أشهرها أوبريت «الليلة الكبيرة».

وهو أول رسام يحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى عام ١٩٦٥، كما ارتبط صلاح چاهين سواء فى مجال الرسوم أو الأشعار بأحداث ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وظل مرتبطا بهاوبزعميها حتى وقوع نكسة عام ١٩٦٧! ، هذه النكسة التى أثرت على حياته وأصابته بنوع من الاكتئاب الذى جر عليه هموم الأمراض، والتى كان أخرها مرض انسداد فى شرايين القلب والذى مات بسببه فى عام ١٩٨٦.. عن عمر يناهز السادسة والخمسين.

٤ مأمون الشناوي

عندما رفض إجراء التعديل

ربما يكون الشاعر الغنائى الراحل مأمون الشناوى ، أول من يعترض من شعراء أم كلثوم على إجراء أية تعديلات على كلمات قصائده!، وفق ما كانت تطالب به هذه الفنانة العظيمة.

ولقد مر بنا من قبل حكاية عشرات الشعراء سواء من المصريين أو العرب القدامى أو المحدثين.. من الذين استسلموا لإرادة أم كلثوم الحديدية، ووافقوا فوراً على إجراء ما طلبته من تعديلات، لم تتوقف عند حد إضافة كلمة بدلاً من أخرى ، بل تعدى ذلك إلى تغيير فى بعض الأبيات سواء من حيث الإضافة أوالحذف!

وصلابة موقف الشاعر مأمون الشناوى وتمسكه بعدم إجراء أية تغييرات لفظية أوعبارية على كلمات قصائده.. تسبب فى تأخير تعامله مع صوت سيدة القصيدة العربية ما يقرب من عشرين عاماً!!

وبصرف النظر عن صواب أوخطأ هذا الرأى سواء من جانب أم كلثوم أو من جانب مأمون الشناوى، فقد نجح الأخير فى إقناع مطربين آخرين بالتغنى بكلماته دون تعديل وفق ما أعلنه هو فى العديد من أحاديثه الصحفية!.

وقد ظل النجاح يلاحقه من خلال الروائع الغنائية التى قدمها لهؤلاء المطربين خاصة لفريد الأطرش ، كما ظل حلم صوت أم كلثوم ممزوجاً بالألحان ، يلاحقه أيضاً فى السر وفى العلن حتى استسلم بعد أربعة وعشرين عاماً لرأى أم كلثوم ووافق على اجراء ما طلبته من تعديلات على أغنيته الأولى «أنساك» !، وهى الأغنية الرائعة التى كتبها الشاعر «مأمون الشناوى» وغنتها أم كلثوم فى عام ١٩٦٠ !.

ولقد أشار إلى عناد الشاعر مأمون الشناوى خاصة مع أم كلثوم الناقد الفنى الكبير الراحل جليل البندارى الذى قال فى إحدى مقالاته: «والشاعر الذى رفض الاستجابة لرأى شاعرة الحب والجمال، إما أن يكون مجنوناً وإما أن يكون مغروراً..» .

وأكد جليل البندارى فى المقالة ذاتها أن مأمون الشناوى قد اعترف له بأنه كان

برفضه هذا يعد بالفعل مجنوناً .. ولقد عبر عن ذلك بقوله «وقال لى واحد من شعرائها وهو مأمون الشناوى » لو لم أكن مجنوناً ومغروراً لتغنت أم كلثوم بشعرى منذ عشرين عاماً» .(١)

***

ورغم هذا الجنون والغرور الذى اتصف به شاعرنا مأمون الشناوى فيما يخص علاقته والشعر مع سيدة القصيدة العربية فقد تغنت بكلمات أربعة أغنيات على جانب كبير من الأهمية من حيث المعنى والأسلوب والإبداع، وذلك فى فترة بلغت أقل من عشر سنوات.. ولولا هذه الصفات التى أطلقها زميلنا الكبير الراحل الأستاذ الجليل البندارى كالصواريخ تجاه مأمون الشناوى وقبول الأخير تلك الصفات لتغنت أم كلثوم بكلماته أكثر من ضعف هذا العدد، خاصة إذا ما عرفنا أن شاعرنا الراحل الكبير مأمون الشناوى كان قد عرض على أم كلثوم فى عام ١٩٤٤ أولى قصائده الغنائية وهى كلمات أغنية: «حبيب العمر» .. وقد أرادت إجراء بعض التعديلات على بعض كلماتها، فرفض مأمون الشناوى وتمسكت أم كلثوم بوجهة نظرها، وعلى الفور أعطاها إلى الملحن والمطرب فريد الأطرش الذى تغنى بها كأروع أعماله غناء ولحناً !.

وتكرر السيناريو نفسه مرة ثانية مع أغنيته الشهيرة «الربيع» - التى أعطاها أيضاً للفنان فريد الأطرش !.

وفى عام ١٩٥٥ .. أى بعد تسع سنوات قدم مأمون الشناوى لأم كلثوم أغنية ثالثة وهى أغنية «كلمنى عن بكره» ، وكانت أم كلثوم خلال هذه الفترة قد انشغلت بالعدوان الثلاثى على مصر .. فلحنها كمال الطويل للمطربة نجاة الصغيرة!!

وفى عام ١٩٥٧ .. تقدم مأمون الشناوى بتجربته الأخيرة لأم كلثوم عساها أن تقتنع بوجهه نظره.. فكتب لها أغنية «أنساك» .. ، وبعد عدة مداولات ولقاءات اقتنع مأمون الشناوى بوجهة نظر أم كلثوم خاصة عندما طلبت منه إدخال تعديلات على هذه الأغنية، وظلت هذه المداولات قائمة على قدم وساق بين الشاعر وبين أم كلثوم طوال ثلاث سنوات.. حتى استقر الأمر فيما بعد وخرجت أغنية «أنساك ياسلام» .. من تلحين الموسيقار بليغ حمدى فى ثالث لقاء من ألحانه مع سيدة القصيدة العربية.

أما عن كلمات هذه الأغنية فهى كما غنتها أم كلثوم:

(١) جريدة أخبار اليوم فى ١٩٦٤/١٠/٣١

أنساك .. ده كلام — أنساك .. يا سلام
أهو ده إللى مش ممكن أبداً — ولا أفكر فيه أبداً
ده مستحيل قلبى يميل — ويحب يوم .. غيرك أبداً

أهو ده اللى مش ممكن أبداً

ولا ليلة ولا يوم ... أنا دقت النوم ... أيام حبك

كان قلبك فين وحنانك — فين كان فين قلبك
أنا أنسى جفاك وعذابى — معاك مانساش حبك
أنساك... ده كلام — أنساك يا سلام
وأحب تانى ليه — وأعمل فى حبك إيه
ده مستحيل قلبى يميل — ويحب يوم غيرك أبداً

أهو ده اللى مش ممكن أبداً

ذكريات حبى وحبك مانساهاش — هى أيامى اللى قلبى فيها عاش
فيها أحلامى قلتها وحققتها لى — فيها أحلامى لسه أنا ما قلتهاش
إللى فات من عمرى — كان لك من زمان
واللى باقى منه — جاى لك له أوان
وأحب تانى ليه — وأعمل فى حبك إيه
ده مستحيل قلبى يميل — ويحب يوم غيرك أبداً

أهو ده اللى مش ممكن أبداً

كان لك معايا أجمل — حكاية فى العمر كله
سنين بحالها مافات — جمالها على حب قبله
سنين ومرت ذى — الثوانى فى حبك إنت
كل العواطف الحلوة بينا — كانت معايا حتى فى خصامنا
وإزاى تقول أنساك وأتحول — وأنا حبى لك أكتر من الأول
وأحب تانى ليه — وأعمل فى حبك إيه
ده مستحيل قلبى يميل — ويحب يوم غيرك أبداً

أهو ده اللى مش ممكن أبداً

***

ويحدثنا المؤرخ والكاتب الصحفى الراحل جليل البندارى عن أهم التعديلات التى طلبتها أم كلثوم من مأمون الشناوى خاصة بالنسبة لهذه الأغنية فيقول :

«فى عام ١٩٥٧ كتب مأمون الشناوى أغنية ثالثة لأم كلثوم وقال لها: هذه ثالث أغنية اكتبها لك والثالثة تابتة!

وكانت كلمات هذه الأغنية تبدأ هكذا:

إيــاك فــاكــرنــى أحــب تــانــى
وأحــب إمــتــى وأنــت الــلــى عــارف
أول وآخــــر الحــــب إنـــــت
دمعى وابتسامى شوقى وحنانى
كــل الــعــواطــف وهــبــتــهــا لــك
لـــــك وحـــــدك انــــــت
وأحب تانى ليه وأقول لقلبى إيه
هــو الــلــى حــبــك يــحــب تــانــى!

وقرأت أم كلثوم الأغنية وقالت: هذا دخول فى الموضوع بلا مقدمة، يعنى الرواية بتبتدى من الفصل الثانى. وعندما دخلت هذه الأغنية فى مرحلة التنفيذ أمسكت أم كلثوم بالمشرط وأخذت تستأصل بأصابع الجراحة الماهرة على حد قول جليل البندارى - الكلمات الزائدة، فاستأصلت من الأغنية مثلاً هذه الكلمات:

إن كان ده خصام — على العين والراس
الصــلــح جميل — والنـــاس للنــاس

وفى هذه الأثناء - والكلام أيضاً لايزال على لسان جليل البندارى - كتب مأمون الشناوى الفصل الأول أو مقدمة الأغنية هكذا:

أنــــســـاك يــــا ســـلام — أنــــســـاك ده كـــلام
أهـو ده الــلــى مـش ممكـن أبـداً — ولا أفــكــر فــيــه أبــداً

ونحن نضيف إلى ما سبق وذكره أستاذنا جليل البندارى.. بخصوص هذه الأغنية.. أن الشاعر الكبير مأمون الشناوى، قد أجرى تعديلات أخرى كثيرة على هذه الأغنية.. وربما كان قد أعاد صياغتها مرة أخرى حتى خرجت بالشكل الذى ارتضته أم كلثوم.. وعانقت كل الأذان بهذه الروعة التى أبدع من خلالها موسيقاها بليغ حمدى.

***

وبعد نجاح «أنساك يا سلام» كتب مأمون الشناوى رائعته الثانية لام كلثوم وهى أغنية «كل ليلة وكل يوم» من ألحان بليغ حمدى أيضاً الذى وجه نفسه وموسيقاه مع كلمات مأمون الشناوى . وتقول مقدمة هذه الأغنية :

كل ليلة وكل يوم أسهر لبكره ... فى انتظارك يا حبيبى
فكرى طول الليل فى ليلك والنهار ... كله فى نهارك يا حبيبى
ياترى يا وحشنى بتفكر فى مين ... عامل إيه الشوق معاك

عامل إيه فيك الحنين

ودون الدخول فى تفاصيل البحث عما أجرته أم كلثوم من تعديلات .. نكاد نجزم أن هذه الأغنية أيضاً قد خضعت لمشرط أم كلثوم.. من حيث الشطب والتعديل والتبديل .. ولكن للأسف لم نعثر على هذه التعديلات التى كثيراً ما يخفيها الشاعر ولايتحدث عنها إلا للأصدقاء المقربين!

***

وفى عام١٩٦٥ .. تغنت أم كلثوم بثالث أعمال مأمون الشناوى وهى أغنية «بعيد عنك حياتى عذاب» وهى من تلحين بليغ حمدى أيضاً..

وبعد هذا التاريخ بخمس سنوات غنت أم كلثوم آخر روائع مأمون الشناوى.. ففى عام ١٩٧٠ وبالضبط فى الحفل الذى أقامته يوم الخميس ٥ مارس فى عام ١٩٧٠ غنت كوكب الشرق أغنية ..«ودارت الأيام» من تلحين الموسيقار محمد عبد الوهاب .

وفى هذه الأغنية يقول «مأمون الشناوى » من خلال صوت أم كلثوم.

ودارت الأيام ومرت الأيام ... مابين بعاد وخصام
وقابلته نسيت إنى خاصمته ... ونسيت الليل إللى سهرته
وسامحت عذاب قلبى وحيرته ... ما أعرفش إزاى أنا كلمته
ماأقدرش على بعد حبيبى ... أنا ليّه مين اللى حبيبى
قابلنى والأشواق فى عينيه ... سلم وخد إيدى فى إيديه
وهمس لى قاللى الحق عليه ... نسيت ساعتها بعدنا ليه
فين دموع عينى اللى مانامت ليالى ... بابتسامه من عيونه نساها لى

أمــر عـــذاب وأحـلـــى عـــذاب ... عـــذاب الحـــب لـــلأحـــبـــاب
مـا قـدرش أصـبـر يـوم عـلـى بـعـده ... دا الـصـبـر عـايـز صـبـر لـوحـده
مـا قـدرش عـلـى بـعـد حـبـيـبـى ... أنـا لـيـه مـيـن إلا حـبـيـبـى
وصـفـوا لـى الـصـبر لـقـيـتـه خـيـال ... وكـلام فـى الحـب يـا دوب يـنـقـال
أهـرب مـن قـلـبـى أروح عـلـى فـيـن ... لـيـالـيـنـا الحـلـوة فـى كـل مـكـان
مـلـيـنـاهـا حـب إحـنـا الاثـنـيـن ... ومـلـيـنـا الـدنـيـا أمـل وحـنـان
عـيـنـى ع الـعـاشـقـيـن ... حيارى مظلومين ع الصبر مش قادرين
مـا أقـدرش أصـبـر يـوم عـلـى بـعـده ... دا الـصـبـر عـايـز صـبـر لـوحـده
مـا أقـدرش عـلـى بـعـد حـبـيـبـى ... أنـا لـيـه مـيـن إلا حـبـيـبـى

ودارت الأيام...... ومرت الأيام

وهـل الـفـجـر بـعـد الـهـجـر ... بـلـونـه الـوردى بـيـصـبـح
ونـور الـصـبـح صـحـى الـفـرح ... وقـال لـلـحـب قـوم نـفـرح
مـن فـرحـتـى تـهـت مع الـفـرحـة ... مـن فـرحـتـى لا بـنـام ولا بـصـحـى
ولـقـيـتـنـى مـعـاه بـعـيـش ... فـى ربـيـع مـفـيـش كـده
بـيـن شـوق مـا يـنـتـهـيـش ... وشـوق تـانـى إبـتـدا
مـا أقـدرش أصـبـر يـوم عـلـى بـعـده ... دا الـصـبـر عـايـز صـبـر لـوحـده
مـا أقـدرش عـلـى بـعـد حـبـيـبـى ... أنـا لـيـه مـيـن إلا حـبـيـبـى

***

ولاشك أن كلمات رقيقة كالتالى مرت علينا من قبل .. إنما تدل دلالة واضحة على أننا نتعامل مع شاعر أجاد فن الكلمة بعدما أجاد من قبل فنون أخرى كان على رأسها الفن الصحفى الذى مارسه من قبل فن الشعر .

وعلى فكرة فقد بدأ شاعرنا مأمون الشناوى حياته الفنية شاعراً وزجالاً . ثم كتب أيضاً الأغنية الفصيحة . وقد بلغ إنتاجه فى هذا الميدان الحيوى أكثر من ألف أغنية ماعدا ذلك النشيد الذى كتبه لمحمد عبدالوهاب فى عام ١٩٤٠ .وهو «نشيد الجهاد» ، ذلك النشيد الذى كتبه بالفصحى .

وحين نفتح كتاب حياة هذا الشاعر الكبير لنقف على بعض ماجاء فيه من لقطات سواء عن الحياة أو الموت.. نعرف أن مأمون الشناوى ولد فى ٢٨ يناير عام ١٩١٤ .. واسمه بالكامل محمد مأمون الشناوى . وكان الميلاد فى حى السيالة بالإسكندرية وهو الحى نفسه الذى ولد فيه من قبل الزجال العظيم بيرم التونسى .

بدأ مأمون الشناوى حياته العملية صحفياً فى مجلة روزاليوسف فى عام ١٩٣٦ وظل بها حتى عام ١٩٣٨ . بعدها انتقل للعمل صحفيًا بمجلة أخر ساعة من عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٦٠ عندما انتقل إلى جريدة أخبار اليوم ثم إلى جريدة الجمهورية التى ظل يعمل بهاحتى تفرغ لتأليف الأغانى فى عام ١٩٦٢ .

كتب مأمون الشناوى كلمات أكثر من ألف أغنية للعديد من المطربين من أمثال محمد عبدالوهاب ونجاةالصغيرة وفايزة أحمد وعبدالحليم حافظ وآخرين، وكان قد بدأ تعامله مع شعر الأغانى منذ شبابه الأول حين غنى له المطرب محمد صادق.. بعد ماكتب ٥ أغانى فى فيلم «عصافير الجنة» وكلمات أغانى فيلم «يوم سعيد،» وغيره من الأفلام الغنائية والاستعراضية ، وقد رحل عن عالمنا فى عام ١٩٩٤ ، بعد رحلة قصيرة مع المرض! وكان عمره آنذاك يناهز الثمانين عاماً.

٥ أحمد شفيق كامل

إنت عمرى وأمل حياتى

يكفى هذا الشاعر فخراً أنه كتب للأغنية العربية والوطنية أشهر ما تغنى به كبار المطربين المصريين والعرب، وعلى رأسهم كل من محمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، وآخرين..

وكلنا بطبيعة الحال لا يزال يتذكر تلك الأغنية الوطنية أو تلك الأنشودة الرائعة التى تغنت بها كل الشعوب العربية فى حينها، ونقصد بها أغنية «وطنى الأكبر»!

وكذلك لا زلنا نتذكر لهذا الشاعر الكبير أحمد شفيق كامل أغنية «خلى السلاح صاحى» وأغنية «مطالب شعب» والتى عبر من خلالها عن آمال وطموحات شعب تمسك بأعمال قائده حين وقف وراءه بعدما أعلن عن تأميم قناة السويس فى عام ١٩٥٦!

كما يكفى الشاعر الكبير أحمد شفيق كامل فخراً.. أنه صاحب إحدى العلامات المضيئة فى حياة سيدة القصيدة العربية أم كلثوم.. حيث تحقق على يديه ومن خلال كلماته ذلك اللقاء التاريخى الذى انتظرناه عشرات السنين بين موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وسيدة الغناء العربى أم كلثوم.. وقد جمع بينهما لقاء السحاب فى عام ١٩٦٤.. عندما تغنت أم كلثوم بكلمات أغنية «إنت عمرى»!

وبصرف النظر عما قيل بشأن تحقيق هذه الخطوة.. سواء بشأن تدخل الرئيس جمال عبد الناصر لإتمامها كما أشيع أو غير ذلك.. فقد تم فعلاً ذلك التعاون الفنى الجبار بين عملاقين أحدهما فى الموسيقى والآخر فى الغناء، وكان مسرح العمليات على حد تعبير رجال القوات المسلحة هو حنجرة أم كلثوم التى أبدعت أغنية «أنت عمرى» كما فتحت الباب على مصراعيه لمزيد من التعاون بين عبد الوهاب وأم كلثوم سواء فى مجال الأغنية العاطفية والوطنية!

ويعتبر الشاعر الغنائى أحمد شفيق كامل من الشعراء القلائل الذين لا يفرطون بسهولة فى كلمات أغنياتهم.. وبالتالى فقد ارتطم بعدة مواجهات مع أم كلثوم عندما

كانت تريد تغيير بعض الكلمات.. وهو فى ذلك يشبه إلى حد بعيد شاعرنا الراحل مأمون الشناوى الذى تسبب أداؤه التشبثى بخصوص تغيير كلمات أغانيه فى تأخير تعامله مع أم كلثوم عشرات السنين، ولقد سبق لنا أن بينا ذلك عندما تحدثنا من قبل عن مأمون الشناوى كشاعر من شعراء أم كلثوم!

أما بخصوص تعامل الشاعر أحمد شفيق كامل مع أم كلثوم فقد غنت له أربع أغنيات فى فترة أقل من عشر سنوات!! .. الأغنية الأولى «إنت عمرى» فى عام ١٩٦٤، والثانية فى عام ١٩٦٥، وهى أغنية «أمل حياتى» ، وبعد هذا التاريخ بست سنوات عادت أم كلثوم لتغنى لأحمد شفيق كامل أغنيته الثالثة «الحب كله» من تلحين بليغ حمدى الذى خالف بذلك ما كانت تنوى عليه أم كلثوم من تخصيص موسيقى محمد عبد الوهاب لكلمات أحمد شفيق كامل. ولكنها سرعان ما عادت إلى ما عزمت عليه من قبل فتم اللقاء الثالث بين عبد الوهاب وأحمد شفيق كامل واللقاء الرابع لأم كلثوم مع كلمات أغنية «ليلة حب».

***

ونظراً لما تحتله أغنية «إنت عمرى» من مكانة عالية سواء فى قلوبنا أو فى مسيرة أم كلثوم الفنية. فقد فضلنا أن نسوق كلماتها، مع البحث عما كان قد أصابها من تغيير رغم أنف الشاعر!.

وتقول كلمات هذه الأغنية:

رجعونى عنيك لأيامى اللى راحوا ... علمونى أندم على الماضى وجراحه
اللى شفته قبل ماتشوفك عينيه ... عمر ضايع يحسبوه إزاى علىّ

إنت عمرى اللى ابتدى بنورك صباحه

قد إيه من عمرى قبلك راح وعدّى ... يا حبيبى قد إيه من عمرى راح
ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة ... ولا داق فى الدنيا غير طعم الجراح
ابتديت دلوقتى بس أحب عمرى ... ابتديت دلوقتى أخاف لا العمر يجرى
كل فرحة اشتاقها من قبلك خيالى ... التقاها فى نور عينيك قلبى وفكرى
يا حياة قلبى يا أغلى من حياتى ... ليه ما قابلنيش هواك يا حبيبى بدرى
اللى شفته قبل ما تشوفك عينيه ... عمر ضايع يحسبوه إزاى علىّ

الليالى الحلوة والشوق والمحبة | من زمان والقلب شايلهم عشانك
دوق معايا الحب دوق حبة بحبة | من حنان قلبى اللى طال شوقه لحنانك
هات عنيك تسرح فى دنيتهم عينيه | هات إيديك ترتاح للمستهم إيديا
يا حبيبى تعالى وكفاية اللى فاتنا | هو فاتنا يا حبيب الروح شوية
اللى شوفته قبل ما تشوفك عينيه | عمر ضايع يحسبوه إزاى على

إنت عمرى اللى ابتدى بنورك صباحه

يا أغلى من أيامى | يا أحلى من أحلامى
خدنى لحنانك خدنى | عن الوجود وابعدنى
بعيد بعيد أنا وانت | بعيد بعيد وحدينا
عالحب تصحى أيامنا | ع الشوق تنام ليالينا
صالحت بيك أيامى | سامحت بيك الزمن
نستنى بيك آلامى | ونسيت معاك الشجن
رجعونى عنيك لأيامى اللى راحوا | علمونى أندم على الماضى وجراحه
اللى شفته قبل ما تشوفك عينيه | عمر ضايع يحسبوه إزاى على

إنت عمرى اللى ابتدى بنورك صباحه

وقد شدت أم كلثوم برائعة أحمد شفيق كامل يوم الخميس ٥ فبراير عام ١٩٦٤ .. وحضر الحفل جميع رجال الحكومة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر.

وفى حوار صحفى نُشر مع الشاعر أحمد شفيق كامل فى عام ١٩٩٩ .. أى بعد مرور أكثر من خمسة وعشرين عاماً على ظهور الأغنية بصوت أم كلثوم تحدث الشاعر عن ذكرياته وعن أول لقاء له مع أم كلثوم وكيف قبل على مضض ما طلبته أم كلثوم من تغييرات طفيفة على كلمات أغنيته الأولى «إنت عمرى» !

قال أحمد شفيق كامل عن هذه الذكريات :

«فى بداية علاقتى بأم كلثوم سمعت عن تغييرها فى كلام الشعراء الذى تغنيه، وكنت متأكداً من هذه المشكلة وأنها سوف تواجهنى، فاستعنت بالله على مواجهتها رغم علمى بقدر نفسى جيداً ...، وكانت أغنية «إنت عمرى» التى اشتهرت بلقاء السحاب لأنها أول عمل يجمع بين كوكب الشرق ومحمد عبد الوهاب، وأذكر أن مطلع الأغنية كان :

شوقونى عنيك لأيامى اللى راحوا

فطلبت أم كلثوم تغييرها إلى: «رجعونى عنيك لأيامى اللى راحوا» وكان هناك مقطع آخر يقول: «من حنان قلبى اللى بيشابى حنانك» فغيرته إلى: «من حنان قلبى اللى طال شوقه لحنانك»[1].

***

وفى عام ١٩٦٥، أى بعد عام واحد من أغنية «إنت عمرى» قدم أحمد شفيق كامل أغنيته الثانية «أمل حياتى» .. والتى لحنها أيضاً محمد عبد الوهاب:

وهذه الأغنية تقول مطلعها:

أمل حياتى يا حب غالى ما ينتسيش
يا أغلى غنوة سمعها قلبى ولا تتنسيش
خد عمرى كله بس النهاردة خلينى أعيش

خلينى جنبك .. فى حضن قلبك
وسيبنى أحلم .. يا ريت زمانى .. ما يصحنيش
أمل حياتى .. عينيه .. يا أغلى منى علىّ

وهى أغنية طويلة ولم تغير فيها أم كلثوم كلمة واحدة وفق ما أكده الشاعر أحمد شفيق كامل حين قال: «وفى اللقاء الثانى معها من خلال أغنية «أمل حياتى» قلت لها لو تكرمت لابد أن يكون عندك ثقة فيما أكتب فأنا حريص جداً على العمل الذى يقدم «وبردون» التخصص فى الكلمة، تخصصى أنا، فأعطنى الثقة وجربينى كما فعلت فى «إنت عمرى» وبالفعل لم تكن هناك كلمة زائدة أو ناقصة فى أمل حياتى».

***

وفى عام ١٩٧١ أسندت أم كلثوم الأغنية الثالثة التى ألفها الشاعر أحمد شفيق كامل بعنوان «الحب كله» إلى الملحن الجديد آنذاك بليغ حمدى. وقد غنتها أم كلثوم فى الحفل الذى أقيم مساء الخميس الموافق ٧ يناير عام ١٩٧١.

---

(١) أخبار النجوم - ١١ ديسمبر ١٩١٩.

ويقول الشاعر أحمد شفيق كامل فى مطلع هذه الأغنية:

الحب كله حبيته فيك.. الحب كله وزمانى كله أنا عشته لبك زمانى كله
حبيبى قول للدنيا معايا ولكل قلب .. بدقته حس
يا دنيا حبى .. وحبى .. وحبى والعمر هو الحب.وبس
واسقينى وأملا واسقينى تانى مر الحب .. منك .. من نور زمانى
اسقينى باللى من يوم ما شفتك حسيت كأنى اتخلقت تانى

ولقد شهدت هذه الأغنية أيضًا اعتراضات طفيفة من جانب أم كلثوم والتى سرعان ما واجهها الشاعر أحمد شفيق كامل .. فقد اعترضت سيدة القصيدة العربية على شطر من هذه الأغنية والذى يقول فيه أحمد شفيق كامل:

إنت بالنسبة لى روحى ونور حياتى

يا حبيبى إيه أنا بالنسبة لك

فتم تغييره إلى:

إنت روحى وكل عمرى ونور حياتى

يا حياتى إيه أنا بالنسبة لك

كما اعترضت أم كلثوم على ألفاظ البيت الذى سبق هذا البيت والذى قال فيه الشاعر:

الهوى العطشان فى قلبى بيندهلك

يا أرق من نسمة وأرق من ملك

ولولا تدخل الدكتورحسن الحفناوى الذى احتكم إليه الشاعر لتغير هذا البيت أيضاً!!

***

وكانت أغنية «ليلة حب» آخر ما غنت أم كلثوم لشاعرنا أحمد شفيق كامل، وهى الأغنية التى لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب وغنتها أم كلثوم فى موسم عام ١٩٧٢ !

وهى التى يقول مطلعها:

ياللى عمرك ما خلفت ميعاد فى عمرك

الليلة دى غبت ليه .. حيرنى أمرك

أخـــــــرك إيـــــــه عـــــــنـــــــى

مـــســتـحـيــل الــدنـيـا عـنـى .. تــأخــرك

بـــــالأمـــــل مـــــســـتـــنـــى

سـهــران .. تجيـنـى.. يـا حـيـاتـى .. واسـهـرك

تعالى .. حب العمر كله.. نخلصه حب الليلة دى

تعالى .. شوق العمر كله .. تعيشه م القلب.. الليلة دى

مـا تـخـلـيـش أشـواقـنـا لـبـكـرة

مـا تـخـلـيـش فـرحـتـنـا لـبـكـرة

كـأن أول لـيـلـة لـلـحـب .. الـلـيـلـة دى!

ويبدو أن أم كلثوم قد استسلمت لطلبات الشاعر أحمد شفيق كامل فلم تصر هذه المرة على إحداث أى نوع من التغيير ! وربما فى ذلك قد أخذت بوجهة نظره باعتباره صاحب الكلمات، أو ربما أعطته هذه المرة الفرصة لكى يتحمل وحده مسئولية الأغنية بلا تعديل.. وبالتالى فقد خرجت أغنية «ليلة حب» خالية من أية تعديلات! وعلى غير العادة!!

***

واستكمالاً لذلك المشوار الذى قطعناه سوياً فوق هذه الأوراق، كان علينا أن نشير إلى لمحات مضيئة فى حياة الشاعر أحمد شفيق كامل منذ ميلاده وكيفية احترافه الشعر وكتابة الأغنية .

وكعادة الشعراء المشهورين، فقد حفلت قصص حياتهم بالعديد من ألوان التكريم فى معظم الكتابات الصحفية والنقدية والتى كانت تتواكب مع إذاعة كل عمل جديد، وهذا الشاعر المجدد ولد فى ٤ نوفمبر من عام ١٩٢٣ وتخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة فى عام ١٩٤٨ .. ثم حصل على دبلوم معهد الضرائب عام ١٩٥١ ، ولذلك كان أول عمل له فى مصلحة الضرائب، حيث استمر به ثمانى سنوات، ثم التحق بالعمل فى مكتب الدكتور عبد المنعم القيسونى فى أيام الوحدة حتى عام ١٩٦٦ .

كما التحق بعد ذلك بسلك التمثيل التجارى، فعمل مستشاراً تجاريًا لسفارتنا بالسعودية من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٢ ، ثم من عام ١٩٧٥ حتى سنة ١٩٧٨ ، وانتقل إلى أنقرة واسطنبول رئيساً للمكتبين التجاريين هناك.. إلى أن عاد نهائياً فى أوائل عام ١٩٨٤ ، ثم أحيل إلى المعاش، واستقر بمنزله ٤ شارع الدكتور حندوسة أمام قصر العينى الجديد بجاردن سيتى يكتب فيه أشعاره وأغانيه..

وأخذ أحمد شفيق كامل يبرز كشاعر للوطنيات، فكتب أول ما كتب نشيد «قولوا لمصر تغنى معايا فى عيد تحريرها» ثم كتب «الوطن الأكبر» كما كتب أغنية «حكاية شعب» لكى تغنى فى عيد وضع حجر الأساس للسد العالى عام١٩٦٠ .

٦ عبد الفتاح مصطفى

رائد الأغنية الوطنية والعاطفية

الشاعر الراحل الكبير عبد الفتاح مصطفى شأنه شأن الكثير من الشعراء المصريين من الذين ارتبطوا فى الأذهان.. بالأغنية المصرية الحديثة.. من حيث أن بدايته مع الشعر كانت مع الفصحى، وقد كتب بها العشرات من القصائد خاصة فى بداية مشواره الأدبى .. حتى أن إحدى هذه القصائد التى نشرها فى الصحف فى عام ١٩٤٧، وهو لا يزال طالبًا بالمرحلة الثانوية.. كانت سبيله للتعامل مع الإذاعة من خلال المطربين والملحنين!

ومما يحكيه هو فى هذا السياق.. أن قصيدته الطويلة التى نشرها آنذاك، كان قد قرأها أحد المسئولين بالإذاعة، فاقترح عليه أن يبعثها إلى المسئولين بهذا الجهاز الإعلامى الكبير فاستدعوه وطلبوا منه كتابة مجموعة من القصائد، تم اختيار إحداها ليلحنها له الموسيقار محمد عبد الوهاب، وكانت بعنوان: «عروس النيل».

ولم يكتف عبد الفتاح مصطفى آنذاك بكتابة هذه النوعية من القصائد، بل كتب للإذاعة العديد من الصور الغنائية المشهورة مثل أوبريت «عوف الأصيل» و «عذراء الربيع».

ولا شك أن كل هذه التجارب الإبداعية لم تكن ببعيدة عن فكر فنانة عظيمة مثل أم كلثوم التى بدأت تتجه أنظارها إلى كلمات أغنياته وبالتالى بحثت جديًا فى التعامل معه، ولقد أثمر هذا التعامل عن خروج أجمل اثنتى عشرة أغنية وطنية وعاطفية ألفها عبدالفتاح مصطفى لأم كلثوم .. فى الفترة من يوليو عام ١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦٧ ..

والملاحظ أن تعامل أم كلثوم مع كلمات هذا الشاعر الكبير قد بدأت مع الأغنية الوطنية عندما غنت له أغنيته أو نشيد «إنا فدائيون» والتى كتبها عبد الفتاح مصطفى باللغة العربية.. كما انتهت كذلك بالأغنية الوطنية عندما غنت له أغنية «طوف وشوف» فى عام ١٩٦٧.

إنها قصة شاعر مصرى حديث.. جرب ألوانًا شتى من الأدب.. مع أنه قد اشتهر فى

مجال الأغنية، سواء بالنسبة لما كتبه لأم كلثوم أو لغيرها من الفنانين، رغم أن هذه الشهرة قد ازدادت مساحتها عندما عرفت كلمات أغانيه طريقها الصحيح نحو حنجرة سيدة القصيدة العربية.

ففي شهر يوليو من عام ١٩٥٧ غنت أم كلثوم نشيد «إنا فدائيون» من ألحان الموسيقار بليغ حمدى والذى كان فى هذه الفترة يتحسس هو الآخر طريقه الفنى .. بعدما لحن لغير أم كلثوم .. لقد أراد بذلك أن يدخل بنفسه فى دائرة الشهرة. وتصادف أن يدخل معه فى التوقيت نفسه الشاعر عبد الفتاح مصطفى، وكانت قصيدة أو نشيد «إنا فدائيون» هى الأرض الخصبة التى التقيا فوقها.. محرزين بذلك صك الشهرة من خلال صوت أم كلثوم!

وتقول كلمات هذا النشيد:

كشف النقاب عن الوجوه الغادرة
وحقيقة الشيطان بانت سافرة
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون
سقط النقاب عن الوجوه الغادرة
فلنضرب بكل كف قادرة
ولنرمين بكل روح هادرة
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون
لا لا تفاهم.. لا هوادة فى القتال
لا ولا بترول.. بعده ولا قنال
تسعون مليونًا.. زحفنا للنضال
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون
لا يا عدوى لا نصبراً لعدوى
لا لن ترى بحرى ولا أرضى ولا جوى
لا بل سأمضى وانتصاراتى تدوى
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون

ويشير كتاب أغنيات أم كلثوم فى الهامش أن كلمة «كشف النقاب» كانت فى الأصل كما كتبها عبد الفتاح مصطفى كلمة «سقط النقاب»!

***

وبعد أن شدت أم كلثوم بهذا النشيد .. رجعت واختارت مرة أخرى أغنية وطنية من تأليف شاعرنا الراحل عبد الفتاح مصطفى .. وهى بعنوان: «منصورة يا ثورة أحرار» من تلحين رياض السنباطى..

ويبدو أن هذه الأغنية قد جاءت فى سياق اهتمام أم كلثوم بالجانب الوطنى الذى قررت سلوكه بعد ثورة يوليو، وفى ضوء المحن العديدة التى مرت بها مصر بعد قيام هذه الثورة!.

وتقول كلمات هذه الأغنية الوطنية:

منصورة يا ثورة أحرار   منصورة ع الاستعمار
مهما دبر ربنا أكبر   ولا تحرقش المؤمن نار
منصورة يا ثورة أحرار
الاستعمار له ألف خيانة   دبرها والمولى حمانا
نلنا آمالنا وخدنا قنالنا   واتوحدنا وسوريا معانا
وآدى طريقنا نور ونهار
منصورة يا ثورة أحرار
ثورة يوليو ثورة قوية   قوتها روحها العربية
من أيامنا من أحلامنا   من أشواقنا للحرية
وآدى طريقنا نور ونهار
منصورة يا ثورة أحرار
منصورة ويحيها الناصر   اللى وهبنا عبد الناصر
جنب زعيمنا نحمى غريمنا   مهما يهاجم ولا يحاصر
يعلا الحق ولا ينهار
منصورة يا ثورة أحرار

وواضح من سياق كلمات هذه الأغنية.. أن الشاعر أراد بها أن يشارك هو الآخر زملائه من الشعراء ومن الفنانين فى زفة تحية الثورة وزعيمها.. حفاظًا على البقاء وعلى الاستمرارية أيضاً!

***

ويتوالى فيض هذا الشاعر الذى أراد بكلماته أن يعبر عما كانت تمر به مصر خلال فترة الخمسينيات، حيث وجد فى حنجرة أم كلثوم خير موصل لهذه المعانى التى فرضت نفسها على الجميع.. وبات الناس يرددونها فى الشوارع بمناسبة، وبغير مناسبة، فقدم لأم كلثوم أغنيته الوطنية الثالثة.. «ثوار» من تلحين رياض السنباطى، وكانت من أشهر ما غنته أم كلثوم فى سلسلة أغنياتها الوطنية على الإطلاق.. حتى اعتقد الناس وبعض المؤرخين والنقاد أنها من تأليف الشاعر صلاح جاهين !!

ولقد قرأت ذلك فى أكثر من كتاب.. وربما خلطوا فى ذلك بين ما كان يقدمه صلاح جاهين من كلمات مشابهة لكل من أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وبين ما كان يكتبه شاعرنا عبد الفتاح مصطفى.

ويقول مطلع هذه الأغنية:

ثوار.. ولآخر مدى ثوار مطرح ما نمشى بنفتح النوار
ننهض فى كل صباح بحلم جديد ثوار نعيدك يا انتصار ونزيد

وطول ما إيد شعب العرب فى الإيد
الثورة قايمة والكفاح دوار!

وبعد أن تغنت أم كلثوم بكلمات الشاعر عبد الفتاح مصطفى .. خاصة أغنيته المشهورة «ثوار» واصلت مشوارها الفنى معه .. على درب الأغنية الوطنية نفسه.. فغنت له بعد ذلك خمس أغنيات على قدر عال من الأهمية فنياً ووطنيًا! وهذه الأغنيات بالترتيب الزمنى هى: «الزعيم والثورة» فى عام ١٩٦٣ من تلحين رياض السنباطى - «يا صوت بلدنا» فى عام ١٩٦٤ من تلحين محمد الموجى - «يا حبنا الكبير» فى عام ٩٦٥- من ألحان رياض السنباطى ، وكذلك أغنية « يا سلام على الأمة» فى عام ١٩٦٥ أيضاً.

ويختتم عبد الفتاح مصطفى إنتاجه المتميز فى مجال الأغنية الوطنية، فقدم لأم كلثوم

أغنيته المتميزة أيضًا «طوف بجنة ربنا» . فى عام ١٩٦٧ ، وهى من تلحين رياض السنباطى، ويكون بذلك العدد الإجمالى لكل ما غنته أم كلثوم من أشعار عبدالفتاح مصطفى .. خاصة فى مجال الأغنية الوطنية ثمانى أغنيات من أصل ١٢ أغنية هى كل ما غنته أم كلثوم لعبد الفتاح مصطفى على مدى عشر سنوات..

***

وعلى الرغم من أن سيدة القصيدة العربية قد تغنت بكلمات هذا الشاعر فى مجال الأغنية الوطنية خلال سنوات ١٩٥٧ ,١٩٥٨ ، ١٩٦١ . ١٩٦٣ و١٩٦٤ و١٩٦٥ .. إلا أنها لم تنس أبداً أنه كان من الشعراء المصريين المعاصرين الذين كان لهم با ع طويل ودراية واسعة بالأحاسيس الإنسانية والمشاعر العاطفية الفياضة..

وقد تجلى ذلك بوضوح فى كلمات الأغنيات العاطفية الثلاث والتى كتبها عبد الفتاح مصطفى لأم كلثوم.. وهى أغنية : «لسه فاكر قلبى يديلك أمان» فى عام ١٩٦٣ من ألحان رياض السنباطى والأغنية الشهيرة: «ليلى ونهارى» التى تغنت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٥ ، ورائعته الأخيرة لأم كلثوم «أقول لك إيه عن الشوق يا حبيبى».. فى العام نفسه ومن تلحين رياض السنباطى أيضاً.

***

ولأجل أن نثبت براعة هذا الشاعر الذى أثرى فن الأغنية بأكثر من شكل فنى من أشكالها، خاصة الشكل العاطفى، رأينا من الضرورى أن نسوق نموذجًا واحداً مما كتبه لأم كلثوم، وهى أغنيته الأخيرة «أقول لك إيه» والتى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٥!

وهذه الأغنية تقول كلماتها:

أقول لك إيه عن الشوق يا حبيبى	أقولك إيه ومين غيرك دارى بى
ليالى فى هواك أسهر وافكر	ومهما قلت لك فى القلب أكتر
شوية إنى أقولك يا حبيبى	يا ريت فيه كلمة أكتر من حبيبى

***

أقولك إيه وإيه يوصف هوايا	وأنا فى قلبى كلام مالوش نهاية
دى أجمل كلمة فى الدنيا حبيبى	بقولها لك وبرضه موش كفاية

ماقولش منايه كان حبك
دة أكتر م اللى بتمناه

وم الفرحة وأنا جنبك
باعيش فى كل لحظة حياة

وقلبى نعيمه فى قربك
وانت فرحته ودنياه

وأقول لك إيه
شويه إنى أقولك يا حبيبى

***

يا ريت فيه كلمة أكتر من حبيبى
هواك هو اللى خلى العمر غالى

وبالثانية أحسبه موش بالليالى
واخاف أسرح تفوتنى لحة منك

وم الدنيا اللى أجمل من خيالى
هواك نسى الزمان طبعه

***

وخد منه الأمان لينا
ودارى عننا دمعه

وخلاه مادرى بينا
ونور للأمل شمعه

وطمن بيه ليالينا
وأقول لك إيه

شوية إنى أقولك يا حبيبى
يا ريت فيه كلمة أكتر من حبيبى

***

وعودك فى الخيال غالية على
وأجمل من حقيقة بين إيديا

واصدق كل كلمة قلتها لى
وأكدب فى هواك نفسى وعينيه

يا ريت فيه كلمة أوصف بيها حبك
وأقولها لك ما بين قلبى وقلبك

ما يقدرش الكلام يوصف غرامى
ولا أشواقى فى بعدك وقربك

وأقولك إيه؟!

***

وأمام هذا العطاء المتميز الذى قدمه الشاعر عبد الفتاح مصطفى لفن الشعر بصفة عامة ولفن الأغنية بصفة خاصة بات له علينا حق كبير فى إلقاء بعض الأضواء على قبس من نور حياته التى قضاها فى محراب الأدب مختتمًا رحلته فى عالم التصوف الجميل.

فقد ولد الشاعر عبد الفتاح مصطفى بحى الجمالية بالقاهرة مع مطلع عام ١٩٢٤، ووالده هو الشيخ مصطفى الغمراوى العالم الأزهرى المرموق.. الذى رحل وهو فى سن مبكرة، حيث تولت والدته تربية ابنها الوليد تربية دينية وثقافية..

والتحق الطفل عبد الفتاح مصطفى فى المدارس الحكومية مثل بقية أقرانه، وبعد المرحلة الثانوية التحق بكلية الحقوق التى تخرج منها فى عام ١٩٥٢ ، ومع حصوله على هذا الدبلوم العالى بدأ يتجه إلى الكتابة الدينية ، فكتب مجموعة من القصائد والأغانى الدينية . وقد بدأ مرحلة جديدة فى حياته الأدبية عندما أقنعته سيدة القصيدة العربية أم كلثوم لكى يكتب الأغنية العاطفية .

التحق عبد الفتاح مصطفى للعمل فى بداية حياته رئيساً لمأمورية الشهر العقارى بالقاهرة والجيزة، ثم انتقل بعد ذلك للعمل فى المؤسسة المصرية العامة للإسكان مستشاراً قانونياً .. فى بداية الستينيات.. كما شغل كذلك مهنة التدريس بالجامعة عندما عين أستاذاً زائراً فى كلية الإعلام جامعة القاهرة، وكتب عبد الفتاح مصطفى أولى أعماله الإبداعية وهو فى سن الخامسة عشرة.. وظل عطاؤه الأدبى مستمراً فى العديد من الألوان الأدبية والإذاعية، حتى رحل عن عالمنا فى فجر يوم الجمعة الموافق ١٣ يوليو من عام ١٩٨٤ بمستشفى القلب بإمبابة.

٧ عبد الوهاب محمد

وحب إيه اللي انت جاي تقول عليه؟!

فى مطلع حديث الموسيقار الراحل بليغ حمدى عن أحد لقاءاته الثرية مع أم كلثوم.. أخبرنا عن بداية ذلك التعارف الذى تم بين شاعرنا الراحل عبد الوهاب محمد وأم كلثوم! هذا التعارف الذى أثمر عن عشرات الأعمال الغنائية الجميلة التى كتبها عبد الوهاب محمد.

وما ذكره بليغ حمدى فى الحديث ذاته.. يوضح لنا كيف التقى هذا الشاعر المرهف الأحاسيس بأم كلثوم، وكيف بدأ ذلك اللقاء بأعظم ما غنت أم كلثوم من كلمات عندما قالت: «حب إيه اللى انت جاى تقول عليه»!

ومما ذكره بليغ حمدى فى هذا السياق قوله: «المرحوم محمد فوزى كان من أعز أصدقائى، وقد أنشأ شركة تسجيلات واسطوانات باسم «مصرفون»، وتعاقد مع عدد من المطربين والمطربات لتسجيل إنتاجهم على اسطوانات، وفى مقدمتهم السيدة أم كلثوم!..

وبرغم الصداقة التى تربط بينى وبين محمد فوزى، إلا أنه لم يبلغنى بتعاقده مع أم كلثوم، وفى الوقت نفسه، كان الشاعر عبد الوهاب محمد مهندساً يعمل فى شركة «شل»، وقد أسمعنى أغنية ألفها هى: «حب إيه اللى انت جاى تقول عليه». وأعجبنى كلامها جداً.. فلحنت مطلعها وأخذت أردده فى المجالس التى تضمنى مع عدد من الزملاء الفنانين.. وتصادف فى تلك الأيام أن جاءنى الصديق محمد فوزى ودعانى إلى سهرة فى بيت الدكتور زكى سويدان، وقال لى إن السيدة أم كلثوم ستكون فى الحفلة، وأسرع محمد فوزى يطلب منى أن أسمعها أغنية «حب إيه» وكان المرحوم أنور منسى قد حفظ اللحن جيداً منى فى سهراتنا الخاصة، ولم أتردد، فمضيت لها واستعادت اللحن مرة أخرى ومرتين وثلاثة، وطربت له وسألتنى: لماذا لم أكمل اللحن؟ فأجبتها بأننى لم أجد سبباً للاستعجال.. وهنا طلبت منى أن أفوت عليها بكرة! وهكذا كان».

ولقد حكى بليغ حمدى بقية تفاصيل هذا اللقاء.. الذى انتهى بطلب سيدة القصيدة العربية أن تتعرف كاتب هذه الأبيات..

ومن يومها .. صار بينهما تعاون .. بدأ بأغنية «حب إيه» التى غنتها أم كلثوم فى مطلع عام ١٩٦٠، وانتهى بأغنية «حكم علينا الهوى» فى عام ١٩٧٣.

وكل من اللقاءين الأول والأخير وضع ألحانهما بليغ حمدى مع أن أم كلثوم قد أشركت كل الملحنين التى كانت تتعامل معهم آنذاك فى وضع الألحان لأغانى الشاعرعبد الوهاب محمد.. مما يدل دلالة كبيرة على اقتناعها ببراعته فى صياغة الكلمات خاصة العاطفية منها!

***

معنى ذلك أن فترة التعامل زمنيًا بين كل من عبد الوهاب محمد وأم كلثوم قد امتدت لأكثر من عشر سنوات!.. ولقد أثمر خلالها هذا التعاون ثمانى أغنيات، سبع منها عاطفية وواحدة وطنية بعنوان «قوم بإيمان وبروح وضمير» من تلحين رياض السنباطى..

ولسوف نشير إلى هذه الأغنية بتفاصيل أكثر لما لها من أهمية تاريخية..حيث ارتبطت بحادث الهزيمة الشهير فى عام ١٩٦٧!.

***

وحين نعود للحديث المفصل عن أهم لقاءات شاعرنا الراحل عبد الوهاب محمد مع سيدة القصيدة العربية من خلال كلمات أغنياته الخاصة العاطفية.. كان لابدلنا وأن نتوقف كثيرًا أمام كلمات أغنية «حب إيه» .. نظرًا لكونها علامة بارزة من علامات مسيرة الفن فى حياة أم كلثوم .. سواء من حيث رقة الكلمات أو عبقرية الألحان.. ولسوف نشعر نحن بذلك عندما تقرأ هذه الكلمات .. أو نستمع إليها من صوت كوكب الشرق أم كلثوم..

وتقول كلمات هذه الأغنية:

حب إيه اللى انت جاى تقول عليه إنت عارف قبلا معنى الحب إيه؟

لما تتكلم عليه

إنت ما بينك وبين الحب دنيا دنيا ما تطولها ولا حتى بخيالك

أما نفس الحب عندى حاجة تانية | حاجة أغلى من حياتى ومن جمالك
إنت فين والحب فين | ظالمه ليه دايمًا معاك
ده انت لو حبيت يومين | كان هواك خلاك ملاك
ليه بتتجنى كده ع الحب ليه | إنت عارف قبلا معنى الحب إيه

لما تتكلم عليه
حب إيه اللى انت جاى تقول عليه

كنت باخلص لك فى حبى بكل قلبى | وانت بتخون الوداد من كل قلبك..
بعت ودى.. بعت حبى .. بعت قلبى | بعتنى وفاكرنى ليه اشتاق لقربك
إنت فين والحب فين | ظالمه ليه دايمًا معاك
ده انت لو حبيت يومين | كان هواك خلاك ملاك
ليه بتتجنى كده ع الحب ليه | إنت عارف قبلا معنى الحب إيه

لما تتكلم عليه
حب إيه اللى انت جاى تقول عليه

***

ياما طول عمرى رضيت منك أسية | لما داب أملى وأنا بتمنى ودك
كل شكوى كنت بتشوفها فى عنيه | وانت فى قربك ناسينى زى بعدك
إنت فين والحب فين | ظالمه ليه دايما معاك
ده انت لو حبيت يومين | كان هواك خلاك ملاك
إنت عارف قبلا معنى الحب ريه | لما تتكلم عليه؟

حب إيه اللى انت جاى تقول عليه

***

وقد غنت أم كلثوم هذه الأغنية يوم الخميس أول ديسمبر من عام ١٩٦٠ .. ونظراً لما تركته من تأثير طيب على جماهيرها العريضة .. فقد طلبت من ملحنها الجديد آنذاك أن يكتب لها الشاعر عبد الوهاب محمد المزيد من إنتاجه وليس بالضرورة أن يلحنه بليغ حمدى!.

وفعلاً وخلال عام أو أكثر .. قدم عبد الوهاب محمد لسيدة القصيدة العربية أغنيته الثانية «حسيبك للزمن» وقد تصدى لوضع ألحانها الموسيقار رياض السنباطى.

وهذه الأغنية يقول مطلعها:

ح اسيبك للزمن — لا عتاب ولا شجن
تقاسى مر الندم — وتعرف الألم
تشكى مش ح اسأل عليك — تبكى مش ح رحم عنيك
ياللى مرحمتش عنيه — لما كان قلبى فى إيديك

ثم عاودت أم كلثوم تعاونها مع الثنائى عبد الوهاب محمد شاعراً وبليغ حمدى ملحناً فى رائعة عبد الوهاب محمد الثالثة «أنا وانت ظلمنا ا لحب» وقد غنتها أم كلثوم تقريباً فى نفس العام الذى غنت فيه أغنيتها «ح سيبك للزمن» أى فى عام ١٩٦٢ أيضاً.

وكلمات الأغنية الجديدة يقول مطلعها:

أنا وانت.. ظلمنا الحب — ظلمنا الحب بايدينا
وجينا عليه وجرحناه — لحد ما داب حوالينا
ما حدش منا كان عايز — يكون أرحم من التانى

ولا يضحى عن التانى
وضاع الحب.. ما بين عند قلب وقلب
ضاع الحب .. ودلوقت لا أنا بانساه
ولا بتنساه .. ولا بنلقاه أنا وانت

***

وظل عطاء الشاعر عبد الوهاب محمد متألقًا.. ومتجاوبًا مع الحنجرة الذهبية لسيدة القصيدة العربية .. حتى دخل الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب دائرة الاهتمام بكلمات شاعرنا الراحل.. إذ اختار أن يلحن له رائعة جديدة بعنوان «فكرونى» ، وكان ذلك فى عام ١٩٦٦ ، مواصلاً فيها إبداعاته اللغوية.. ومستنداً على عود موسيقار الأجيال.. وبتعبير صوت كوكب الشرق.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق من قبل الإشارة لبقية مسيرة هذا الشاعر مع صوت أم كلثوم.. أن العديد مما كتبه قد تعرض للعديد من التعديل والتبديل، بل وكان من أكثر الشعراء الصاغرين لآراء أم كلثوم فيما كانت تطلبه من تعديلات ، حتى قيل إنه فعلاً كان من أكثر الشعراء تجاوبًا مع متطلبات صوت أم كلثوم .. سواء ما تقترحه هى بنفسها أو ما يقترحه الملحنون أو الأصدقاء!

***

ورغم اجتياز الشاعر عبد الوهاب محمد اختبار الأغنية العاطفية بنجاح غير مسبوق.. وبشهادة الجماهير والخبراء خاصة مع سيدة القصيدة العربية ..إلا أنه قد نجح أيضًا فى مجال الاختبار الوطنى .. عندما طلبوا منه أن يساهم هو الاخر مع زملائه من الشعراء فى رفع المعاناة النفسية التى مر بها الشعب المصرى وزعيمه على إثر هزيمة عام ١٩٦٧ ..

ولقد كتب عبد الوهاب محمد أغنيته الشهيرة «قوم بإيمان» مناشداً عبد الناصر شخصيًا .. لكى يستعيد عافيته التى دمرتها القوات الإسرائيلية على أرض سيناء فى ٥ يونية! وقد تصدى لتلحين هذه الأغنية الموسيقار رياض السنباطى ، وفيها يقول الشاعر عبد الوهاب محمد:

قوم بإيمان وبروح وضمير   دوس على كل الصعب وسير
حق بلادك وحدك عليك   عايز منك سعى كتير

دوس على كل الصعب وسير

أدى لـعـمـلـك جـهـد زيـادة والإخـلاص لـعـمـلـنـا عـبـادة

قـوم بـإيـمـان وبـروح وضـمـيـر دوس عـلـى كـل الـصـعـب وسـيـر

ابـنـى وزود مـن أمـجـادك ابـنـى لـوطـنـك ولأولادك

فـكـر .. إبـحـث .. إزرع .. إصـنـع كـل مـجـاهـد ح يـنـول أمـلـه

ربـنـا مـوش ح يـضـيـع أبـداً أجـر مـكـافـح يـتـقـن عـمـلـه

إخـلـق .. جـدد .. إنـتـج .. صـدر خـلـى بـلادك تـقـوى وتـكـبـر

قـوم بـإيـمـان وبـروح وضـمـيـر دوس عـلـى كـل الـصـعـب وسـيـر

يـاللى بنيت الهرم قبل الزمان بزمان وبنيت لنا فى عصرنا السد فى أسوان

كمل مجد الوطن وابنى كمان وكمان خلى الأمل بالعمل يصبح وجود

وانت مفيش يا بطل معدنك إنسان

قـوم بـإيـمـان وبـروح وضـمـيـر دوس عـلـى كـل الـصـعـب وسـيـر

كـلـنـا جـنـد فـى كـل مـيـدان هـنـا وهـنـاك فـى أى مـكـان

الـزارع ويـا الـصـنـاع أهـل الـعـلـم مـع الـفـنـان

زى مـا لـيـنـا حـقـوق مـشـروعـة نـدى وطـنـا حـقـوقـه كـمـان

***

وعلى أثر ذلك النجاح الذى حققه عبد الوهاب محمد فى مجال الأغنية الوطنية أيضاً ومشاركته الفعالة فى الترويح عما كان جاثماً من هموم فوق الصدور.. بعد هزيمة يونية عام ١٩٦٧ .. قررت أم كلثوم مواصلة التعاون فنياً مع عبد الوهاب محمد. ليس فى مجال الأغنية الوطنية بل التواصل معاً فى مجال الأغنية العاطفية !.

ولذلك نراها قد أسندت تلحين كلمات أغنية عبد الوهاب محمد الجديدة «إسأل روحك» للموسيقار محمد الموجى .. وقد شدت بها أم كلثوم يوم الخميس الموافق أول يناير عام ١٩٧٠ .

وبعد عامين.. أى فى عام ١٩٧٣ .. غنت سيدة القصيدة العربية آخر أغنيات عبد الوهاب محمد .. «حكم علينا الهوى» وقد فضلت هذه المرة أن يلحنها الموسيقار بليغ حمدى الذى بدأ مع كلمات هذا الشاعر منذ أكثر من عشر سنوات.

وتكريماً لذكرى هذا الشاعر نسوق مقطعين فقط من هذه الأغنية .. نظراً لموقعها الجغرافى فوق خريطة أعمال سيدة القصيدة العربية التى كانت هى الأخرى قد قاربت على الرحيل، وقد فارقت دنيانا بعد تاريخ هذه الأغنية بعامين فقط!!

ويقول الشاعر الراحل عبد الوهاب محمد فى مطلع أغنيته الأخيرة لأم كلثوم والتى غنتها بعنوان «حكم علينا الهوى»

حكم علينا الهوى نعشق سوا يا عين
واحنا اللى قبل الهوى شوف كنت فين وأنا فين

وآه يا ليل آه.. ع الوعد والمقسوم
يا ليل يا عينى آه.. ع الوعد والمقسوم

***

لا نخوشه .. لأ .. ولا آه ما بين عيون وقلوب
حكم علينا الهوى نعشق سوا وندوب
صدق اللى قال الهوى فوق الجبين مكتوب

السعد وعد يا عين والاسم نظرة عين
وأنا وانت روح مغرمة كان حظها من السما
واتجمعوا قلبين
وآه يا سلام ع الهوى آه يا سلام سلم
خلانا من قلبنا بالفرحة نتكلم
وآه يا ليلى آه ع الوعد والمقسوم
يا ليل يا عينى آه ع الوعد والمقسوم
لا نخوشه لأ .. ولا آه ما بين عيون وقلوب
حكم علينا الهوى نعشق سوا وندوب
صدق اللى قال الهوى فوق الجبين مكتوب

***

وبعد أن ذاع صيت الشاعر عبد الوهاب محمد .. حيث أخذ المطربون في مصر وفى البلاد العربية يقبلون على كلمات أغانيه، ولما لا .. فهو صاحب الرصيد المحترم من كلمات العاطفة الجياشة التى شدت بها أم كلثوم..

ولقد ظل هذا الشاعر في عطاء أدبى مستمر حتى وفاته المنية فى عام ١٩٩٦ ! عن عمر يناهز السادسة والستين ، تاركًا وراءه رصيداً كبيراً من الأغانى بلغ على حد قول جريدة الأهرام ألف أغنية.

والشاعر عبد الوهاب محمد من مواليد ٧ نوفمبر عام ١٩٣٠ بحى الأزهر بالقاهرة، وكان أبوه من رجال الأزهر.. وكتب عبد الوهاب محمد أول أغنياته فى عام ١٩٥١ وغنتها له الفنانة الراحلة فايزة أحمد وهى أغنية «ما تحبنيش بالشكل ده» .

وكما هو معروف فقد بدأ الشاعر حياته العملية موظفًا بشركة مصر للبترول . وظل بها إلى أن تفرغ لأدب، ولم يتوقف نشاطه عند حدود كتابة الأغنية للمطربين.. بل وشارك فى كتابة أغانى العديد من المسرحيات المشهورة مثل «ريا وسكينة» و«سيدتى الجميلة» والعديد من المسلسلات التليفزيونية.

٨ مرسى جميل عزيز

آخر شعراء أم كلثوم

لعلها المصادفة وحدها، هى التى دبرت أن يكون الشاعر الكبير مرسى جميل عزيز آخر الشعراء الذين تعاملت معهم أم كلثوم من قبل رحيلها فى عام ١٩٧٥ ! وهو بذلك يقف جنبًا إلى جنب مع الشاعر أحمد رامى أول الشعراء الذين تعاملت معهم سيدة القصيدة العربية فى مطلع العشرينيات من القرن العشرين! ونقصد هنا شعراء العصر الحديث.

فقد كتب مرسى جميل عزيز لأم كلثوم ثلاث أغنيات هى «سيرة الحب» فى عام ١٩٦٤ من تلحين الموسيقار الراحل بليغ حمدى .. كما لحن له نفس الموسيقار بقية ما كتبه لأم كلثوم وهما أغنيتى «فات الميعاد» فى عام ١٩٦٧ و«ألف ليلة وليلة» فى عام ١٩٦٩!.

ويقول مجدى العمروسى فى إحدى مقالاته التى نشرها بمجلة الكواكب تحت عنوان «حكايات فنية» عن بداية لقاء مرسى جميل عزيز بأم كلثوم : «طلب الأستاذ بليغ حمدى من الأستاذ مرسى جميل عزيز أن يكتب له أغنية لكى تغنيها كوكب الشرق أم كلثوم فكتب مرسى أغنية «سيرة الحب» وكان مطلعها من أجمل ما يكون ووافقت عليه أم كلثوم فعلاً.. وقد لحنها بليغ حمدى» [١].

وتقول كلمات هذه الأغنية:

طول عمرى باخاف م الحب   وسيرة الحب   وظلم الحب لكل اصحابه
واعرف حكايات مليانة آهات   ودموع وأنين   والعاشقين دابوا ما تابوا
طول عمرى باقول لا أنا قد الشوق   وليالى الشوق   ولا قلبى قد عذابه
وقابلتك إنت لقيتك   بتغير كل حياتى
ما اعرفش إزاى حبيتك   ما اعرفش إزاى يا حياتى
من همسة حب لقيتنى باحب   وأدوب فى الحب   وصبح وليل على بابه

---

(١) الكواكب فى ١٩٩٩/٧/١٣.

فات من عمرى سنين وسنين شفت كتير وقليل عاشقين
اللى بيشكى حاله لحاله واللى بيبكى على مواله
أهل الحب صحيح مساكين

ياما الحب نده على قلبى ما ردش قلبى جواب
ياما الشوق حاول يحايلنى وأقول له روح يا عذاب
ياما عيون شغلونى لكن ولا شغلونى
إلا عيونك إنت دول بس اللى خدونى

وبحبك أمرونى

أمرونى أحب لقيتنى باحب .. وأدوب فى الحب .. وصبح وليل على بابه

ياللى ظلمتوا الحب وقلتوا وعدتوا عليه مش عارف إيه
العيب فيكم يا ف حبايبكم أما الحب يا روحى عليه
فى الدنيا ما فيش أبدا أحلى من الحب
نتعب نغلب نشتكى منه لكن بنحب
يا سلام ع الحب وتنهيده فى وصال وفراق
وشموع الشوق لما يقيدوا ليل المشتاق
يا سلام ع الدنيا وحلاوتها فى عين العشاق

وأنا خدنى الحب لقيتينى باحب.. وآدوب فى الحب.. وصبح وليل على بابه

ياللى مليت بالحب حياتى أهدى حياتى إليك
روحى.. قلبى .. عقلى .. حبى كلى ملك إيديك
صوتك .. نظراتك همساتك شىء مش معقول

شىء خلى الدنيا زهور على طول وشموع على طول

الله يا حبيبى على حبك وهنايا معاه
ولا دمعة عين جرحت قلبى ولا قولة آه
ما بقولش فى حبك غير الله الله الله

وانا خدنى الحب لقيتينى باحب .. وأدوب فى الحب .. وصبح وليل على بابه

وقد غنت أم كلثوم هذه الأغنية فى يناير من عام ١٩٦٤ .

وبعد مرور ثلاث سنوات تقريبًا على اللقاء الأول بين مرسى جميل عزيز وأم كلثوم تكرر نفس اللقاء مع ألحان بليغ حمدى فى عام ١٩٦٧ .. حين اختارت أم كلثوم أغنية ثانية له بعنوان : «فات الميعاد» ، ولا أعرف ماذا كان يقصد مرسى جميل عزيز من وراء هذه الأغنية والتى غنتها سيدة القصيدة العربية قبل وقوع نكسة يونية بأكثر من شهرين فقط!

فربما كان مرسى جميل عزيز يشعر بفوات المواعيد واقتراب الكوارث وإن كان قد استبدل كلمات السياسة بكلمات الحب.

ولله فى خلقه خاصة من الشعراء شجون .. وشئون .. فهم أكثر الناس استشفافا للمستقبل بحلوه ومره!

ففى يوم الخميس ٢ فبراير من عام ١٩٦٧ . وقفت أم كلثوم تشدو وتقول:

فات الميعاد وبقينا بعاد ... والنار بقت دخان ورماد
تفيد بإيه يا ندم ... وتعمل إيه يا عتاب
طالت ليالى الألم ... واتفرقوا الأحباب
وكفاية بقى تعذيب وشقا ... ودموع فى فراق ودموع فى لقا

تعتب عليا ليه أنا بإيديا إيه.. فات الميعاد

إننى أكاد أجزم وفق تصور خاص لما أكتبه .. أن هذه الأغنية العاطفية والتى تحدث فيها مرسى جميل عزيز عن الفراق والنار والدخان وعن الندم وفوات المواعيد .. كان يستشعر من خلالها بأحاسيسه بعض ومضات المستقبل المظلم الذى أهل علينا بالهزيمة بعد شهرين فقط .. من فات الميعاد!

ولنستمع له حين يقول فى ختام هذه الأغنية:

الليل ودقة الساعات ... تصحى الليل
الليل وحرقة الآهات ... فى عز الليل
وقسوة التنهيد والوحدة والتسهيد ... لسه ماهمش بعيد
وعايزنا نرجع زى زمان ... قول للزمان ارجع يا زمان
وهات لى قلب لا داب ولا حب ... ولا انجرح ولا شاف حرمان
تفيد بإيه يا ندم ... وتعمل إيه يا عتاب
تعتب على ليه ... أنا بإيديا إيه

فات الميعاد

***

بل وأكثر من ذلك تنبأ مرسى جميل عزيز فى هذا الختام بما سوف نقاسيه من الغدر والهجر وقسوة الدنيا .. فقال:

من نارى من طول ليالى ... من فرحة العزال فى
من قسوتك وانت حبيبى ... وقسوة الدنيا على
بينى وبينك هجر وغدر ... وجرح فى قلبى درايته
بينى وبينك ليل وفراق ... وطريق انت اللى بديته
تفيد بإيه يا ندم ... وتعمل إيه يا عتاب
تعتب عليه ليه ... أنا بايديه إيه
فات الميعاد

***

وفى عام ١٩٦٩ غنت سيدة القصيدة العربية آخر أغنيات شاعرنا الراحل مرسى جميل عزيز وهى بعنوان «ألف ليلة وليلة» .. من ألحان بليغ حمدى أيضاً .. وفى مطلعها يقول الشاعر:

يا حبيبى.. الليل وسماه ... ونجومه وقمره وسهره
وانت وأنا.. يا حبيبى أنا ... يا حياتى أنا
كلنا.. كلنا.. فى الحب سوا ... والهوى.. آه منه الهوى
سهران الهوا.. يسقينا الهنا ... ويقول بالهنا.. يا حبيبى
يالله نعيش فى عيون الليل!

وتعتبر أغنية «ألف ليلة» من أطول ما كتب مرسى جميل عزيز. ولذلك فنحن نعتبرها كالمونولوج الذى بُنى على حوار افترضه المؤلف بينه وبين محبوبته.. مستغلاً براعته فى اختيار الكلمات السهلة والتى تدخل فى القلب مباشرة حتى من غير موسيقى .. ولعلنا نكتشف ذلك بسهولة حين نقرأ كلمات هذه الأغنية بدون موسيقى !. ولقد وجد فيها الموسيقار بليغ حمدى بغيته لكى يكمل مشوار التجديد فى حياة أم كلثوم، والذى بدأه عندما لحن أغنية مرسى جميل عزيز «سيرة الحب» .

***

وشاعرنا المجدد مرسى جميل عزيز اسمه بالكامل مرسى جميل مرسى عزيز.. ومن

مواليد يوم ٩ يونية عام ١٩٢١ بمدينة الزقازيق محافظة الشرقية ووالده هو الحاج جميل مرسى من كبار تجار الفاكهة.

وخلال دراسته في المرحلتين الابتدائية والثانوية، بدأت هوايته لكتابه الشعر تظهر بعد أن حفظ الكثير من آيات الله البينات، والمعلقات السبع..

وكانت أولى قصائده التى كتبها بالفصحى نظمها وهو فى سن مبكرة فى رثاء أحد أساتذته، دخل مرسى جميل عزيز كلية الحقوق بعد الانتهاء من دراسته الثانوية، وفى الجامعة بدأ يمارس هواية الموسيقى والتصوير بجانب الشعر.. وفى عام ١٩٣٩ أذيعت له أول أغنية فى الإذاعة من تأليفه وعمره ثمانية عشرة عامًا وهى قصيدة «الفراشة» من تلحين رياض السنباطى .

وبعد ثلاثة أشهر حقق نجاحًا ملحوظًا عندما غنى له عبد العزيز محمود أغنية «يا مذوق يا ورد فى عود» ثم أخذ إنتاجه الأدبى بعد ذلك يرى طريقه إلى النور والى أصوات المطربين المشهورين آنذاك .

والعجيب أن هذا الشاعر قد امتدت شهرته كمؤلف أغان خارج حدود مصر .. عندما غنت له الفنانة اللبنانية فيروز من تلحين الأخوان رحبانى .. وهى أغنية أو قصيدة «سوف أحيا» ، وكما وجدت كلمات هذا الشاعر صداها الطيب داخل حنجرة العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ .. الذى غنى له أولى أغنياته المشهورة «فى يوم فى شهر فى سنة» .

وعندما أنشئ معهد السينما فى عام ١٩٦٣ كان مرسى جميل عزيز شاعر الأغانى الوحيد الذى التحق بالمعهد وحصل على دبلوم فى كتابة السيناريو، فقد كان إلى جانب إتقانه الشعر يكتب القصة والمعالجات السينمائية والبرامج الغنائية .

كرمته الدولة فمنحته وسام الجمهورية للآداب والفنون فى عام ١٩٦٥ كرائد للأغنية الشعبية والوطنية وكفارس للأغنية العاطفية.

توفى مرسى جميل عزيز فى يوم ٩ فبراير عام ١٩٨٠ على إثر إصابته بمرض خطير سافر بسببه إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج وبعد فترة علاج فى المستشفيات هناك عاد ليموت فوق ترب الأرض التى فتحت ذراعيها لكل إنتاجه الأدبى الذى لا يزال يعيد للأذهان أيام الفن والحب الجميل.

٩ عبد المنعم السباعى

أروح لمين وأقول يا مين؟!

يعتبر الشاعر عبد المنعم السباعى.. من شعراء أم كلثوم الذين اشتغلوا بمهنة صاحبة الجلالة الصحافة.. وبذلك فقد انضم إلى ثلاثة شعراء آخرين من الذين كتبوا لأم كلثوم، وهم بترتيب التعامل: بيرم التونسى ومأمون الشناوى وصلاح جاهين.

أقول ذلك رغم معرفتى من خلال بعض المعلومات.. أن شاعرنا عبد المنعم السباعى قد بدأ حياته العملية كرجل حرب، بل وأكثر من ذلك فقد شارك فى ثورة ١٩٥٢ من خلال وجوده داخل تنظيم الضباط الأحرار، وهو من هذه الزاوية يعتبر من أوائل شعراء أم كلثوم الذين كتبوا لها بصفتهم العسكرية.. مثل الشاعر طاهر أبو فاشا.

***

وكنت أحسب حتى فترة قصيرة ـ وهذا تقصير حقيقى من جانبى ـ أن الشاعر عبدالمنعم السباعى لم يكتب إلا لأم كلثوم فقط، وقد صاحب هذا التصور القاصر! سؤال ظل يتردد بين جنبات صدرى حتى وقت قريب .. وهو : هل يكتب لأم كلثوم شاعر أو أديب مغمور؟! وهى التى تعاملت مع أساطين الشعراء فى الأدب العربى القديم والحديث؟!

وبعد أن عرفت قيمة ومقدار ومكانة عبد المنعم السباعى .. سقط هذا السؤال فى بئر عميق مظلم، وحل محله ما سوف نتلوه حالاً عن هذا الشاعر الكبير، صاحب أرق ما غنت أم كلثوم من أشعار عذبة وجذابة فى فترة الخمسينيات من القرن الماضى «القرن العشرين».

***

ففى أواخر عام ١٩٥٧ .. خرجت علينا صحف هذه الأيام بخبر عن اختيار أم كلثوم لكلمات أغنية جديدة سوف يضع لها الألحان الموسيقار رياض السنباطى ، وهى بعنوان «أروح لمين» من تأليف الشاعر عبد المنعم السباعى.. أحد الضباط الأحرار فى ثورة يوليو عام ١٩٥٢!

وظل الناس يتساءلون عن أعمال هذا الشاعر الذى شدت بكلماته حناجر كثيرة غير حنجرة أم كلثوم .. وتصوروه ضابط جيش فقط، ولكن سرعان ما ظهرت موهبة

عبدالمنعم السباعى من خلال عدة أغنيات عاطفية ووطنية تغنى بها مطربون من غير أم كلثوم .. وكان على رأسهم آنذاك الموسيقار محمد عبد الوهاب .

ولسوف يتضح لنا مشوار هذا الشاعر الكبير من خلال ما سوف نتلوه من كلمات تقترب كثيراً من سيرة حياته الذاتية .. بعد ما نسوق قصته مع أم كلثوم .. وكلمات أغنيته الجميلة «أروح لمين» والتى تقول فيها:

أروح لمين وأقول يا مين ينصفنى منك
ما هو انت فرحى وانت جرحى وكله منك

أروح لمين

كلمة ونظرة عين والقسمة وياهم جمعوا سوا قلبين والحب مناهم
وبين ليالى المنى خدنى الهوى وياه وكان وصالك هنا وكنت باتمناه
وبعد حبى شغلت قلبى وقسيت عليه
وكان منايا بدوم هنايا مادمش ليه
لوعنى حبك واليوم فى بعدك بيفوت سنين

أروح لمين

يطول بعدك .. وأعيش بعدك على شوقى وأشجانى
ما بين ماضى .. ما هوش راضى ينسينى وينسانى
وبين حاضر ما هوش قادر يسلينى فى حرمانى
وأبات أنعى .. أنا ودمعى وأخبى دمع العين
وادارى م اللايمين لا يلمحوا عنيه ويشمتوا فى
ولحد إمتى حتبقى إنت والشمتانين

أروح لمين

أروح لمين ومين يرحم آسايا وأقول يا مين ومين يسمع ندايا

طول ما انت غايب ما ليش حبايب فى الدنيا ديه
والفكر سارح والهجر جارح يا نور عينيه
شوف دمعى جارى سهران فى نارى ولا أنت دارى بالسهرانين

أروح لمين

***

ورغم عذوبة كلمات أغنية «أروح لمين» التى تألقت فى الشدو بها أم كلثوم فى موسم عام ١٩٥٨ .. إلا أنها وللأسف لم تختر أغنيات أخرى للشاعر عبد المنعم السباعى خاصة وأن له شاعرية خاصة وعالم مفعم بالعاطفة الجياشة، وربما انشغل شاعرنا فى مهامه الكثيرة والتى ألقيت على عاتقه بعد قيام الثورة، وخاصة فى فترة الستينيات.

وأيضًا الحديث المفصل عن مشوار حياته سواء قبل الجيش أو بعده ربما يوضح لنا بجلاء هذه الحقيقة!

***

ولد الشاعر والأديب والصحفى وضابط الجيش عبد المنعم محمد السباعى فى مدينة طنطا عام ١٩١٨ .. وبعد أن أنهى تعليمه الابتدائى والثانوى فى هذه المدينة التحق بالكلية الحربية وتخرج منها فى عام ١٩٤٨ ، وقد امتدت حياته بيننا قرابة ستين عامًا إذ رحل عن عالمنا فى ٩ يناير من عام ١٩٧٨ .

عمل عبد المنعم السباعى رغم ارتباطه بالجيش محررًا فى مجلة روز اليوسف قبل نشوب حرب ١٩٤٨ .. وعندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ شارك فيها من خلال تنظيم الضباط الأحرار.

ونظرًا لارتباطه بالإعلام منذ فترة مبكرة من حياته فقد أسند إليه زملاؤه فى مجلس قيادة الثورة منصب الإشراف على الإذاعة المصرية من خلال مكتب الشكاوى.. كما أسندوا إليه رتبة أركان حرب الإذاعة !

ولقد ظل بهذا المنصب لمدة ثلاث سنوات، انتقل بعدها للعمل صحفيًا بجريدة الجمهورية والتى ظل بها من منتصف الخمسينيات وحتى توفاه الله. وقد ارتبط اسمه فى هذه الجريدة بالباب العاطفى المشهور «قلوب حائرة» والذى كان ينشره فى الجريدة نفسها. كما عمل الشاعر عبد المنعم السباعى فى صحف مصرية أخرى منها روز اليوسف والإذاعة والشعب.

ورغم ارتباط هذا الشاعر الكبير بالعديد من الأغنيات العاطفية والوطنية، فقد مارس ألوانًا عديدة من الكتابات الأدبية منها كتابة برامج درامية وتمثيليات إذاعية.. كما كتب

فيلماً سينمائياً مشهوراً للفنان الراحل إسماعيل ياسين، وهو فيلم «إسماعيل ياسين فى الجيش» وفيلماً آخر بعنوان «طريق الأبطال».

ويقول الكاتب الصحفى أبو المجد الحريرى فى مقال له بجريدة الجمهورية.. أن عبدالمنعم السباعى بعد ما غادر هذه الدنيا اكتشف أصدقاؤه أنه كتب أكثر من مائة أغنية عاطفية وخمسين أغنية وطنية .. كما غنى له كل من الموسيقار محمد عبد الوهاب رائعته : أنا والعذاب وهواك . وعبد الحليم حافظ أغنية « لايق عليك الخال» .. ونجاة الصغيرة أغنية «يا هاجر بحبك».

[تم بحمد الله]

المراجـــع:

أولا: [دواوين الشعر]

١ - ديوان: أبو فراس الحمدانى - طبعة حديثة.

٢ - ديوان: ابن النبيه المصرى - طبعة قديمة - دار الكتب.

٣ - ديوان: الشريف الرضى - طبعة حديثة وأخرى قديمة.

٤ - رباعيات الخيام - ترجمة أحمد رامى.

٥ - ديوان: العباس بن الأحنف - طبعة قديمة وجديدة.

٦ - ديوان: صفى الدين الحلىّ.

٧ - ديوان: الشاب الظريف - نسخة قديمة.

٨ - ديوان: محروم.. وحى الحرمان - الأمير عبد الله الفيصل - دار المعارف عام ١٩٥٤.

٩ - ديوان: حديث قلب للشاعر الأمير عبد الله الفيصل.

١٠ - ديوان: كوخ الأشواق - تأليف الشاعر السودانى الهادى آدم.

١١ - الأعمال الكاملة للشاعر نزار قبانى - كل دواودين الشعر.

١٢ - الأعمال الكاملة للشاعر الكويتى أحمد العدوانى - من إصدارات مؤسسة البابطين الثقافية.

١٣ - أجنحة عاصفة - أحمدالعدوانى.

١٤ - إيوان إقبال - لمحمد إقبال - ترجمة الشيخ الصاوى شعلان.

١٥ - ديوان: صلصلة الجرس. تأليف د. محمد إقبال.

١٦ - الشوقيات المجهولة والمعلومة - أحمد شوقى.

١٧ - ديوان: حافظ إبراهيم.

١٨ - ديوان: على الجارم.

١٩ - ديوان: عزيز أباظة.

٢٠- ديوان: ليالى القاهرة - تأليف د. إبراهيم ناجى.
٢١- أغانى الحرية - محمود حسن إسماعيل.
٢٢- ديوان: صالح جودت. - الأعمال الكاملة.
٢٣- ديوان: طاهر أبو فاشا - الأعمال الكاملة.
٢٤- الأشواك - تأليف طاهر أبو فاشا.
٢٥- لا تكذبى - ديوان من تأليف كامل الشناوى.
٢٦- ديوان: محمد الأسمر - عام ١٩٥٢.
٢٧- تغريدات الصباح - محمد الأسمر ١٩٥٠.
٢٨- ديوان: الشبراوى - تأليف الشيخ عبد الله الشبراوى.
٢٩- ديوان: الماحى - محمد مصطفى الماحى.
٣٠- قال الشاعر - ديوان لأحمد فتحى.
٣١- الأعمال الكاملة لأشعار صلاح جاهين.

ثانياً [الكتب والموسوعات]

١- أم كلثوم - الدكتورة رتيبة الحفنى.
٢- تراث الغناء العربى - كمال النجمى.
٣- شعراء العصر العباسى الثانى- الدكتور شوقى ضيف.
٤- شخصيات مشهورة ومغمورة - د. جمال الدين الرمادى.
٥- يتيمة الدهر - الثعالبى.
٦- وفيات الأعيان- لابن خلكان.
٧- الأدب فى العصر الأيوبى - د. محمد زغلول سلام.
٨- كتاب مفرج الكروب - لابن واصل.
٩- الشريف الرضى - حياته وشعره - إعداد جعفر نور الدين.
١٠- أم كلثوم وعصر من الفن - د. نعمات أحمد فؤاد.

١١ – التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول – د. مجاهد بهجت.
١٢ – مروج الذهب – للمسعودى.
١٣ – الأغانى لابى فرج الأصفهانى.
١٤ – الشعراء الصعاليك فى العصر العباسى الأول – د. حسين عطوان.
١٥ – قصة الأدب فى مصر – د. عبد المنعم خفاجى.
١٦ – الرواية : سلامة القس – تأليف على أحمد باكثير – صدرت عام ١٩٤٤.
١٧ – قضايا حول الشعر – الدكتور عبده بدوى.
١٨ – من أدباء الإسلام المعاصرين – على الجمبلاطى.
١٩ – العدوانى، كاتباً ورائداً – صدقى خطاب – مؤسسة البابطين.
٢٠ – موسوعة شعراء العرب الحديثة – مؤسسة البابطين الثقافية.
٢١ – العقل والتنوير فى الفكر العربى الحديث –د. عاطف العراقى.
٢٢ – أحمد شوقى – تأليف ماجد حسن فهمى.
٢٣ – ملوك وصعاليك – صالح جودت.
٢٤ – أعلام الفكر والأدب – أنور الجندى.
٢٥ – المجمعيون فى خمسين عاماً – د. محمد مهدى علام.
٢٦ – حديقة الأدباء – طاهر الطناحى.
٢٧ – هذا الرجل من مصر – لمعى المطيعى.
٢٨ – دائرة المعارف الأدبية.
٢٩ – شعراء الوطنية فى مصر – عبد الرحمن الرافعى.
٣٠ – أدباء لا تغرب عنهم الشمس – فتحى رزق.
٣١ – صالح جودت الإنسان والشاعر – د. فوزى عطوى.
٣٢ – تاريخ مصر يكتبه أهل الفن – حنفى المحلاوى.
٣٣ – الأزهر فى ألف عام – سنية قراءة.

٣٤- اعترافات شاعر الكرنك - محمد رضوان - كتاب المواهب.

٣٥- شاعر الكرنك - صالح جودت.

٣٦- مذكرات بديع خيرى - إعداد وتعليق إبراهيم حلمى.

٣٧- الموسيقى الشرقية - كامل الخلعى.

٣٨- الموسيقى الشرقية والغناء العربى - قسطندى رزق.

٣٩- صلاح جاهين من ١٩٣٠ - ١٩٨٦ - أحمد زيادة.

ثالثا: [الدوريات والصحف]

١ - أخبار الأدب.

٢ - جريدة الجمهورية.

٣ - جريدة الأهرام.

٤ - جريدة الحياة اللندنية.

٥ -الكواكب.

٦ - مجلة أخر ساعة.

٧ - مجلة الجديد.

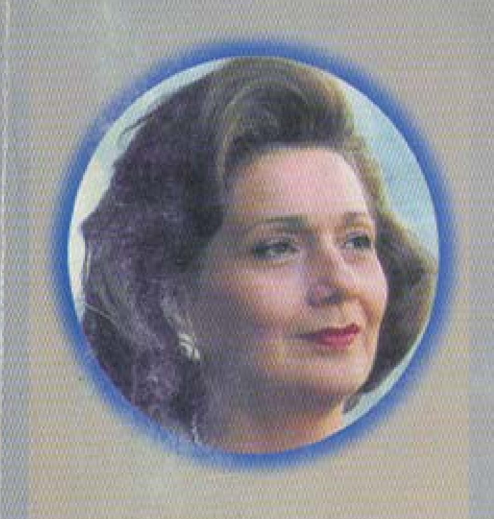
٨ - أخبار اليوم.

٩ - أخبار النجوم.

المحتويات

رقم الإيداع ٢٠٠١/١١٥٤٨

I.S.B.N. 977 - 01 - 7325 - 8





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر. وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير. خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر. ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية. تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى. تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة 2001
مهرجان القراءة للجميع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

السعر ٢ جنيه